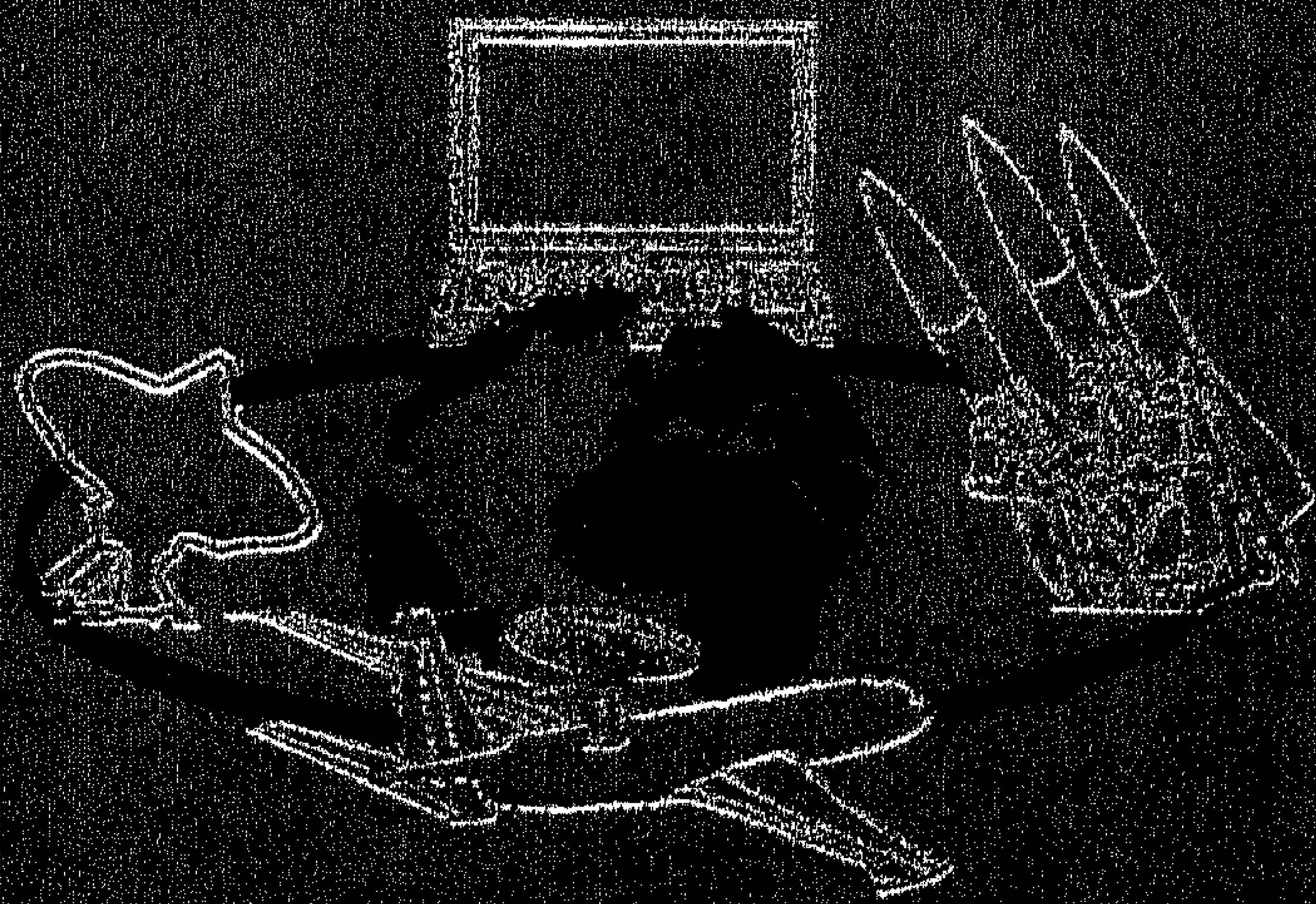
موسوعة
عالم المخابرات
كل شيء عن الجاسوسية والاستخبارات في العالم



NOBILIS

موسوعة عالم المخابرات

كُلُّ شيء عن الجاسوسيَّة والاستخبارات في العالم

الإستخبارات الأميركيَّة (١)

أسعَد مفرِّج

ولجَنة من البَاحثين

موسوعة

عَالَـــــم المُخابَرات

كُلُّ شيء عن الجاسوسيَّة والاستخبارات في العَالَم

الجزء السَّابع

الإستخبارات الأميركيَّة (١)



إسم المَجموعَة : عَالَـــــم المُخابَرات

كُلُّ شيء عن الجاسوسيَّة والاستخبَارَات في العَالَم

إسم الكِتَاب : الإستخبَارات الأميركيَّة (١)

الجزء : السَّابع

المؤلّف : أسعَد مفرِّج ولجنَة من البَاحثين

قياس الكتَاب : ٢٠ × ٢٨

مَكَان النَّشر : بيروت

دَار النَّشر والتَّوزيع : NOBILIS

تلفاكس : ٩٦١ ـ ١ ـ ٥٨١١٢١

: ٩٦١ ـ ٣ ـ ٥٨١١٢١

مدخَل

أشار "ألن دالاس" المدير السابق لوكالة المخابرات المركزيّة CIA ذات يوم إلى الوكالة قائلاً: إنّها بمثابة "مجموعة من الأولاد الأشرار الذين يعملون لصالح الحكومة".

وقال ريشتارد هيلمز مؤخّرًا: إنّ عمل المخابرات الأميركيّة ليس بمثابة لعبة ملاكمة يتبارى فيها المتصارعون، وليس بمثابة عمليّة استكشافيّة يخوضها الكشّافون من الشباب، إنّها مهمّة لا بدّ من أن يتمّ إنجازها على وجه الدقّة.

ويقول باحثون إنّه منذ تأسيس الوكالة عام ١٩٤٧ وحتّى الآن، فإنّ وسائل الإعلام تكتب بصفة مضطردة وثابتة وتحاول توخّي الدقّة عن تورّط المخابرات المركزيّة في الإطاحة بالحكومات، وتدبير مؤامرات الاغتيالات، والتجسّس الداخليّ، وعمل الشركات الوهميّة، والقيام بالعمليّات الشبيهة بالعمليّات العسكريّة، وتنفيذ عمليّات خليج الخنازير، وأزمة الصواريخ الكوبيّة، وعمليّات التجسّس، وسائر العمليّات القذرة الأخرى.

وقد وضعت وكالة المخابرات المركزيّة كتابًا بعنوان The Central Intelligence Agency, A Photographic History يعرّف بها، ترجم إلى العربيّة ونشر تحت عنوان "وكالة المخابرات الأميركيّة، وثائق سريّة" عام ١٩٩٣[1]. وقد جاء في تعريف الكتاب أنّه لا يستكشف كلّ النواحي المثيرة للمخابرات السريّة فحسب، لكنّه أيضًا بمثابة

---

١ ـ لجنة من الباحثين العرب، وكالة المخابرات الأميركيّة، وثائق سريّة، مترجم عن الإنكليزيّة بإشراف طلعت غنيم حسن، مكتبة مدبولي (القاهرة،١٩٩٣)

مجموعة من المعلومات السريّة عن المخابرات. أمّا النواحي الفريدة للمخابرات الأميركيّة فهي المتعلّقة بكيفيّة قيامها بوظائفها في دولة ديمقراطيّة...

إنّ المخابرات المركزيّة باعتبارها واحدة من أحدث أجهزة ووكالات الاستخبارات في العالم، تُعدّ، كذلك، أكثرها نجاحًا لأنّها تفعل تمامًا ما ينصّ عليه ميثاقها ـ ألا وهو جمع المعلومات لكي تستطيع الحكومة والزعماء الأميركيّون أن يصنعوا القرار ويتّخذوا القرارات الملائمة نيابة عن الأمن القوميّ.

إنّ منظّمة مثل وكالة المخابرات المركزيّة يجب أن تعمل في سريّة مطبقة، إذا ما كان يتعيّن عليها أن تعمل أصلاً. إلاّ أنّ ثمّة ضغوطًا دائبة من جانب وسائل الإعلام والجماعات الأخرى وكذا من الجمهور والعامّة بصفة عموميّة تستهدف هتك أسرار الوكالة. لذا فإنّ مثل هذا الكتاب لا يمكن أن يصدر إلاّ في أميركا بسبب ديمقراطيّتها.

وجاء عن الكتاب أنّه بمثابة محاولة لترصّد حوليّات وأسرار وكالة المخابرات المركزيّة بحيدة وموضوعيّة، وكذا نجاحاتها وفشلها على مدار الأربعين عامًا الأخيرة.

وقد جاء في مقدّمة الكتاب:

تصاعدت حدّة اهتمام العامّة ووسائل الإعلام بالتجسّس والتجسّس المضاد عام ١٩٨٥، وهو العام الذي شهد بروز وتدفّق القصص الإخباريّة الواحدة تلو الأخرى عن عمليّات القبض والمحاكمات والانشقاقات سواء في الولايات المتّحدة أو خارجها، بالرغم من أنّ التجسّس ليس شأنًا جديدًا.

تفاقمت حرب الأفكار بتطوّر ونموّ الشيوعيّة والظهور العنيف للدولة الشيوعيّة الأولى: الاتّحاد السوفياتيّ، الذي كان أوّل أهدافه التي تعهّد بها هو تصدير الثورة. ولمّا

بزغ فجر هتلر في ألمانيا، أضحى السوفيات قادرين على تجنيد الكثير من اليساريّين والليبراليّين بنجاح.

لمّا وضعت الحرب العالميّة الثانية أوزارها وبرزت الولايات المتّحدة الأميركيّة كعدوّ رئيسيّ للاتّحاد السوفياتيّ، أخذت الجبهة الشعبيّة الأميركيّة المكوّنة من الجماهير التي تمقت وتبغض الاشتراكيّة، تفقد تأثيرها على الكثير من الليبراليّين في الولايات المتّحدة واليساريّين غير الشيوعيّين في أوروبّا.

وليس ثمّة قدر وإن كان كبيرًا من البروباغندا السوفياتيّة يمكن أن تقنع الجماهير أنّ أميركا هي التهديد الذي يقف أمام العالم. ولذا كان على السوفيات أن يعدلوا من مدخلهم. ولقد أدركوا أنّه، مع أفول نجم الحرب الباردة، حصل الرفاق الشيوعيّون والمتعاطفون معهم الذين تتطابق وجهات نظرهم، على التوضيحات الضروريّة للحصول على الأسرار العسكريّة والأمنيّة والدفاعيّة بصرف النظر عن خلفيّاتهم التعليميّة والاجتماعيّة.

ولقد كان المال هو الدافع والمحرّك الذي اعتمد عليه السوفيات في تجنيد الجواسيس من بين الأميركيّين الذي يحيون في عالم رأسماليّ، وفي واقع الأمر، ولما يزيد عن العشرين عامًا، كان المال الدافع الأكثر شيوعًا في حالات الأميركيّين الذين قُبض عليهم متلبّسين بتهم التجسّس لصالح الاتّحاد السوفياتيّ.

حيث كان المال هو السبب وراء دفع الليوتنانت كولونيل "ويليام والين" لإمداد السوفيات بالمعلومات عن الأسلحة والتسلّح النوويّ، والصواريخ النوويّة، والمناطق الأخرى التي تتعلّق بالدفاع القوميّ والتخطيط القتاليّ من قيادة سلاح الجوّ الاستراتيجيّ.

وفي مدخل الكتاب، ذكر واضعو الكتاب أنّ القائد المغوليّ "سوبوتاي" إستخدم الرجال والنساء والأطفال كي يخترق قوى أعدائه وجيوش الأعداء لجمع المعلومات، وكان نادرًا ما يُهزم كقائد عسكريّ، وكان يعزي انتصاراته إلى التجسّس وليس إلى البسالة أو الشجاعة العسكريّة.

كانت جيوش أعداء "هرناندو كورتيس" المستكشف الإسبانيّ (١٤٨٥ ـ ١٥٤٧) الذي غزا المكسيك عام ١٥١٩ تفوقه عددًا وقوّة بصفة دائمة، ولذا شعر أنّ الجاسوسيّة أمر أساسيّ لكسب الحرب ضدّ المكسيك. فاستعمل الجواسيس في المحاكم الإسبانيّة وضد حاكم كوبا لكي يعلم نواياهم. وإبّان عبوره الشهير للمكسيك لمهاجمة هنود الأزتيك، الشعب المكسيكيّ قبيل فتح الإسبان لها، كان يتلقّى تقارير يوميّة مفصّلة عن مواقع قوّات الأعداء، وقوّة نيرانهم، وولاء حلفائهم، ومخازن الغلال والزراعة. وكان "كورتيس" يصرّ على توافر عنصر الدقّة في التفاصيل. وكانت أعداد الهنود البالغة آلاف الألوف تدفعه إلى الاعتقاد بأنّ المخابرات الجيّدة سوف تعينه على تجنيد الحلفاء وتساعده في التخطيط للاستراتيجيّة العسكريّة.

ليس جمع المعلومات بالأمر الجديد. إنّ الجاسوسيّة والمؤامرات كانت تقليدًا في حكومات العالم القديم. إنّ فنّ التجسّس والجاسوسيّة وجمع المعلومات كان شائعًا بين الإغريق والرومان والحضارات القديمة الأخرى. وعلى الرغم من أنّه من العسير التكهّن بما كان يحدث قبيل ظهور "العهد القديم" إلاّ أنّه يمكن التخمين بأنّ "معرفة ما بحوزة العدوّ" أمر هامّ لضمان أمن المرء.

وفي "العهد القديم" نقرأ أنّ موسى تلقّى الأوامر من اللّه بأن "يتجسّس ويستكشف أرض كنعان" سعيًا وراء المعلومات التي هي بمثابة الأمر الحاسم والحتميّ أمام زعماء الحكومات وجيوشهم.

وقبيل مولد المسيح بأربعمائة عام أكّد الوزير الصينيّ ورجل الاستراتيجيّة العسكريّة "صن تسو" في كتابه "فنّ الحرب"، على أنّ أهميّة المخابرات الجيّدة تسبق الحرب نفسها. وصرّح بأنّه، "لكسب مائة معركة لا يُعدّ الإنسان محقّقًا لأوج المهارة والبراعة، وإنّما العثور على الأمن والأمان بدون قتال هو بمثابة ذروة وقمّة البراعة".

واستُخدم جمع المعلومات والمخابرات في القرن الثالث عشر من جانب الزعيم المغوليّ "سوبوتاي" الذي اعتمد عليها في توجيه قوّاته نحو النجاحات العسكريّة الباهرة إبّان غزوهم لأوروبّا، ومن السليم القول بأنّ المخابرات العسكريّة السياسيّة بدأت في الشرق الأوسط أو الشرق. وكلّما تطوّرت الحضارة والدول تطوّرت معها أساليب المخابرات وجمع المعلومات بصورة تلقائيّة.

وبالنسبة إلى نصف الكرة الغربيّ، فإنّ أهل "الانكاس" و"المايانا" و"الأزتيك" استخدموا الجواسيس، وعزّزوا، نتيجة لذلك، من أمبراطوريّاتهم عسكريًا. واستخدم "هرناندو كورتيس" الجواسيس سواء من الهنود أو الإسبان لتحسين معرفته بالاتّجاهات والنوايا التي يضمرها حاكم الأزتيك، مونتيزوما.

وقبيل أشهر من فتح كورتيس للمكسيك، كانت الجاسوسيّة تعدّ وتجهّز التقارير عن الاستعدادات العسكريّة للأزتيك وتدعيماتهم الحربيّة، وولاء حلفائهم، ومواردهم الاقتصاديّة، والمنطقة الجغرافيّة بدءًا من خليج المكسيك وحتّى ما عُرف الآن باسم مدينة المكسيك. ويكشف التاريخ أنّ الحكّام الآسيويّين وحكّام منطقة الشرق الأوسط والهنود الحمر أعطوا للمخابرات والجاسوسيّة الأولويّة المطلقة.

كتب "ألن دالاس" مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA لتسع سنوات متواصلة في كتابه "حرفة المخابرات" أنّ الحكّام الأوروبيّين، في العصور الوسطى، "كانوا على غير هدى أو معرفة عن الأمبراطوريّة البيزنطيّة والسلافيّين الشرقيّين، ولم

يكونوا يعرفون كذلك سوى النزر القليل عن العالم الإسلاميّ، وكانوا في جهل مطبق من معرفة أيّ شيء يدور في أواسط وشرق آسيا". إلاّ أنّه، بعد ذلك، استخدم الزعماء الأوروبّيّون الجاسوسيّة كسياسة مقبولة لوزارات الخارجيّة داخل حكوماتهم. وكانت أسبابهم مماثلة للأسباب التي تسوقها أمم العالم المعاصر في يومنا هذا، ألا وهي الحاجة إلى الاستعدادات والتدعيمات العسكريّة، والحصول على المعلومات الاقتصاديّة والتجاريّة، ومعرفة الإنجازات العلميّة للأعداء.

وتضاعفت عمليّات التجسّس والمؤامرات والمهمّات التخريبيّة ذات النطاق الواسع إبّان عهد "ليوناردو دافينشي" و"ماكيافللّي" والبابويّة في عصر النهضة أي نظام الحكم في الكنيسة الكاثوليكيّة الذي يُعتبر البابا رأسها الأعلى. وفي فرنسا، إبّان القرن السابع عشر، كان الكاردينال "ريشوليو" يقرّب جواسيسه في الفاتيكان ليعملوا لحسابه داخل الفاتيكان وإنكلترا.

وكان "ريشوليو" يعتقد أنّ عظمة فرنسا تعتمد على المعلومات السليمة الصحية التي سوف تساعده على السيطرة على الشؤون السياسيّة في أوروبّا. وفي القرن السادس عشر، طوّر السير "فرانسيس والسنجهام" وزير خارجيّة الملكة إليزابيث ملكة إنكلترا، شبكة من عشرات العملاء والجواسيس في الخارج، وأرسل بهم عبر أوروبّا والشرق الأوسط. وقام بتجنيد معظم العملاء في كامبريدج حتّى أوكسفورد. أمّا مؤهّلاتهم لذلك فكانت القدرة على التحدّث باللغات الأجنبيّة، والمعيشة في الخارج بدون المساعدة من جانب حكوماتهم، والخبرة والمهارة في اختراق الحكومات الأخرى. وقام بتدريبهم على الأنشطة السريّة، وعلّمهم فكّ رموز الشفرات والمهارات الأساسيّة الأخرى. ووفقًا لمعايير هذه النماذج الموثّقة الأولى، يُعتبر "والسنجهام" مؤسّسًا لأركان أوّل منظّمة مخابرات حديثة في العالم.

ويقول الكتاب: حينما وصل المهاجرون الأوائل إلى شواطئ أميركا، كان فنّ الجاسوسيّة قد سبق تطوّره وتقدّمه في إنكلترا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وهولّندا وإيطاليا وألمانيا وروسيا وبلجيكا.

وكان الكثير من أولئك المهاجرين يأملون في أن يتركوا وراءِ ظهورهم الاضطهاد الدينيّ والفقر والمؤامرات، والعثور على الفرص الاقتصاديّة والحريّة في أميركا.

وكان معظم المهاجرين الأوائل قد وصلوا إلى الشاطئ الشرقيّ قادمين من إنكلترا واسكتلندا وإيرلندا وفرنسا، أمّا على الشاطئ الغربيّ فقد وصلوا قادمين من إسبانيا.

وحوّلت الحكومات الأوروبيّة طموحاتها في الحصول على السلطة والقوّة إلى العالم الجديد. وكان التجسّس من بعضهم على البعض الآخر قد أصبح جزءًا لا يتجزّأ من السياسة الاستعماريّة. وكان الفرنسيّون يمقتون ويبغضون التوسّع الإنكليزيّ في أراضي شمال أميركا حيث كان الفرنسيّون يستكشفون فرص صيد واقتناص حيوانات الفراء وكذلك التجارة. وشعر الإنكليز بنفس المشاعر تجاه المصالح الفرنسيّة في المناطق الأخرى مثل كندا وطوال الطريق على نهر الميسيسيبّي، وحينما أسّس الفرنسيّون القلاع والحصون في أقاصي أميركا مثل ديترويت وشيكاغو.

وكان الإنكليز يشتهون السيطرة على شمال أميركا. أمّا الفرنسيّون والإنكليز فقد استخدموا الهنود الحمر الأمركيّين الذين عاشوا عبر سائر أنحاء القارّة، كجواسيس. وأمّا الهنود الذين كانوا يعرفون الأرض والثقافات الخاصّة بالقبائل الأخرى، فقد أضحوا عملاء مثاليّين، خاصّة حينما كانوا يرحّبون بتلقّي الخمور والبنادق والحلي كهدايا في مقابل ذلك. وصارت القبائل موالية للإنكليز أو للفرنسيّين. واعتبروا ذلك عذرًا في حاجتهم للحماية ضدّ القبائل الأخرى المعادية.

وأمّا الإسبان الذين كانوا أكثر عزلة خاصّة وأنّ ممتلكاتهم كانت مبعثرة ومنتشرة عبر آلاف الأميال، فقد اعتادوا على الاتّصال بالإنكليز في البحر الكاريبي. وبمقتضى "اتّفاق جنتلمان" أُعطي الإسبان حكم كوبا، وسانتو هايتي، ومارتنيك وبعض الدويلات الأخرى. وتحرّك الإنكليز نحو جامايكا وبرمودا وترينيدا، وشرعوا في محاولة السيطرة على جزر البهاما وسائر الجزر الأخرى. وتركّزت الجاسوسيّة على المخابرات البحريّة، ومراقبة السفن وحركة الموانئ والقوّات، وبناء الحصون التي صارت الشغل الشاغل. وعاونت المخابرات البحريّة الكثير من السفن البريطانيّة على اعتراض وأسر وإغراق السفن الإسبانيّة المحمّلة بالذهب. أمّا الإنكليز فقد نهبوا وسلبوا أيضًا المدن الإسبانيّة من "كاريب" إلى "ماراكايبو" إلى فنزويلاّ.

أمّا في شمال القارة الأميركيّة فقد كان الأمر مختلفًا تمامًا. إذ إنّ الإسبان كانوا مقتنعين بالسيطرة على معظم أميركا اللاتينيّة حتّى أقصى الشمال في المكسيك وما يُعرف الآن باسم كاليفورنيا، وتكساس، ونيومكسيكو، وأريزونا، وأراضي الجنوب الغربيّ، حتّى تمّ انتزاع هذه الأقاليم نهائيًّا منهم من جانب الولايات المتّحدة التي نشأت حديثًا. أمّا الفرنسيّون والبريطانيّون، أثناء القرنَين الخامس عشر والسابع عشر، فقد استعمروا الشاطئ الشرقيّ، فكانوا بذلك بعيدين تمامًا ولا تهديد أمامهم.

أمّا التهديد الوحيد الذي واجه الإسبان في القرن السابع عشر فهو الروس الذين استعمروا أراضي "ألاسكا" ووضعوا أعينهم على "أوريجون" و"كاليفورنيا". وقامت أجهزة المخابرات الأوروبيّة بإعلام الإسبان أنّ الدبّ الروسيّ صار يتحرّك، إلاّ أنّه ليست لديه الموارد للسيطرة على كاليفورنيا وانتزاعها من أيدي الإسبان.

على مدار القرنَين السادس عشر والسابع عشر، استمرّ الإنكليز والفرنسيّون في عداواتهم القديمة. وأصبح المستعمرون الجدد في أميركا مشاركين غير مستعدّين

لخوض هذه الصراعات خاصّة إبّان الحرب الفرنسيّة الهنديّة. واستخدم الفرنسيّون الهنود لمهاجمة القوّات البريطانيّة والمستعمرين الأميركيّين، واستخدم كلا الجانبَين الهنود كجواسيس ومحاربين.

واستخدم الكابتن "روجرز" القائد الأميركيّ للقوّات الطوّافة، الهنود للحصول على المعلومات ومهاجمة هنود "الأباناكي" الذين كانوا ينصبون المذابح للمستعمرين الأميركيّين والإغارة على حصونهم. وإبّان تلك الأيّام المبكّرة من المستعمرات في العالم الجديد، كانت معظم أعمال المخابرات ذات طبيعة عسكريّة وقامت على أساس الطموحات في قهر البريطانيّين والفرنسيّين. وكان معتادًا أن يهتمّ الأميركيّ العاديّ بحياة الزراعة اليوميّة، والتجارة، وبناء السفن وأعمال البحر. وحينما لاحت في الأفق آمال الاستقلال، شرع الآباء المؤسّسون للولايات المتّحدة في رؤية ضرورة معرفة القدر الأوفر عن نوايا الإنكليز تجاه المستعمرات الثلاث عشرة.

على الأمم أن تحصر المعلومات وتجمعها من أجل التخطيط للاستراتيجيّة. إنّ كلاًّ من "ماتا هاري" في الحرب العالميّة الأولى، وعملاء مكتب الخدمات الاستراتيجيّة الشجعان الذين هبطوا بالمظلاّت في ألمانيا واحتلّوا فرنسا إبّان الحرب العالميّة الثانية، والجواسيس الذين يعملون في مجال الذرّة في الخمسينات كان لديهم جميعًا نفس الهدف تقريبًا ألا وهو الحصول على المعلومات لتكون في حوزتهم. وهذه المعلومات ذات القيمة هي ما يُطلق عليه "المخابرات". وكان مكتب الخدمات الاستراتيجيّة قد استخدم الدعاية والتخريب والعمليّات العسكريّة الواسعة من أجل تمزيق الأعداء.

أثناء الحرب العالميّة الثانية، تحقّقت مخاوف الأميركيّين من حصول هتلر على "الأسلحة المتفوّقة العملاقة" حينما أُكتُشف أنّ عملاء هتلر كانوا يطوّرون بسرعة الطائرات النفّاثة، والصواريخ الباليستيّة العابرة للقارّات والقنبلة الذريّة. ويقول بعض

الخبراء إنّ هتلر كان على مقربة أشهر قليلة ليحصل على قدرات تخوّله صناعة القنابل الذريّة ذات الدمار الشامل التي بوسعها، عن طريق الصواريخ، أن تضرب نيويورك. وكذا الطائرات النفّاثة التي بمقدرتها إسقاط القنابل على الحلفاء وجيوشهم في إنكلترا وفرنسا وروسيا.

أمّا اليوم، في عصر الشظايا الصغيرة، فقد أفرخ جواسيس غير بشريّين بالتكنولوجيا العالميّة وكذلك عملاء ميدانيّين علميّين. من البشر. وأهميّة تطوير التكنولوجيا العملاقة في مجال أجهزة الحواسب الصغيرة، ومحطّات الفضاء، والتوابع القاتلة، والأسلحة النوويّة العملاقة، أدّى إلى الإسراع بالتسابق في جمع المعلومات. واقتراح الرئيس الأميركيّ "ريغن" وحكومته الخاصّة بحرب النجوم أدّى إلى انطلاق المخابرات السوفياتيّة نحو تعلّم التكنولوجيا الأميركيّة.

كانت مصانع هتلر الحربيّة قد أكملت جزئيًّا بناء الطائرات النفّاثة من طراز "هينكل ١٦٢" ذات السرعة البالغة ٦٥٠ ميلاً في الساعة. وتمّ العثور على هذه الطائرات من جانب مكتب الخدمات الاستراتيجيّة ووحدات الجيش التاسع. وفي أوائل عام ١٩٤٥ أسرع هتلر بعمليّة الانتاج، وكان لا يزال يأمل في هزيمة السلاح الجويّ للحلفاء. وهذا المصنع الذي اكتُشف على بعد ٣٠٠ متر تحت الأرض في منطقة "اينجيل" بألمانيا، أنتج خمسين طائرة يوميًّا. وكان مصعد ضخم يجلب الطائرات تامّة الصنع إلى سطح الأرض.

واليوم يبلغ عدد الأمم التي طوّرات الأسلحة النوويّة خمس أمم... وكان الاتّحاد السوفياتيّ قد حصل على أولى قدراته النوويّة عبر الجاسوسيّة وجهاز المخابرات العدائيّ. وبالنسبة للدول الجديدة والنامية، فإنّها تستطيع الحصول عليها من خلال العلوم المعروفة أو سرقة الأسرار والمواد المطلوبة لصنع "القنبلة"، بالإضافة إلى

الجماعات الإرهابيّة لتطوير القنابل النوويّة والطاقة النوويّة، إلخ. حيث هناك تقارير للمخابرات المركزيّة الأميركيّة عن سرقة إسرائيل للتكنولوجيا النوويّة عالية المستوى من الولايات المتّحدة، وكذلك عن طريق عملائها المنبثّين في داخل أجهزة ووكالات الولايات المتّحدة، ومنهم مَن تمّ ضبطه فعليًّا، ما أدّى إلى تأزّم العلاقات بين إسرائيل وأميركا، لا سيّما في عهد الرئيس السابق رونالد ريغن وحكومته.

وجاء في هذا الكتاب الذي صدر قبل انهيار الاتّحاد السوفياتي وتفكّكه:

كانت الحاجة إلى الحفاظ على المعلومات ومعرفة الجديد ولا تزال ضروريّة لأمن الأمم. وسواء كانت المعلومات يمكن الحصول عليها من أحد التوابع (الأقمار الصناعيّة) الأميركيّة أو أحد المندوبين التجاريّين السوفيات الذي جاء يسعى للحصول على التقنيّة الأميركيّة، فإنّ الحاجة ملحّة وحاسمة. وتلك الاحتياجات حاسمة في عالم اليوم لسببَين رئيسيّين:

١ ـ الكثير من الأمم اليوم لديها أسلحة نوويّة وهي تحصل عليها جهارًا نهارًا.

٢ ـ القوى العظمى في العالم وسيناريو "حرب النجوم"، يخشى من أن تستطيع الأمم تطوير السلاح النوويّ العملاق، أو تطوير بعض أنواع التكنولوجيا القادرة على السيطرة على عددهم المقابل.

إنّ الكثير والكثير من الأمم، وربّما كذلك الجماعات الإرهابيّة، تطوّر المقدرة على بناء القنابل النوويّة، كما يتمّ تطوير الكثير من أنواع التكنولوجيا للحصول على التفوّق وتحقيق القفزة على سائر الأمم.

وببساطة، فإنّ المخابرات ما هي إلاّ المعرفة والمعرفة الفريدة والسبق إليها عن العالم الذي يحيط بنا.

إنّ فنّ تقديم المعرفة في الأسلوب الذي يسمح لصنّاع القرار بالوصول إلى القـرار السليم أمر عسير ويشكّل تحدّيًا أمام أيّ جهاز مخـابرات. وجمع المعلومـات والحقـائق وتحليلها وعرضها وفرزها وتنظيمها وهضمها وتفحّصها يتطلّب المزيد من الأنشطة أكثر من العمل التآمريّ التجسسيّ البوليسيّ، الذي يذهب إليه عادة صنّاع السينما.

إنّ المخابرات لا بدّ أن تكون صارمـة ودقيقـة جدًّا ومستمرّة تراعـي أهميّـة عنصر الوقت وذات نفـع. إنّ تركيبـة الإعـلام والإنـذار والتأهّب هـو مـا ترمـي إليـه أجهـزة الاستخبارات. وفـي عـالم اليـوم الـذي تسـوده وسـائل الإعـلام وأجهـزة الكومبيوتـر والتلفزيـون والسـينما والكتـب والراديـو والتغيـيرات الهائلـة ومواقف "الصدمات المستقبليّة"، نجد أنّ هذه التركيبـة أساسـيّة وضـرورة مطلقـة. وبدونها، يتعيّن على الأمم أن تعيش على العقيدة والإيمان فحسب أو أن تحيـا حياة مطلقة في الظلام.

وهـذه التركيبـة كـان مـن شـأنها أن تتفـادى "بـيرل هـاربور" حينمـا شـنّ اليابـانيّون بطـائراتهم غـارتهم الشـهيرة علـى غـرب الولايـات المتّحـدة الأميركيّـة، وفي المستقبل من شأنها أن تتفادى، كذلك، أزمـة صواريـخ كوبيّـة ثانيـة، وربّمـا حربًـا عالميّة ثالثة.

ويُذكر أنّ صور قواعد الصواريخ السوفياتيّة في كوبا تمّ الحصول عليها من خلال الاستطلاع. أمّا العملاء البشر والعملاء السريّون في كوبا وأحد المنشقّين السوفيات، فقد لعبوا جميعهم دورًا هامًّا فـي إمـداد الرئيـس الأمـيركيّ "كينيـدي" بالمعلومـات الاستخباريّة الجيّدة التـي أدّت إلـى كـذب رئيس الـوزراء الروسـيّ "خروتشوف"، ثـمّ العثور عليه متلبّسًا بـالكذب، وأخيرًا تراجعه واتّخاذه القرار بسـحب وإزالـة تلـك الصواريخ.

في الثورة الأميركيّة

بدأ جمع المعلومات للمخابرات الأميركيّة إبّان الحرب الثوريّة. واشتبك الجواسيس الأميركيّون والإنكليز في الجاسوسيّة السياسيّة والعسكريّة في المستعمرات وفي أوروبّا. وقام جورج واشنطن بتعيين الجاسوسيَن الميجور بنيامين تالمادج والكابتن ناثان هيل، لجمع المعلومات للأغراض الاستخباريّة. أمّا الجواسيس لصالح الإنكليز فكانوا من قبائل "التوريس" ـ وهم الموالون كما كان يُطلق عليهم في أميركا ـ ومن قبائل الهنود، ورجالهم. أمّا التوريس فكانوا يعتقدون بإنّ إنكلترا سوف تهزم، بسهولة، الأبطال من الوطنيّين الأميركيّين، لذلك قاموا بالتجسّس على جيرانهم. وبعد أنّ حقّق الأميركيّون استقلالهم على "التوريس" من المصادرات لأملاكهم توجّه بعضهم، اختياريًّا، إلى كندا وإنكلترا. وتعاون "التوريس" مع الأعداء عن طريق انخراطهم في صفوف الأعداء الأماميّة، وتوصيل الرسائل وكتابة التقارير عن القوّات الأميركيّة ومدى قوّتهم وروحهم المعنويّة، حتّى أنّهم ارتكبوا أعمالاً تخريبيّة.

أمّا أكثر جواسيس الإنكليز بشاعة فهو الجنرال الأميركيّ "بيندكت أرنولد"، وربّما كان أوّل عميل مزدوج في التاريخ الأميركيّ. وكان بالتأكيد أوّل منشقّ. وصار اسمه قرينًا للخيانة والغدر. ولقد تسبّب "أرنولد" في إحداث نكسة هائلة لواشنطن حينما عمل على تحويل الأكّاديميّة العسكريّة الأميركيّة في "وست بوينت" إلى البريطانيّين قبيل إعدام العميل البريطانيّ الميجور "جون أندريه" من جانب الأميركيّين.

لقد كانت المعلومات العسكريّة حاسمة أمام جورج واشنطن الذي كان يحتاج، بسبب قلّة الرجال والعتاد، إلى المكيدة والمكر والعقول ليبزّ ويهزم الجيش البريطانيّ المتفوّق. وزاد احتياجه إلى الجواسيس إبّان الحرب. أمّا الجهة الأخرى للجاسوسيّة فقد كانت أوروبّا. وتمّ إرسال الوفود الأميركيّين إلى أوروبّا لحصر المعونات من فرنسا والدول الأخرى المعادية لبريطانيا.

وتعرّض بنيامين فرانكلين للتجسّس عليه من جانب العملاء البريطانيّين المهتمّين بمعرفة إلى أيّ مدى كان الفرنسيّون جادّين في إسداء المعونة والمساعدة للأميركيّين. وفي إنكلترا، كان بريد "إدموند بورلو" والأعضاء الآخرين للبرلمان المتعاطفين مع القضيّة الأميركيّة يتعرّض للفتح والفضّ، كما تعرّضوا للاضطهاد والإرباك من جانب العملاء الخصوصيّين البريطانيّين. وكان بنيامين فرانكلين قد اشترك بالتجسّس في فرنسا إبّان الثورة، وتعقّبه العملاء البريطانيّون ورصدوا تحرّكاته وأيّ تطوّرات جديدة من شأنها أن تقحم فرنسا في الحرب من جانب الأميركيّين.

وعلى الرغم من أنّ معظم عمليّات الجاسوسيّة كانت ذات طبيعة عسكريّة أو سياسيّة، إلاّ أنّها كانت تؤثّر على اقتصاديّات سائر الأمم. وأخيرًا حصرت الأمّة الجديدة المعونات التي كان الفرنسيّون قد قدّموها وحقّقوا وأنجزوا الاستقلال. ويعتقد المؤرّخون المحدثون أنّه بدون أموال فرنسا والعون العسكريّ لم تكن الأمّة الجديدة لترى النور أو يتمّ تأسيسها.

في أعقاب الحرب الاستقلاليّة لم يرَ كثير من الأميركيّين الحاجة إلى أيّ جيش، بصرف النظر عن مجموعة جمع المعلومات للاستخبارات. وهكذا، لم يتمّ النظر في إنشاء أيّ قوّة للمخابرات، على الرغم من أنّ الأفراد كانوا يؤدّون، من حين إلى آخر، "مهامًّا خاصّة" للرئيس أو لوزارة الخارجيّة.

وشهد القرن التالي في التاريخ الأميركيّ الحاجة إلى الاستعدادات العسكريّة بأكثر من الحاجة إلى جمع المعلومات والمخابرات عن الشؤون الاقتصاديّة أو العلميّة. وبذلك، جاءت أغلبيّة المعلومات الخاصّة بالمخابرات من البحريّة أو الجيش. وعلى الرغم من أنّ الولايات المتّحدة توسّعت بدرجة هائلة من ١٨٠٠ حتّى ١٩٠٠، إلاّ أنّ الحاجة إلى الاستخبارات العسكريّة قامت أساسًا بسبب الحروب التي تورّطت فيها أميركا.

في أعقاب الحرب الثوريّة حاربت الولايات المتّحدة حرب عام ١٨١٢ ضدّ البريطانيّين، ثمّ تعقّدت أساليب جمع المعلومات في تلك الآونة بسبب التأخيرات الناجمة عن ضعف الاتّصالات. واندلعت معركة "نيو أورليانز" بعد أسبوعَين من إبرام معاهدة السلام. وعلى الرغم من صعوبة تصوّر كيف كان بمقدور المخابرات أن توقف نشوب المعركة، فإنّه من المثير أن يتمّ التكهّن عمّا إذا كان سلب البيت الأبيض ونهبه من قِبَل القوّات البريطانيّة سوف يتلافاه الأميركيّون إذ كانوا قد صوّروا جهازًا للمخابرات أفضل من السابق.

وقدّمت مخابرات الجيش خدماتها للأمّة بصورة أفضل في ما بعد - إبّان حرب المكسيك - حينما هبط عناصر القوّات في "فيراكوز" واقتحموا "شابولتيبك"، وساروا صوب مدينة ميكسيكو لاحتلالها.

وحتّى إبّان الحروب الطويلة الضروس ضدّ الهنود، استخدم الجيش الهنود للتجسّس على الهنود الآخرين. ولم يكن ذلك بالأمر الناجح كما كان متوقّعًا، بسبب أنّ أغلبيّة ومعظم الهنود لم يكونوا يرحّبون بذلك بل كانوا يحرّمون مثل هذا النوع من السلوك السرّيّ.

في الحرب الأهليّة

إبّان الحرب الأهليّة صارت الجاسوسيّة تحظى بالأولويّة المطلقة لدى الجانبَين، وكانت بالونات الهواء التي استخدمها الاتّحاد لتحديد موقع القوّات. واستعمل سلاح البحريّة الجواسيس في إنكلترا لمراقبة السفن التي يشيد بها الإنكليز ليستخدمها المتحالفون ضدّ حركة الشحن والسفن الخاصّة بالاتّحاد. كما تمّ استعمال الجواسيس لتحديد مدى تعاطف الإنكليز والفرنسيّين للتحالف. وأراد "لينكولن" أن يحول بين إنكلترا والدول الأخرى والاعتراف الدبلوماسيّ وتقديم المعونة إلى اتّحاد الولايات الأخرى الإحدى عشرة التي انفصلت عن الولايات المتّحدة الأميركيّة عام ١٨٦٠ و ١٨٦١. وكان جواسيس وعملاء الجانبَين يتجوّلون ويسافرون بين صفوف الجانبَين. كما تجسّس الزنجيّ الشهير "هارييت توبمان" المهرّب وحمل المعلومات للاتّحاد. أمّا مخابرات اتّحاد الولايات الإحدى عشرة فلم تحصل أبدًا ولم تستطع أن تجني بالفعل معلومات عن الاتّحاد سواء كانت صناعيّة أو غيرها، وتعرّضت للإعاقة بسبب حصار "لينكولن".

بعد الحرب، استمرّت أعمال المخابرات الأقلّ شأنًا، ولكن لم تكن البلاد في حاجة إليها بالفعل، ذلك أنّ أقلّ القليل من الأميركيّين، في ما عدا المثقّفين، كانوا يتحدثّون أو يقرأون اللغات الأجنبيّة أو حتّى يعرفون ثقافات الأمم والبلدان الأخرى. فضلاً عن ذلك، ساعد موقع الولايات المتّحدة على العمل كدفاع أو حاجز أمام التدخّل الخارجيّ.

فهل توافُر جهاز مخابرات ممتاز كان سيحول بين الإسبان وإغراقهم للسفينة "مايين"؟ على الرغم من وجود خلاف حول قضيّة انفجار الباخرة - بشأن هل كان ذلك حادثة أم عملا متعمّدا للإسبان - فإنّ قدرة الأميركيّين على التجسّس ضدّ الإسبان كانت محدودة. ومعظم أعضاء السلك الدبلوماسيّ كانوا يتحدّثون اللغة الإنكليزيّة فقط. الأدهى أنّ أغلبيّة الرسائل والبرقيّات العسكريّة التي كان يتمّ تكويدها كانت مستحيلة الفكّ على الأميركيّين. إنّ الولايات المتّحدة كانت تفتقر إلى جهاز وقوى لجمع المعلومات لأغراض المخابرات. وإبّان الحرب كان تدمير الأسطول الإسبانيّ نتيجة لمعلومات قدّمها جهاز المخابرات التابع لسلاح البحريّة. وفي الوقت الذي وسّعت فيه الولايات المتّحدة من نفوذها، صار واضحًا أنّ المخابرات الجيّدة وجمع المعلومات أمر مطلوب.

على أيّ حال، لم يتمّ دراسة إنشاء جهاز خدمة رسميّ لإغراق المخابرات. وحتّى برغم أنّ الولايات المتّحدة كانت بصدد التحوّل إلى قوّة عظمى عالميّة، وكان لها ممتلكات في كوبا والفيليبّين وهاواي وبورتوريكو، كان الكثير من الأميركيّين يعتقدون أنّه يجب على الأميركيّين البقاء والمكوث بعيدًا عن الصراعات الأوروبيّة.

تعرّضت أميركا للعزلة عن أوروبّا وآسيا من جرّاء المحيطين وتخوم كندا والمكسيك، البلدَين الصديقَين. ولم يحدث أن حشدوا القوّات والحاميات على الحدود. فضلاً عن ذلك، ساعد "مذهب مونرو" على الحفاظ على الأوروبّيّين بعيدًا عن النصف الكرة الغربيّ. إذ لم يكونوا مهتمّين بالصراع مع الولايات المتّحدة. إلى جانب ذلك، اعتبر معظم الأميركيّين أنّ التجسّس غير ذي جدوى، ولا طائل من ورائه، ولا يليق بدولة يشرّفها فخرًا أن تقيم أركانها على أسس من وثيقة حقوق الإنسان، وحرّيات الإنسان، والاستقلال.

لهذه الأسباب والعاطفة الميّالة إلى البقاء في العزلة، مكث وبقي الجيش الأميركيّ صغيرًا، ولم يتوسّع أو يكبر إلاّ سلاح البحريّة الأميركيّة بسبب جهود "تيودور روزفلت". أمّا بالنسبة إلى أغلبيّة الزعماء السياسيّين والعسكريّين في البلاد، فكانت الجاسوسية أمرًا غير ضروريّ. وكان التجسّس عملاً لا يقوم به "الرجال الشرفاء الجنتلمن"، وساد الاعتقاد الشائع بأنّه في حقيقة الأمر غير ذات ضرورة.

وكان الكولونيل "ويليام دونوفان"، الشهير بـ "وايلد بيل"، قائد الفرقة "المقاتلة التاسعة والستّين" وهي من أصل إيرلنديّ أميركيّ كوحدة جيش إبّان الحرب العالميّة الأولى، يرى أنّ الوقت قد حان للتفكير في "جهاز أو وكالة مخابرات مركزيّة"، في وقت مبكر هو الحرب العالميّة الأولى. وكان "دونوفان" قد تأثّر بجهاز المخابرات البريطانيّة وأُعجب به، وتنبّأ بالدور الأميركيّ المتنامي كقوّة عظمى. وفي عام ١٩٨١، اعترفت المخابرات المركزيّة الأميركيّة بما نادى به "دونوفان"، وبأنّه تلقّى تدريبات في الاستخبارات في أثناء الحرب العالميّة الأولى. وكان مدى تلك التدريبات محدودًا ذلك أنّ "دونوفان" كان مشغولاً كقائد عسكريّ يشارك في عدد من المعارك، وكان يحظى بالإعجاب، شجاعًا، كان قد كسب عشرات الميداليّات، وحين أصيب بالجراح تمّت مكافأته وخُلعت عليه ميداليّة الكونغرس الشرفيّة، وهي أعلى جائزة عسكريّة في أميركا قاطبة.

حينما دمّر الإسبان السفينة الأميركيّة الشهيرة "مايين" التبس الأمر على القوم فلم يعرفوا ما هو السبب في تدميرها، ولكي يتوصلوا إلى حلّ صدرت الصحف تحمل خبرًا يقول إنّ الحكومة الفدراليّة قرّرت إعطاء مبلغ ماليّ قدره ٥٠ ألف دولار (ذلك في القرن التاسع عشر) لمَن يدلي بمعلومات تكشف عن أسباب تدمير السفينة والقوى الكامنة وراء ذلك العمل التخريبيّ...

في الحرب العالميّة الأولى

راحت الحرب العالميّة الأولى تعمل تغييراتها في هذه الاتّجاهات.

أوّلاً: بدأت الدعاية من جانب كلّ من البريطانيّين والألمان تؤتي ثمارها على أميركا. وفي حين كان الإنكليز ينشدون العون الأميركيّ، كان الألمان يربأون بالولايات المتّحدة ألاّ تدخل الحرب وتمكث بعيدًا عن الصراع. وأصبحت الولايات المتّحدة، في الواقع، مراقبًا محايدًا ولم تبذل المزيد من الجهد لمراقبة العملاء الأجانب في البلاد. ولم يكن هناك مكتب للتحقيقات الفدراليّة، وكان للولايات المتّحدة، حتّى ذلك الحين، قوّة عسكريّة صغيرة جدًّا.

وحينما دخلت أميركا الحرب فعليًّا كان النشاط الاستخباريّ والمخابرات وجمع المعلومات عفويًّا وذا طبيعة عسكريّة. ولم يكن للولايات المتّحدة فكرة عن عدد الجواسيس في البلاد أو جهودهم في التأثير على السياسيّين والجمهور والعامّة. وكما كانت الحال في الحرب الأهليّة، بدأ الجمهور العامّ الأميركيّ يقرأ عن الجواسيس والجاسوسيّة المرتبطة بالحرب، وكانت أشهر الجواسيس قاطبة هي الجاسوسة الألمانيّة الهولّنديّة المولد "ماتا هاري" وهي امرأة ذات جمال فائق وطاغ لا نظير له، إلاّ أنّها كانت عميلة فقيرة مسكينة.

وأضحى عملاء المخابرات السريّة البريطانيّة أيضًا أبطالاً أمام أعين الجمهور الأميركيّ بسبب أنشطتهم في أوروبّا والشرق الأوسط وآسيا، وراحت الصحافة

الأميركيّة تكتب عنهم، وكذلك دور النشر الأميركيّة أخذت تنشر الكتب عن مآثرهم. وكان البريطانيّون قد زرعوا، في حقيقة الأمر، عملاءهم في كلّ دولة، وكان لهم جهاز مخابرات مضادّ واسع النطاق، وعمليّات سريّة خفية.

وكحلفاء، لم يكن البريطانيّون مستعدّين للمشاركة في جمع المعلومات وأجهزة المخابرات، لذلك بدأ الأميركيّون يتحقّقون من أهميّة مثل هذه الأجهزة. من بين هؤلاء الأميركيّين "ويليام دونوفان"، الذي سبق ذكره، إذ كان قائدًا لـ"وحدة القتال ٦٩" أو "فرقة قوس قزح"، التي كانت تتكوّن أساسًا من الأميركيّين ذوي الأصل الإيرلنديّ الذين حاربوا في عدد من المعارك الهامّة في الحرب العالميّة الأولى. أمّا الشاعر "جويس كيلمر" الذي قُتل إبّان الحرب، و"فازر ديفي" وآخرون، فقد أصبحوا جميعًا أبطالاً أسطوريّين.

وفي أعقاب الحرب، غرقت الولايات المتّحدة في العزلة... لم تكن ترغب في احتلال أيّ جزء من أوروبّا، ذلك أنّها انشغلت، شيئًا فشيئًا، بمشكلاتها الداخليّة مثل سياسة تحريم الخمور وخلافه، ثمّ فترة الكساد العظيم في الثلاثينات. وإبّان المرحلة التي أُطلقت عليها تسمية "الفزع الأحمر" في العشرينات، تمّ إلقاء القبض على معظم العملاء الأجانب والرجال المرتبطين بعمليّات "الفزع الأحمر" لأوهى الأسباب وأقلّ الأدلّة وتمّ الزجّ بهم في السجون أو ترحيلهم إلى بلادهم الأصليّة.

إلاّ أنّ هذه العمليّات لم تستمرّ طويلاً وتعرّضت للإعاقة بسبب نقصان المعلومات والأجهزة مثل مكتب التحقيقات الفدراليّة أو وكالة المخابرات المركزيّة لتحديد مدى خطورة ونطاق الأنشطة الشيوعيّة أو التخريبيّة. وكان من جرّاء ذلك كلّه أن زاد الريب والشكوك وعدم الثقة في المصطلحات مثل الثورة، أوروبّا الجواسيس، الفوضويّة، المدينة الفاضلة. وربط الأميركيّون بين الجواسيس والمتآمرين الملتحين

الذي تـآمروا للإطاحـة بالحكومـة. ولـم تكـن الحكومـة ترغـب فـي التعـامل مـع هؤلاء الأجانب وأفكارهم المستوردة.

وخلال هذه الأيّام التي واكبت سياسة العزلـة الأميركيّـة، نشـأ الاتّحـاد السـوفياتيّ وتضخّم وتفاقمت هواجسه ومفازعه، أوّلاً، تحت قيادة "لينين" ثمّ ستالين حـول الأمـن، وصار يوسّع ويقوّي من أجهزة مخابراته وقدراتها عن طريـق توسيع نطـاق جمـع المعلومات وجهـاز المخـابرات المعـروف باسم "تشيكا"، وجعـل منـه جزءًا فعليًّا مـن الحكومة الشيوعيّة وقام بتشغيل الآلاف للجاسوسيّة.

حينما استولى السوفيات على روسيا أسّس "لينين" جهاز "تشيكا" عـام ١٩٢١ للقيـام بعمليّات التطهير، وأسّس جهاز المخابرات الخارجيّة، الـذي تـمّ توسيعه، فـي مـا بعـد، ليصبح جهاز GBU وهو كذلك من أعمال "لينين". أمّا جهاز NKVD فقد تمّ تأسيسه عام ١٩٣٤ وأُعطـي واجبات وصلاحيّات جاسوسيّة وبوليسـيّة فائقـة القـدرة والاتّسـاع. واستخدمه "ستالين" لإلقـاء القبـض وإعدام الخصـوم السياسـيّين الذيـن اتّهمهـم بـالعمل لحساب أجهزة المخابرات الخارجيّة الأجنبيّة. وقبيل تفكّك الاتّحاد السوفياتيّ كان لديهـم جهاز الـ KGB المشهور، وجهاز GRU. وكـان مـن أهـداف الأجهـزة السـوفياتيّة، فـي الثمانينـات، زرع عمـلاء سريّين خفيّيـن فـي الولايـات المتّحـدة وتضليل جهـاز وكالـة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

أمّا أجهزة مخابرات إنكلترا وفرنسا فقد تـمّ توسيعها، كذلـك، لاعتبـارات الأمـن. وحينما استولى "موسوليني" في إيطاليا و"هتـلر" فـي ألمانيـا علـى السـلطة، كـانت أولـى خطواتهما هي إقامة قوّات بوليسيّة سريّة للجاسوسيّة فـي الداخـل والخـارج. وتـمّ دمـج الـ"غسـتابو" الألمـانيّ بالـ "أبويهـر" أو المخـابرات العسـكريّة، فـي مـا بعـد، فـي جهـاز المخـابرات المعـروف باسـم SS. أمّـا الـدول الأخـرى التـي قـامت بتأسـيس أجهـزة

المخابرات فهي اليابان والمكسيك وإسبانيا والبرتغال والنمسا والصرب، وهي التي عُرفت في ما بعد باسم يوغوسلافيا، وتركيا. ولم تكن الولايات المتّحدة قد أسّست آنذاك أيّ أجهزة من هذا القبيل.

وعلى الرغم من أنّ الحكومة البريطانيّة لم تتّخذ أيّ إجراء أو عمل ضدّ "هتلر" فإنّ جهاز المخابرات البريطانيّ رأى الحرب وأشباحها، ما حدا به إلى التوسّع في جمع المعلومات والإسراع في ذلك. وكان من بين هذه التحرّكات زرع رجل الأعمال الكنديّ والطيّار السابق في الحرب العالميّة الأولى، السير "ويليام ستيفنسون" في الولايات المتّحدة. وقام ستيفنسون، بتأسيس المكاتب الاستخباريّة في نيويورك قبيل الحرب العالميّة الثانية. وكانت مهمّته هي استدراج أميركا إلى الحرب إلى جانب إنكلترا أو المساعدة في دفع الولايات المتّحدة لتتبنّى سياسة الحياد.

أمّا "إيان فيلمنغ" أو "جيمس بوند" الحقيقيّ، الذي كتب أكثر روايات الجاسوسيّة نجاحًا وانتشارًا والتي وزّعت فوق الخمسين مليون نسخة، كان في الواقع مرتبطًا بالعمل في الأجهزة الاستخباريّة قبيل وبعد الحرب. وكان يخدم كضابط اتّصالات مع السير "ويليام ستيفنسون" في نيويورك وواشنطن، وهو يزعم بأنّه كتب بالفعل مسودّة وخطّة تنظيم المخابرات الأميركيّة أوائل عام ١٩٤١ بالاشتراك مع "ويليام دونوفان".

بيرل هاربور

لم يحالف النجاح عمليّات جمع المعلومات والمخابرات وكتابة التقارير واتّخاذ القرارات الملائمة داخل الولايات المتّحدة الأميركيّة في السابع من كانون الأوّل – ديسمبر عام ١٩٤١. ودمّر اليابانيّون الأسطول الأميركيّ في المحيط الهادئ "الباسيفيك" وأتبعوا ذلك بعمليّات تدميريّة داهمة أخرى في المحيط نفسه، ونشروا الذعر والهلع في كاليفورنيا وكلّ مكان. وبلا ريب، كان منوطًا بجهاز مثل وكالة المخابرات المركزيّة التي تتولّى مسؤوليّات جمع المعلومات وتحليلها أن تتفادى مثل هذه الكارثة والفاجعة. وفي ذلك الحين، كانت جميع أعمال المخابرات تفتقد إلى عدم التنسيق. لقد استطاعت الولايات المتّحدة فكّ طلاسم رموز الكود اليابانيّ، إلاّ أنّ التأخير في كتابة التقارير والافتقاد إلى التنسيق تسبّبا في الفشل في إبلاغ الزعماء الأميركيّين.

وبدأت فكرة وكالة المخابرات المركزيّة قبيل دخول أميركا الحرب، في الأيّام المبكرة من الحرب الأوروبيّة حينما قامت القوّات الألمانيّة بشنّ الهجوم الخاطئ عبر فرنسا وهدّدت بإلحاق الهزيمة بإنكلترا. وكان النزر الضئيل من القوم هم الذين اهتمّوا بذلك واشتركوا بتأسيس الوكالة. لقد كانت هزيمة بريطانيا تعني أنّ ألمانيا والمحور: إيطاليا واليابان سوف يحوّلون أنظارهم شطر أميركا.

جدير بالذكر أنّ ٢,٣٠٠ أميركيّ سقطوا نتيجة الغارة اليابانيّة على بيرل هاربور. ويذهب البعض إلى أنّ مجرّد جمع المعلومات بدون تحليلها ثمّ التنسيق بين مختلف

أجهزة المخابرات والدولة ثمّ اتخاذ القرار ما هو إلاّ شيء عديم الجدوى والقيمة كما هي الحال في حالة "بيرل هاربور"، ذلك أنّ جهاز مخابرات الإشارات، الذي أسّس الجيش عام ١٩٢٩ للسيطرة وإدارة كافّة أنشطة الجيش في الشفرة والإشارة، استطاع تحت قيادة "ويليام فريدمان" - وقد كان يتكوّن من مجموعة ضئيلة تبلغ حوالي ثمانية رجال وامرأة واحدة - أن يفكّ طلاسم شيفرة الآلة الدبلوماسيّة اليابانيّة، واستطاعوا أن يفعلوا ذلك بدون أيّ اطّلاع على أعمال الآلة اليابانيّة الحقيقيّة.

لم تكن المصالح الأميركيّة معرّضة للتهديد من جرّاء غزوات موسوليني للحبشة أو تصرّفات هتلر الشيطانيّة. إذ كانت تتهدّد أوروبّا وليس أميركا. إلاّ أنّه، إذا كان هؤلاء أرباب الدكتاتوريّة قد وسّعوا من الحرب، وإذا كانت إنكلترا قد مُنيت بالهزيمة، كان حتمًا على أميركا أن تقف بمفردها. ولأميركا ممتلكات في المحيط الهادئ وآسيا، وكان اليابانيّون يشكّلون تهديدًا لها. إنّ تدهور العلاقات بين أميركا واليابان وحاجة اليابان للمواد الخام والأسواق كلّها تسبّبت في إثارة قلق الأميركيّين وحفيظتهم. والقليل من الناس هم الذين تحقّقوا من هذا في الثلاثينات. وكان الرئيس "فرانكلين روزفلت" ينتابه الفزع بسبب اليابانيّين والموقف في ألمانيا وإيطاليا. وكان جهاز المخابرات السريّة البريطانيّة مهتمًّا بتطوير العلاقات مع الأميركيّين. وبالإضافة إلى هذا ظهر أحد الروّاد على المسرح وكان مهتمًّا بالحرب وكان يرى أن أولى الضروريّات أمام أميركا هو جمع المعلومات وكان ذلك الشخص هو "ويليام دونوفان".

ويذهب بعض المؤرّخين إلى أنّه بعد بيرل هاربور اتّضحت الحاجة إلى تنظيم استخباريّ أو منظّمة استخبارات مركزيّة أمام أعين الجماهير والعامّة. وفي حقيقة الأمور، كان ذلك قد بدأ في فترة مبكرة عن غزوة بيرل هاربور، في الأيّام المبكرة للحرب في أوروبّا بين إنكلترا وألمانيا. وعلى الرغم من أنّ الرئيس روزفلت كان

مهتمًا بتشكيل مثل هذا الجهاز، إلاّ انّه لم يستطع أن يفعل ذلك، بسبب أنّ بلاده لم تكن في حالة حرب كذلك كان ثمّة اعتبارات سياسيّة، إذ أراد بعض السياسيّين أن تبقى الولايات المتّحدة خارج الحرب حتّى ولو تعرّضت بريطانيا للهزيمة، وأنّ من شأن إقامة جهاز أو وكالة مخابرات أن يسكب الوقود ليضرم النيران التي كانت مشتعلة آنذاك، وروزفلت يريد خوض الحرب لأنّه كان يؤيّد البريطانيّين.

فضلاً عن ذلك كان مكتب المباحث الفدراليّة متورّطًا في عمليّات جمع معلومات استخباريّة ضيّقة النطاق ومحدودة في أميركا اللاتينيّة إبّان الثلاثينات من القرن التاسع عشر.

وكذلك كان "إدغارد هوفر" رجلاً لا يشق له غبار وكان عاقدًا العزم على التمادي في جمع المعلومات بغرض المخابرات. وليكن ذلك بواسطة مكتب المباحث الفدراليّة.

أمّا الجيش والبحريّة فكان لهما كذلك أوجه وميادين العمل المقدّس، كما كانت الحال عليه في وزارة الخارجيّة الأميركيّة ووزارة الدفاع ووزارة الخزانة.

وبناء عليه كان حتمًا على روزفلت أن يتوصّل لحلول وسط مع السياسيّين المعارضين لخوض الحرب وكذلك رؤساء الجهاز البيروقراطيّ في داخل إدارته وحكومته.

وكان الجمهور العامّ الأميركيّ غير مهيّأ لقبول فكرة إنشاء جهاز للجاسوسيّة، ذلك أنّ الأميركيّين يعتزّون بحريّاتهم ولم يكونوا ليقبلوا قيام وكالة تابعة للحكومة الأميركيّة من شأنها أن تتجسّس على مواطنيها وأهلها. فمسموح للمستر "إدغارد هوفر" ورجال مجموعته أن يلقوا القبض على رجال العصابات والعملاء الأجانب، ولم يكن مسموحًا قيام جهاز مخابرات يؤدّي وظائفه في خارج البلاد أو داخل الولايات المتّحدة. وكانت

كلّ إدارة حكوميّة تجمع معلوماتها الخاصّة بها، ولها قسم المخابرات التابع لها، ولكن لم يكن ثمّة تنسيق إلاّ القدر اليسير. ونتيجة لذلك، كانت أهمّ المراحل الحاسمة للمخابرات ألا وهي - التحليل يفرض التمهيد لاتّخاذ القرار، مهملة.

كانت جهود "ويليام دونوفان" فعّالة في إقناع الرئيس روزفلت وكبار البيروقراطيّين في مختلف وكالات المخابرات أن يوافقوا على إنشاء وكالة مخابرات مركزيّة واحدة.

بدأت تلك الجهود بعامَين على الأقلّ قبيل وقوع حادثة "بيرل هاربور" واشترك في ذلك "ويليام دونوفان" على جه الخصوص، وفي ما بعد، العميل السريّ للمخابرات البريطانيّة المستر "انتربيد"، وأخيرًا الرئيس روزفلت.

كان المستر "هوفر"، قبل وأثناء الحرب العالميّة الثانية يدير العمليّات السريّة والتدريبات وأنشطة الجاسوسيّة عبر أميركا اللاتينيّة طولاً وعرضًا. وكان يمقت، أيّما المقت والكره، أيّ تدخّل في مجال عمله أو نطاقه. ويُقال إنّه أقسم على حرق جميع ملفّات أميركا اللاتينيّة في المخابرات التابعة له إذا حاولت أطراف مكتب الخدمات الاستراتيجيّة الحصول عليها أثناء الحرب العالميّة الثانية، وكذلك إذا حاولت وكالة المخابرات المركزيّة أن تفعل ذلك بعد الحرب. كان للمستر "هوفر" عملاء تابعون لمكتب المباحث الفدراليّة يؤدّون العمليّات الاستخباريّة في أميركا اللاتينيّة على مدار عشرين عامًا.

روّاد الجاسوسيّة الأميركيّة

أُلقي القبض على "ناثان هيل" وحُكم عليه بالإعدام بعد أن اعترف طواعية بأنّه جاسوس أميركيّ، وحاكمه وأعدمه البريطانيّون في نيويورك. أمّا الجنرال "هاو" الذي كان يخشى من شنّ هجوم على المدينة، فأصدر الأمر إلى "ويليام كيننغهام"، قائد الشرطة العسكريّة المتوحّش، وقال شهود عيان إنّ "هيل" نطق بالكلمات الآتية: "إنّي ليؤسفني ألاّ يكون لي سوى روح واحدة أفقدها من أجل بلادي". وقال أحد النقباء البريطانيّين إنّ "هيل" كان هادئًا واحتفظ بكرامته حتّى آخر لحظة.

وتطوّع "ناثان هيل" أحد سكّان ولاية "كونيكتيكت" الأميركيّة، وأحد خرّيجي جامعة "يال" بالخدمة كجاسوس في إحدى المهام المخابراتيّة لصالح الجنرال "واشنطن". وكان "هيل" عالمًا ورياضيًّا ووطنيًّا، حصل على درجة الدبلوم من نيويورك، ليواصل بعد ذلك دراساته العليا. أُلقي القبض عليه وحوكم، من جرّاء خديعة وغدر أحد الأميركيّين المؤيّدين لإنكلترا. وعلى الرغم من أنّ "هيل" يُعتبر أوّل بطل وجاسوس لأميركا، إلاّ أنّ أحد رفاق دراسته "الميجور بنيامين تالميدج" كان جاسوسًا ناجحًا للغاية وقام بتنظيم حلقة تُعدّ اليوم معقّدة بمعايير الزمن الحاضر. واستخدم الجاسوسان الوطنيّان الشفرات والرموز والحبر السريّ والأسماء المستعارة وكافّة أنواع الرسائل.

دونوفان الشهير بـ "وايلد بيل"

وُلد وليم جوزيف دونوفان في أول كانون الثاني - ينـاير عـام ١٨٨٣ فـي مدينـة "بافالو" في نيويورك. أتى أجداده مهاجرين إلى الولايات المتّحدة من "كونتي كورك" في إيرلندا. تخرّج من كليّة "كولومبيا" ومدرسة الحقـوق وشـرع فـي تلقّـي التدريبـات علـى القانون في "بافالو". وبينما كان يمارس تدريباته القانونيّة التحق، في نيويـورك، بسـلاح الحرس الوطنيّ، وسرعان ما أصبح نقيبًا. وفـي فـترة مبكـرة مـن عـام ١٩١٦، قبيـل تورّط أميركا في الحرب العالميّة الأولى، عبر أوروبّـا طـولاً وعرضًـا يكتـب التقـارير عن جهود الإغاثـة الأميركيّة. عـام ١٩٨١ كشـفت وكالـة المخـابرات المركزيّـة أنّ "دونوفان" تلقّى، في ذلك الحين على ما يبدو، تدريبات على المخـابرات العسـكريّة مـن جانب البريطانيّين. وفي صيف ١٩١٦ تـمّ تعبئـة وحـدة سـلاح الحـرس الوطنـيّ للقيـام بواجب الوطـن علـى حـدود المكسيك ضدّ "بـاكوفيلا" قـاطع الطريـق والمتمـرّد علـى الحكومة، ولذلـك عـاد إلـى أرض الوطـن ليشـارك فـي ذلـك، إلاّ أنّ الولايـات المتّحـدة سرعان ما دخلت طرفًا في الحرب العالميّة الأولى. وأخـيرًا عُهـد لـ "دونوفـان" بقيـادة "الفوج المقاتل الـ ٦٩" التابع لنيويورك. وكان هذا الفـوج جـزءًا مـن فرقـة قـوس قـزح العسكريّة. وحارب في عدد من المعارك وتلقّى خسائر فادحة. "ودونوفان" نفسه أُصيب بجراح وفاز بجائزة الصليب المتميّزة والقلب الأرجوانـيّ التـي هـي عبـارة عـن وسـام أميركيّ لجرحى الحرب، وأرفع ميداليّة يقدّمها الوطن هي ميدالية الكونغرس الشـرفيّة. وعاد إلى بلاده بطلاً.

بعد الحرب استأنف "دونوفان" تدريباته وممارسته القانونيّة، وأصبح يعمل في السياسة وتولّى وظيفة محام بوزارة العدل يترافع ويكسب القضايا أمام المحكمة العليا. وفي عام ١٩٣٢ رشّح نفسه لخوض الانتخابات التي نجح فيها بجدارة مرشّحًا عن الحزب الجمهوريّ ليتولّى منصب محافظ نيويورك. وفي نيسان ـ إبريل من عام ١٩٤١ أرسل "دونوفان" إلى صديقه الحميم وزير الخارجيّة "فرانك نوكس" تقريرًا عن إقامة وبناء وكالة مخابرات مركزيّة أميركيّة جديدة. وفي التقرير ذكر أفكاره بشأن تنظيم مثل هذه المؤسّسة قائلاً: "إنّ عمليّات جهاز المخابرات لا يجب أبدًا أن تتمّ إدارتها عن طريق الضروريّات والمقتضيات الحزبيّة. إنّها واحدة من أكثر الوسائل حيويّة للدفاع القوميّ. وطالما كانت الحالة هكذا، فإنّه يجب أن يرأسها شخص يتمّ تعيينه من جانب الرئيس مباشرة ويكون مسؤولاً أمامه وليس أمام أيّ مخلوق آخر. ويجب أن يكون لها أرصدتها المخصّصة فحسب لأغراض التحقيقات الأجنبيّة الخارجيّة والنفقات تحت البند هذا يجب أن تكون سريّة ويطّلع عليها الرئيس فقط".

ويُذكر أنّ "دونوفان" كان يؤمن بأنّ الجهاز يجب ألاّ يسلب الواجبات والأعمال الداخليّة التي يطّلع بها مكتب المباحث الفدراليّة والمنظّمات العسكريّة للتخابر. بل على العكس من ذلك يجب، أوّلاً: أن يكون للمخابرات المركزيّة مهمّة التخابر في خارج البلاد فقط؛ ثانيًا: أن تنسّق الأنشطة الخاصّة بالملحقين العسكريّين والبحريّين وغيرهم في جمع المعلومات خارج البلاد؛ وثالثًا: تصنيف وتفسير جميع المعلومات الواردة من كافّة المصادر مهما كانت هذه المصادر، ثمّ تُقدّم للرئيس تمهيدًا لاتّخاذ القرار المناسب في ضوء هذه المعلومات. فضلاً عن ضمان التعاون الشامل لجميع الإدارات. وكان "دونوفان" يقترح أن يعيّن الرئيس لجنة استشاريّة "تتكوّن من مساعدي وزراء الخارجيّة والحرب والبحريّة والعدل على الأقلّ...".

قام "دونوفان"، مدير مكتب الخدمات الاستراتيجيّة، بمواصلة رحلاته حول العالم وقام بزيارات عديدة لأوروبّا إبّان الحرب. ويصف رفاقه طاقته وأنشطته بأنّها فوق القدرات البشريّة. كان "دونوفان" يعتقد، مثل تشرشل، أنّ الحرب الحديثة تشتعل على أكثر من جبهة بخلاف جبهات القتال، وأنّ "كلّ محارب يسعى نحو السيطرة والسيادة على حقل الاتّصالات برمّته". وبالتالي، لن يكون ثمّة نظام دفاعيّ ذا فعاليّة ما لم يعترف بهذه الحقيقة ويتعامل معها وفقًا للواقع.

كان يُطلق على "ويليام ستيفنسون" اسم "دونوفان ك.". وبعد الحرب كان "ستيفنسون" يزعم أنّ ذلك كان اسمه المستعار الوحيد. إلاّ أنّ الحقائق تقول بأنّه استخدم أسماء عديدة إبّان الحرب.

وعلم المسؤولون أنّ اختيار "دونوفان" ليترأس المنظمّة الجديدة بمثابة عامل هامّ في بدء تشغيلها بنجاح. وبجانب ذلك، نظر المسؤولون في تعيين صديقه في الرحلات ورفيق حياته "المستر فينسنت آستور"، وكذلك عمدة مدينة نيويورك "فيويللا لاغارديا"، ليتعاونا معه. أمّا "هوفر" ورجل الأعمال "نيلسون روكفلير" فقد كانا كذلك من بين الأسماء المرشّحة.

وبنهاية شهر أيّار - مايو عام ١٩٤١، أكمل "دونوفان" ورقته المسمّاة: "مذكّرة عن تأسيس وإقامة جهاز المعلومات الاستراتيجيّة"، وقدمّها إلى المسؤولين بالدولة. وفي ١٨ حزيران - يونيو، تمّ استدعاء "دونوفان" إلى البيت الأبيض لمناقشة ما كتبه في مذكّرته. وفي نفس ذلك اليوم، وافق الرئيس على الخطّة وأصدر أوامره بإنشاء وتكوين ما يُطلق عليه مبدئيًّا: "مكتب منسّق المعلومات". ولقب "منسّق المعلومات" أطلقه الرئيس "تيودور روزفلت على "دونوفان". أمّا أخبار مكتب منسّق المعلومات الذي تمّ إنشاؤه رسميًّا في ١١ تمّوز - يوليو، فقد رحّب به، بحماس بالغ، البريطانيّون الذين كانوا

يضغطون على الإدارة الأميركيّة من أجل القيام بالتعاون في مجال المخابرات بين كلّ من إنكلترا والولايات المتّحدة، وفي نيويورك، أرسل صديق "دونوفان" الحميم "المستر ويليام ستيفنسون - وهو الذي أصبح في ما بعد المستر ويليام - ويُعرف الآن باسم "أنتربيد" برقيّة إلى السيّد "مينريز" في لندن تقول: "بوسعك أن تتخيّل كم أعبّر لك عن ارتياحي... بعد ثلاثة أشهر من المعارك والمناورة في واشنطن أصبح رجلنا الآن يحتلّ منصبًا بهذا القدر من الأهمّيّة لجهودنا المشتركة". وعلى غير توقّع، لم تلقَ أخبار تأسيس المكتب الترحيب في برلين، وبعد فترة وجيزة من بيرل هاربور ودخول الأميركيّين الحرب، أصدرت آلة الدعاية الألمانيّة التقرير التالي: "تمّ خلق وتأسيس مكتب سريّ خلف الكواليس في واشنطن هو مكتب لا يصل إليه إلاّ القليل من القوم، وهذ المكتب الجديد يعمل تحت الرئاسة الشخصيّة للكولونيل دونوفان".

أثناء الثلاثينات وأوائل الأربعينات قام "دونوفان" برحلات عديدة إلى أوروبّا لصالح أعماله التجاريّة الخاصّة ولصالح جهاز المخابرات الرسميّ الذي كان يعمل لحسابه. والآتي عبارة عن خطّ سير وجدول رحلاته الكبرى. فالرحلة الأولى هي عبارة عن مجموعة مركّبة من الزيارات الشخصيّة في ربيع وصيف ١٩٣٩، والثانية عبارة عن رحلة قام بها عام ١٩٤١ تنفيذًا لتوجيهات جهاز المخابرات الخاصّ به. وفي ما يتعلّق بالرحلة الأولى فقد توجّه فيها إلى إسبانيا حيث زار قوّات الدكتاتور "فرانكو" في معركة نهر "إيبرو" ونجا هنالك من محاولة اغتياله بإلقاء قنبلة يدويّة عليه. ثمّ زار ألمانيا حيث حضر مناورات الجيش الألمانيّ بالقرب من "نوريمبرغ". ثمّ زار فرنسا وبلجيكا ولوكسمبورغ وهولّندا واسكندينافيا حيث اجتمع مع رؤساء الحكومات وكبار رجال العسكريّة. كما زار ليبيا والمملكة المتّحدة واجتمع مع تشرشل وتشمبرلين وستيوارد مينريز. أمّا الرحلة الثانية فكانت رسميّة لحساب جهاز المخابرات حيث زار

كلاً من المملكة المتّحدة وجبل طارق، ومالطة والقاهرة وأثينا وبلغراد وصوفيا، وأثينا للمرّة الثانية، وألبانيا وتركيا وقبرص وفلسطين، والقاهرة ومالطة للمرّة الثانية، ثمّ مدريد ولشبونة ولندن ودبلن.

لقد تضخّم مكتب مخابرات الكولونيل "دونوفان" ليصبح أوسع جهاز للجاسوسيّة والتخريب يمكن أن يوجد في أيّ دولة أنجلوساكسونيّة حتّى الآن. ومن المعترف به أنّ هدف "دونوفان" هو خلق طابور خامس هائل في أوروبّا وجنوب أميركا لصالح الرئيس الأميركيّ "تيودور روزفلت". إنّ محاولات التخريب والإرهاب والثورة والتمرّد والفساد والرشوة كلّها كانت أهدافًا رئيسيّة أمام برنامج "روزفلت - دونوفان".

"وايلد بيل"، كما كان يُعرف في أميركا، برز للأنظار، للمرّة الأولى، حينما أرسل "روزفلت" به كمبعوث خاصّ إلى جنوب أوروبّا لكي يحرّض الشعوب على التمرّد ضدّ ألمانيا. أمّا الدور الذي لعبه الكولونيل "دونوفان" في بلغراد فلا يزال ماثلاً في الأذهان ويمكن أن يوجَّه إليه اللوم بسبب ما أحدثه من مآسٍ تراجيديّة في الصرب...".

كان "دونوفان، الذي تخفّى وراء اسم "منسّق المعلومات"، يدبّر أزمة اليهود مع الديمقراطيّات التي اجتاحت كلّ أوروبّا. وكان "دونوفان" ذا سلطات غير محدودة. وكان بوسعه إنفاق أيّ مبلغ يريده من المال. وكان بمقدوره أن يكلّف عددًا كبيرًا من المساعدين كيفما يشاء ويختار، كما كان يستطيع أن يجمع أيّ معلومات يريدها.

لقد تعزّز إيمان "روزفلت" بجدوى وأهميّة مكتب منسقّ المعلومات بعد كارثة بيرل هاربور التي كان من الممكن تفاديها لو كان هناك جهاز يقوم بالتنسق بين كافّة وكالات المخابرات الفرعيّة الأميركيّة. وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٨ كانون الأوّل - ديسمبر قال "روزفلت" لـ "دونوفان" وهو يتناول معه الطعام في نهاية يوم عمل طويل من المؤتمرات في البيت الأبيض، وكان على يقين من أهميّة الجهاز الذي يقوم

بالتنسيق بين خدمات المخابرات في فترات الحروب، "لقد كان عملاً جليلاً منكم أن تدفعني إلى إنشاء ذلك الجهاز".

في أعقاب الحرب العالميّة الثانية أصبح "دونوفان" مساعدًا للنائب العام في محاكمات "نورمبرغ" الشهيرة لمجرمي الحرب العالميّة، إلاّ أنّه تركها قبيل بدء المحاكمات، وعاد آنذاك إلى أعماله القانونيّة. وخدم أيضًا كمستشار حكوميّ. وفي ٢٩ تمّوز - يوليو ١٩٥٣، عيّنه الرئيس "أيزنهاور" سفيرًا في تايلاند، ومكث يخدم في ذلك المنصب حتّى قدّم استقالته في أيلول - سبتمبر ١٩٥٤، وعاد مرّة ثانية إلى القانون والاستشارات القضائيّة. وتوفّي في ٨ شباط ـ فبراير ١٩٥٩، ودُفن في مقابر "أرلنغتون" القوميّة في واشنطن. والجدير بالذكر أنّ "دونوفان" عمل مستشارًا قانونيًّا للعديد من الشركات الأميركيّة الكبرى بما في ذلك شركة "كليرشينو" للنقل الجويّ المدنيّ. وكان لـ "دونوفان" ابنة صغيرة، كما كان له ابن تزوّج من فتاة تُدعى "ماري غراندين"، وزاروا جميعهم بانكوك معه بعد مقابلته الرئيس الأميركيّ "أيزنهاور" الذي كلّفه بالعمل هناك في تايلاند كسفير لبلاده في الهند الصينيّة.

كان "دونوفان" واحدًا من القلائل الذين أدركوا الحاجة الماسّة إلى جهاز قويّ للمخابرات والحاجة إلى مساعدة إنكلترا. وفي ما بين ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ وقعت أحداث "المناظرة العظمى" التي دارت رحاها في الكونغرس، وفي اللقاءات الشعبيّة العامّة، وعلى الأثير في الراديو وداخل أروقة الجامعات، وفي كلّ مكان يمكن أن يحتشد فيه القوم. وكانت كبرى وأوسع الجماعات الانعزاليّة هي "لجنة أميركا الأولى" التي كانت معادية للساميّة ولإنكلترا. وكان هناك أيضًا الجماعات الفاشيّة والشيوعيّة التي تعارض تورّط الولايات المتّحدة في أيّ حرب، أو دخولها طرفًا في النزاعات الدوليّة الكبرى التي شغلت الأمم في ذلك العهد المتقلّب غير المستقرّ.

تركة "دونوفان"

كان "دونوفان" ماهرًا في كيفيّة التجنيد والتدريب والإلهام. وقد ساعده نفوذه في توجيه الرجال الأربعة الذين سيأتي ذكرهم لاحقًا، ليصلوا إلى منصب مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. ولقد أظهر هؤلاء المدراء الأربعة للمخابرات المركزيّة كيف أنّ أميركا ندٌّ كفوء لخوض لعبة الجاسوسيّة الجديدة. ويُعتبر الرجال الأربعة من أفضل المدراء الذين تولّوا قيادة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. فضلاً عن ذلك، اتّبع كلّ واحد منهم، واقتفى أثر الفلسفة الأساسيّة التي أقام أركانها وأسّسها "دونوفان" لخدمة المخابرات الأميركيّة، ألا وهي أساليب جمع المعلومات الممتازة بغرض التخابر والأنشطة السريّة.

آلن ويلش دالاس: كان "آلن ويلش دالاس" رئيسًا سابقًا لمكتب الخدمات الاستراتيجيّة في سويسرا، سار على نهج وهدى الخطوط الإرشاديّة التي أرساها "دونوفان" لجمع المعلومات والعمليّات الخفيّة، ويُعدّ واحدًا من أكثر أساتذة الجاسوسيّة نجاحًا. وكانت قيادته حاسمة في المراحل المبكرة من حياة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

ريتشارد هيلمز: خدم "ريتشارد هيلمز" مع "دونوفان" إبّان عهد مكتب الخدمات الاستراتيجيّة. عيّنه الرئيس "جونسون" مديرًا لجهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، تضاعفت في أيّامه ميزانيّة هذا الجهاز أربعة أضعاف إذا قورنت بميزانيّته عند تأسيسه عام ١٩٤٧. عهد إليه المسؤولون بإجراء التوسّعات المهنيّة في العمليّات السريّة.

ويليام إيجان كولبي: حقوقيّ وُلد سنة ١٩٢٠ في مدينة "سانت بول" بولاية مينيسوتّا الأميركيّة، حاز بكالوريوس في الحقوق من جامعة كولومبيا ١٩٤٧، خدم في مكتب الخدمات الاستراتيجيّة ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥، زاول مهنة المحاماة في نيويورك ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠، رئيس قسم الشرق الأقصى في وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧، مدير العمليّات المدنيّة في وكالة التنمية الدوليّة ودعم التنمية الريفيّة بدرجة سفير ١٩٦٨ ـ ١٩٧١، مدير تنفيذيّ ومراقب الحسابات ونائب مدير الوكالة للعمليّات ١٩٧٣، مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٦ بتعيين من الرئيس ريتشارد نيكسون. قدّم "ويليام كولبي" خدمات جليلة وبطوليّة لرئيسه "دونوفان" خلف خطوط العدوّ في النرويج وفرنسا. خدم كمدير لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة إبّان عهدَي الرئيسَين "نيكسون" و"فورد". كما عمل محاميًا لشركة "دونوفان" القانونيّة في نيويورك.

ويليام كيسي: محام ورجل أعمال، وُلد ١٩١٣ في مدينة نيويورك، حائز بكالوريوس في العلوم من جامعة "فوردهام" ١٩٣٤، وبكالوريوس الحقوق من جامعة سانت جون ١٩٣٧، رئيس لفرع المخابرات الخاصّة في مسرح العمليّات الأوروبيّة ١٩٤٤، مساعد المستشار العام في المقرّ الأوروبيّ لخطّة مارشال ١٩٤٨، رئيس لجنة الأوراق الماليّة والبورصة ١٩٧١ ـــ ١٩٧٣، وكيل وزارة الخارجيّة للشؤون الاقتصاديّة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤، رئيس مجلس إدارة بنك "إكسبورت ـ إمبورت" للولايات المتّحدة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٦، عضو في اللجنة الاستشاريّة الرئيسيّة للمخابرات الأجنبيّة ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧، مدير الحملة الرئاسيّة للرئيس الأميركيّ الأسبق رونالد ريغن ١٩٨١ الذي عيّنه رئيسًا لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ١٩٨١. وكان "ويليام كيسي" رئيسًا لجهاز المخابرات السريّة في لندن تحت إمرة "دونوفان"، وقام بنجاح بتنظيم

العديد من العمليّات السـرّيّة وبتجنيد كثير من العمـلاء ليعملـوا داخـل كلّ مـن ألمانيـا وفرنسا... قبل أن يعيّنـه الرئيس الأمـيركيّ "رونـالد ريغـن" مديـرًا لوكالـة المخـابرات المركزيّة الأميركيّة. وإليه يُعـزى الفضـل فـي إعـادة القـوّة الكاملـة للوكالـة إلـى سـابق أمجادها.

مكتب الخدمات الاستراتيجيّة

أدخل الرئيس الأمـيركيّ "روزفلـت" أوّل جهـاز خدمـات للمخـابرات فـي الولايـات المتّحدة الأميركيّة عام ١٩٤١. وكان في الأصل يُسمّى "مكتب منسّـق المعلومـات"، ثـمّ أُعيد إطلاق اسم "مكتب الخدمات الاستراتيجيّة" عليه بعد مرور عام من التأسـيس. يقـع عقار المكتب في شارع ٢٣٤٠، في واشنطن دي. سي. ويُعدّ أوّل مبنـى يحتـوي علـى تسهيلات عمليّات جهاز المخابرات المركزيّة. وكـان "دونوفـان، البـالغ مـن العمـر ٥٧ عامًا رئيسًا لمكتب الخدمات الاسـتراتيجيّة وبطـلاً سـابقًا فـي الحـرب العالميّـة الأولـى، وكـان ذا أثـر بـالغ لأنّـه مليونـير ورئيـس إحـدى الشـركات القانونيّـة فـي شـارع "وول ستريت" كما كان رجلاً ذا حيويّة ونشاط وسعة حيلـة ودهـاء. أمّـا مهمّتـه الأصليّـة فقد كانت منحصرة في جمع وتحليل البيانات للرئيس من الأحداث العالميّة التي كانت تشكّل تهديدًا كامنًا لسلامة البلاد. وفي عهد "بيرل هاربور" كان الجهاز حديـث التأسـيس ولـم يكن له أيّ مركز للقوّة. وعلى الرغم من أنّ اليابانيّين استخدموا شفرة معقّدة تـمّ حلّهـا، إلاّ أنّ البيانات المجمّعة من رسائلهم لم يتمّ تحليلهـا أبدًا. ولـو كـان قـد تـمّ ذلـك لكـانت قدّمت دليلاً واضحًا على أنّ اليابانيّين كانوا يستهدفون ضرب "بيرل هاربور" في هجوم وشيك. أمّـا "دونوفـان"، الـذي كـان يتّصـف باتّقـاد قريحتـه وسـحره الطـاغي وتمسّـكه

بمعتقداته عن جهاز المخابرات الخاصّ به، فقد اشتغل حياله في إعداد شخصيّات لامعة لجهازه. وكان قادرًا على تجنيد بعض من ألمع وأنجح الشخصيّات في البلاد ليعملوا في منظّمته. وكانوا يشملون رجال المصارف، والمحامين ورجال الصناعة والشعراء وأساتذة الجامعات الأكاديميّين وكتّاب المسرح ورجال السينما. وكان من بينهم أسماء مثل "جيمس روزفلت" أحد أبناء المؤسّسات الأميركيّة العريقة في المخابرات، والدبلوماسيّ "جون فيلي"، والشاعر "أرخيبالد ماكليش"، وكاتب المسرح "روبرت شيروود"، و"أرثر شيلسنجر"، و"آلن دالاس"، ورجل السينما "جون فورد". وكان الهدف الواضح من ذلك التنوّع وتجنيد ذلك العدد الوفير من كافّة أعيان المجتمع ورجال الفكر والفنّ والصناعة والقانون والأدب وغيرهم، هو أنّ تضع المخابرات أيديها عل كافّة التيّارات الكبرى المؤثّرة التي تعمل في الداخل والخارج. وكان من بين أنشطة جهاز المخابرات الأميركيّة في الدعاية إبّان الحرب العالميّة الثانية تصميم صورة قبيحة للقائد الألمانيّ "هتلر" كانت على شكل صورة هيكل عظميّ، هيكل الموت، ممسكًا بالمنجل ليحصد آلاف الأرواح التي تراكمت جماجمهم وتناثرت أشلاؤها على وجهه، وتمّ إسقاطه على ألمانيا والأراضي المحتلّة. وكان فنّانو مكتب الخدمات الاستراتيجيّة يخترعون مثل هذا التصميم وغيره من إبداعاتهم. كما قاموا بإعداد سلسلة من الكتب الهزليّة وتمّ تصميمها لتناسب وتلائم مزاج الجنود الألمان. وكانت تلك الكتب الهزليّة تحتوي عادة على قصص فاحشة عن "هتلر" و"جويرنج" وغيرهما من الزعماء النازيّين. فإذا عثروا على جنديّ معه أحد الأساليب الدعائيّة كانوا يحيلونه إلى المحكمة العسكريّة للتأديب ما يتسبّب في إحداث مشكلات في الروح المعنويّة للجنود الألمان، وكان هذا على الأقلّ هو نيّة وقصد مكتب الخدمات الاستراتيجيّة، الذي قام أيضًا بتزوير الوثائق وإصدار الصحف الخاصّة به، والمطابع والمشاريع الخاصّة بالنشر.

تنظيم مكتب الخدمات الاستراتيجيّة

شجّع الزعيم البريطانيّ "ونستون تشرشل" والحكومة البريطانيّة مفهوم وفكرة قيام جهاز خدمة المخابرات الأميركيّة. وكانوا توّاقين لحشد مواردهم مع موارد الحلفاء الرسميّة، إلاّ أنّهم كانوا ينشدون الطمأنينة في أنّ المخابرات الحسّاسة سوف يتمّ تناولها بعناية وبدون مخاطرة في ما يتعلّق بمصادر المعلومات. وهذا أمر كان يحتّم الحصول على عناصر مدرّبة وعالية المهارة. وقد لاحظ "ويليام دونوفان" أنّ الأساليب والمناهج البريطانيّة في العمل يمكن الأخذ بها في مكتب الخدمات الاستراتيجيّة التابع له. وسرعان ما أدرك أهميّة الجاسوسيّة المضادّة والسيطرة على الجاسوسيّة الألمانيّة التي، عن طريقها، تمّ تغذية الأعداء بالمعلومات الزائفة والتحاليل الخفيّة التي اخترقت مخابرات العدوّ. وكلّ تلك الأساليب استخدمها مكتب الخدمات الاستراتيجيّة بنجاح بالغ. ومن حين لآخر تُصدر وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بعضًا من وثائقها والأعمال الدعائيّة من رسوم وتصوير وخلافه من التصميمات لكي يطّلع عليها الجمهور بعد مضيّ فترة معيّنة من الزمن. وكانت المخابرات قد أطلقت، أخيرًا، ما يزيد عن ٧,٠٠٠ صورة وأكثر من ٢٥٠ فيلمًا لإيداعها في الأراشيف القوميّة عبر البلاد. ومن بين الصور واحدة لقطار نسفه الألمان في فرنسا عشيّة اليوم "ي" وهو اليوم المحدّد لشنّ الهجوم والقيام بالعمليّة العسكريّة.

أصدر الرئيس الأميركيّ الأسبق "تيودور روزفلت" تعليماته إلى الجنرال "أيزنهاور" بأن يتعاون تعاونًا وثيقًا مع مكتب الخدمات الاستراتيجيّة وعمليّاتها. وبالرغم من رفض "أيزنهاور" في البداية، إلاّ أنّ توسُّع مكتب الخدمات الاستراتيجيّة ونجاحه،

أقنعا الجنرال "أيزنهاور" بضرورة هذه العمليّات السريّة والخفيّة أثناء الحروب وبعدها على السواء.

لقد استخدم مكتب الخدمات الاستراتيجيّة كلاً من العمليّات الخفيّة والعلنيّة، وقام رجاله بتدريب فرق العمل شبه العسكريّ، وكانوا يهبطون بمظلاّتهم خلف خطوط العدوّ للقيام بالتخريب ومساندة قوّات حرب العصابات، وإرسال البيانات الهامّة إلى المقرّ. وكان قد تمّ التقدير بأنّ فريقًا قوامه ٩٢ شخصًا من شأنه أن يفي بالتزاماته الخاصّة بالمنظّمة. ومنذ بداية عمله، خصّص المكتب الرئيسيّ مكتبَين آخرَين في واشنطن، ثمّ سرعان ما توسّع توسّعًا عجيبًا إذ إنّه صار أمبراطوريّة سريّة تشمل حوالي ١٦,٠٠٠ مكتبًا فرعيًّا بما في ذلك أعداد العاملين سواء في الداخل أو في الخارج. فعلى الصعيد الداخليّ عملوا في مجمّع من المباني كانت كلّها تمثّل عنوانًا واحدًا هو الشارع ٢٤٣٠ واشنطن دي. سي. وكان مكتب الخدمات الاستراتيجيّة يلقى التمويل بدرجة واسعة من الأرصدة والأموال السريّة. أمّا نفقات "دونوفان" فكانت تلقى أقلّ درجة من الفحص والتدقيق من الناحية الرسميّة. وحينما احتاج إلى ميزانيّة عمل قوامها ١٠ ملايين دولار، تواردت عليه الأموال بدون أيّ قيود رسميّة تُذكر. وكان عليه، فقط، أن يضع توقيعه على شهادة بأنّ المال قد تمّ صرفه من أجل الصالح العامّ. ولقد أصبح مكتب الخدمات الاستراتيجيّة قوّة رئيسيّة للأحداث في العالم إبّان الحرب العالميّة الثانية، وكان قاعدة وأساس وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة العاملة الآن في أميركا.

المشعل الكشّاف

كان واضحًا أنّ احتلال شمال أفريقيا سوف يصبح عاملاً حاسمًا في نتيجة الحرب. وفي عام ١٩٤٢ كان البحث جاريًا عن زعيم قويّ "كاريزميّ" فرنسيّ يستطيع أن يشعل حركة ثوران ويصهر أنصار "شارل دي غول" والفصائل السياسيّة الأخرى معًا، ليشكّل وحدة واحدة ضدّ الحكومة التي يسيطر عليها النازيّون.

كان الأدميرال "جان دارلان" المفوّض الساميّ الفرنسيّ في أفريقيا الشماليّة، قد قُتل في محاولة اغتيال ناجحة. وكان يُعتقد، لسنوات طويلة خلت، أنّ "دارلان" لقي حتفه بسبب تعاطفه مع الألمان، إلى أن كشفت الوثائق أخيرًا، أنّ مكتب الخدمات الاستراتيجيّة كان متورّطًا في عمليّة الاغتيال انتقامًا من "دارلان" بسبب عدم مساندته في هبوط القوّات الأميركيّة في شمال أفريقيا. وكان الجنرال "أيزنهاور" يشعر بأنّ عدم مساندة "دارلان" هي السبب المباشر في سقوط آلاف القتلى والجرحى بغير ضرورة. وكان "دارلان" قد وعد مكتب الخدمات الاستراتيجيّة بأنّ القوّات الفرنسيّة لن تعيق عمليّات الهبوط الأميركيّة. ويُعتبَر "كارليتون كوون"، رجل "دونوفان" ومكتب الخدمات الاستراتيجيّة في شمال أفريقيا، متورّطًا ومسؤولاً عن المفاوضات مع "دارلان" وكان يعلم الجهة التي تقف وراء اغتياله.

لقد أصبحت كافّة نواحي عمليّات المخابرات ذات أهميّة حيويّة لعمليّة الإنزال الأميركيّ في شمال أفريقيا، وهي العمليّة المعروفة باسم "المشعل الكشّاف" أو "تورش" والتي وقعت أحداثها في ٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر من عام ١٩٤٢. وقد تمّ بحث ومسح

كافّة شواطئ الهبوط والسهول وعادات وتقاليد البلاد بحثًا تامًّا شاملاً، بينما كان العملاء السريّون في الأراضي المحايدة من الأرض الفرنسيّة غير المحتلّة قد أصبحوا وسطاء ذوي نفع وجدوى في اختبار وتشكيل التفكير السياسيّ للقوّات المسلّحة الفرنسيّة. وظلّوا متعاونين وحريصين على ذلك ولقوا مساندة قويّة للولايات المتّحدة بين أغلبيّة الجيش الفرنسيّ. ولو فرض أنّهم أخذوا الفرصة لتحرير فرنسا، لاختاروا التعاون مع الأميركيّين وليس الألمان. وكانت هذه هي أوّل عمليّة هامّة للمكتب خارج البلاد وفي ما وراء البحار، وكان "ويليام دونوفان" مدركًا، تمامًا، المخاطر ولحرج هذه المهام وطبيعتها الخاصّة. وكانت المهمّة بمثابة حقل ألغام للمخاطر الكامنة، إلاّ أنّ "دونوفان" حسم الأمر بوضوح واتّخذ القرار الذي كان حتميًّا. وكان حيويًّا، حسبما قال، أن يتجنّب أيّ عمل من شأنه أن يقحم الأسطول الفرنسيّ في الحرب بجانب الأعداء، وكذلك عدم السماح للألمان بأن يحتلّوا شمال أفريقيا الفرنسيّة دون الأسطول والجيش الفرنسيَّين اللذَين تمّ حشدهما للنزال والعراك مع الألمان. كما كان الأمر على نفس القدر من الأهميّة في ألاّ يتمّ استفزاز الفرنسيّين أو التحرّش بهم ليقوموا بشنّ هجوم ضدّ القوّات الفرنسيّة. وكان من المتّفق عليه بين الجميع أنّ الحلفاء أرادوا قتال الألمان وليس الفرنسيّين. وتمثّل الهدف الذي وضعه مكتب الخدمات الاستراتيجيّة نصب عينَيه ممارسًا أقصى درجات المهارة الدبلوماسيّة هو إفساح الطريق أمام المواجهة القاسية والعنيفة المقبلة الوشيكة عن طريق استثمار الاتّصالات السريّة أو المصادر الخفيّة التي ربّما تضمن لهم هبوطًا غير معرّض للاعتراض والقتال. وظهر من بين شبكة عمليّاتهم تحت الأرضيّة الخفيّة اسم الجنرال "هنري جيرود" وهو أحد ضبّاط الجيش المهنيّين والرجل الوطنيّ المخلص الذي هرب عائدًا إلى وطنه الفرنسيّ بعد استيلاء الألمان عليه. ولقد حصل مكتب الخدمات الاستراتيجيّة على الرسائل الخاصّة والوثائق

السريّة التي تشير إلى أنّ الجنرال كانت طريقه وسريرة قلبه تنطوي على القيام بعصيان مسلّح وطنيّ ضدّ الألمان. إنّ كلّ الدلائل أوصت باتّخاذه زعيمًا، ما حدا بمكتب الخدمات الاستراتيجيّة إلى ترتيب لقاء بينه، أي جيرود، وممثّلي كبار رجال القوّات العسكريّة الأميركيّة. إلاّ أنّه، في التقييم النهائيّ، كان الجنرال الفرنسيّ قادرًا على الالتحاق مع قوى الحلفاء في جبل طارق، بعد ساعات قليلة فقط قبيل الهبوط. وفي تلك اللحظة صار "جيرود" مصدر إرباك للجنرال "أيزنهاور" حينما طالب بأن يُعهد إليه بقيادة عمليّة الغزو، وكان يقول بأنّ الشرف العسكريّ الفرنسيّ يمنعه من المشاركة بدون رتبة عسكريّة رفيعة. وفي ما بعد، قام مكتب الخدمات الاستراتيجيّة بالعمل كوسيط مشترك بين القوّات العسكريّة الأميركيّة في تأسيس وإقامة اتّفاق مع الجنرال "جان دارلان" أدميرال "فيشي" الذي أوقف القتال في مقابل تنصيبه مفوّضًا ساميًا في شمال أفريقيا. أمّا "جيرود" فقد تلقّى منصبًا أدنى وهو قائد القوّات العسكريّة.

لقد أمّنت إنجازات مكتب الخدمات الاستراتيجيّة في شمال أفريقيا، على الرغم من أنّها لم تحظَ بالنجاح الشامل، سمعة طيّبة للجهاز الاستخباريّ. وأصبح معترفًا برجاله من قِبَل القيادة العسكريّة الأوروبيّة على أنّهم مهرة في مناطق الأنشطة السريّة والعمليّات شبه العسكريّة والمناورات الدبلوماسيّة والسياسيّة. وجدير بالذكر أنّ الجهاز الأميركيّ، حين كان يدرّب أحد العملاء على نسف أحد أعمدة وخطوط الهاتف، كان يعلّمه على السريّة والكفاءة والسرعة، ما يؤدّي إلى دقّة التنفيذ. وقام مكتب الخدمات الاستراتيجيّة بتدريب آلاف العملاء في الأراضي المحتلّة الأجنبيّة حتّى يتقنوا أعمال تخريب السكك الحديديّة ومحطّات التحويلات وخطوط التلغراف والاتّصالات. ولقد تعرّضت التعزيزات الألمانيّة أثناء الغزو في "نورماندي" إلى عمليّات تأخير بالغة الخطورة قامت بها تكتيكات مكتب الخدمات الاستراتيجيّة.

يوم شنّ الهجوم

في فترة متأخّرة من ربيع سنة ١٩٤٤، حيث كان غزو فرنسا، الذي طال انتظاره لا يزال وشيك الوقوع، كرّس مكتب الخدمات الاستراتيجيّة جهوده لجمع كلّ هملة من المعلومات ذات المغزى التي من شأنها أن تساهم في إحراز النجاح للحلفاء. وكانت العمليّات شبه العسكريّة التي تمّت في البحر المتوسّط قبلاً قد برهنت ودلّلت على الأهميّة الاستراتيجيّة باختراق فرنسا اختراقًا متقنًا حاشدًا مئات العملاء الذين تورّطوا في العمليّات السريّة. وكان بعض العملاء يهبطون بالمظلاّت في الأراضي المحتلّة، أمّا الآخرون فقد اقتحموا البلاد عبر "البرانس" وهي الجبال وسلاسل المرتفعات التي تفصل بين فرنسا وإسبانيا، ثمّ هبطوا تحت غطاء الظلام وستاره، عن طريق الغوّاصات أو الزوارق السريعة. ومتى دخلوا فرنسا، يتمّ تهريبهم إلى المخابئ السريّة تحت الأرض حيث يتوافر لهم عنصر السلامة والأمان.

أدّى وجود شبكة من البيوت والمنازل المخصّصة للترحيب بهم عبر فرنسا إلى توفير الغطاء الواقي، كما أمدّتهم بتسهيلات المواصلات وإرسال المعلومات الحيويّة والحسّاسة إلى رؤسائهم عن طريق أجهزة اللاسلكيّ الخاصّة. فأرسلوا باللاسلكيّ الأخبار عن أنّ فرقة "بانزر ليهر" الألمانيّة قد شوهدت في فرنسا وليست على الجبهة الروسيّة كما كان معتقدًا وشائعًا. فكان باستطاعة "أيزنهاور" الذي كان مسلّحًا تسليحًا عاليًا أن يضرب أقصى وأقوى ضرباته بقوّاته الطاحنة التي تميّزت بأنّها من صفوة القوّات الأميركيّة. ولقد تمكّن عملاء مكتب الخدمات الاستراتيجيّة من الاستيلاء على الخطط الخاصّة بمصنعَين من مصانع الانتاج الحربيّ الشامل والوفير، ومصنع

للمتفجّرات ومصنع لتكرير البترول، وهو الذي أصبح هدفًا للهجوم من جانب طائرات الحلفاء. وتمّ قصف ونسف وتدمير كلّ من الموقعَين.

أمّا العملاء الفرنسيّون المهرة فقد تمّ إنزالهم بالمظلاّت في فرنسا لتسليح وتدريب وقيادة حركات وتحرّكات المقاومة الفرنسيّة العاملة في الداخل، وتبيّن خرائط جهاز المخابرات المركزيّة الأميركيّة كيف أنّ مكتب الخدمات الاستراتيجيّة كان له، في كلّ دولة، فرع وكان يغطّي بذلك معظم أرجاء العالم بما في ذلك الصين. وكانت تحتوي مواقع فروع مكتب الخدمات الاستراتيجيّة الفرعيّة على مكاتب ذات أعداد كبيرة من العاملين ومكامن سريّة وقواعد تدريب سريّة ومحطّات إرسال لاسلكيّة ومقار أخرى لاعتراض الشيفرات والتصدّي للعمليّات الخفيّة في المسرح الأوروبيّ. وخلال الحرب تمّ تنفيذ بعض عمليّات الجاسوسيّة ضدّ السوفيات، إلاّ أنّها لم تحرز نجاحًا بسبب الإجراءات السوفياتيّة المضادّة. وكان كلّ فريق يتكوّن من ثلاثة ضبّاط من الحلفاء ومشغل لاسلكيّ يعمل مع عدد كبير من مقاتلي القوّات المقاومة الفرنسيّة. وكانت قوّة مقدارها خمسين ألفًا من الفرنسيّين قد انضمّت إلى "المالكي" وهم مقاتلو حركة المقاومة الفرنسيّة ضدّ المحتلّين الألمان خلال الحرب العالميّة الثانية، ثمّ صار "المالكي" يتضخّم ويقوى شيئًا فشيئًا يوميًّا. وكانت وظيفة تلك القوّات هي تزويد المقاومة بالعتاد والتدريبات التامّة على فنون الجاسوسيّة، واستخدام المتفجّرات والرعاية الصحيّة والقنص بالبنادق. وكان يتمّ إسقاط آلاف الأطنان من الأسلحة والذخائر إلى البلاد إبّان عمليّات الإبرار الجويّ المكثّفة من جانب البريطانيّين والأميركيّين. وكانوا، حسبما أملته عليهم أهدافهم العليا، وباستخدام الاتّصالات اللاسلكيّة مع لندن، يضعون أيدي القائد الأعلى للحلفاء الجنرال "أيزنهاور" على كلّ صغيرة وكبيرة بالحركة كلّها.

وفي خلال الأسابيع الأخيرة قبل شنّ الغزو، أعدّ "ويليام دونوفان" رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجيّة، ملفًا سريًّا للغاية وكاملاً يحتوي على تقارير عن معلومات دراميّة خطيرة استقاها "آلن دالاس" ممثّل الوكالة في سويسرا. ولقد اقترحت مجموعة من الجواسيس الألمان السريّين المبعوثين لألمانيا، وكان من بينهم شخصيّات عسكريّة ذات مراتب عسكريّة رفيعة، الإطاحة بالزعيم "هتلر" والنظام النازيّ. وقام المتآمرون بمحاولة عقد صفقة مع مكتب الخدمات الاستراتيجيّة وأعلنوا نواياهم وهي تنفيذ الإطاحة بـ "هتلر" ونظامه النازيّ شرط أن يتلقّوا تأكيدات على الدخول في مفاوضات مباشرة مع القوى الغربيّة، أي الحلفاء، في ما بعد. هذه المعلومات أدخلت في قلوب الحلفاء الجرأة والشجاعة ونفاذ البصيرة إلى المخاوف الكامنة التي تسيطر على صفوف العدوّ النازيّ. فضلاً عن ذلك، أضحى مسار الحلفاء في الحرب واضحًا، ألا وهو أنّ تلك الحرب الضروس سوف يتمّ إنهاؤها بالوسائل العسكريّة فحسب.

كانت مقار جهاز المخابرات البريطانيّة السريّة تقع في منطقة "باتشلي بارك" في إنكلترا، حيث يتمّ تخطيط العمليّات التخابريّة مع جهاز الـ "ألترا" الذي لم يتمّ كشف أسراره إلاّ بعد ثلاثين عامًا من نهاية الحرب. أمّا مادّة "ألترا"، وهي الرسائل التي تمّ فكّ شيفرتها ورموزها الخاصّة بالقيادة العسكريّة الألمانيّة، فقد كانت تزوّد مكتب الخدمات الاستراتيجيّة بالمعلومات الضروريّة ذات القيمة العالية عن العمليّات العسكريّة. وكان مكتب الخدمات الاستراتيجيّة يدير أيضًا عمليّاته الخاصّة باعتراض وفكّ رموز الشيفرات والإشارات المعادية، كما كانت لها كافّة تسهيلات القواعد اللاسلكيّة وورش العمل الاستخباريّ. وكانت هيئة الإذاعة البريطانيّة تبثّ وتذيع كلّ مساء رسائل شخصيّة للأفراد التي تبدو كخدمة عاديّة للجمهور، إلاّ أنّها كانت، في حقيقة أمرها، رسائل ذات تعليمات "كوديّة" وشيفرة ورموز للعملاء الذين يعملون خلف

خطوط العدوّ. ومع تزايد الثقة في العمليّات المستقبليّة، أصدر "أيزنهاور" إشارة من مقرّ المعركة الإنكليزيّة في "بورتسموث" وهي أنّ يوم الهجوم سيكون ٦ حزيران – يونيو عام ١٩٤٤. وفي ليل نفس اليوم، بعد نشرة الساعة التاسعة، أذاع راديو هيئة الإذاعة البريطانيّة برنامجًا عن "الرسائل الشخصيّة"، وكانت عن طريق الشيفرة التي لا يفهمها سوى العملاء الذين يتلقّونها على الأراضي الفرنسيّة. وكانت تحمل وتنطوي على أوامر عن المهام السريّة التي سوف يتمّ القيام بها. وفي عشيّة الغزو، توسّع البرنامج إلى ما هو أطول من المعتاد، بسبب أنّ فرص التخريب من الممكن أن تدفع الألمان إلى التشكّك في زمن الغزو وموقعه. وتمّ صدور الأوامر للمقاومة الفرنسيّة باتّباع مسار كامل وتامّ من العمل عبر البلاد برمّتها. وكانت الرسائل، وهي تقول "الخمرة حمراء"، عبارة عن الرسالة المرسلة بالشيفرة التي أطلقت موجة عنيفة من العمل من جانب المقاومة في كلّ مكان من فرنسا. وقاموا بمهاجمة مقار قيادة القوّات الألمانيّة ونصبوا الكمائن للرسل وقطعوا خطوط وأسلاك الهواتف والتلغراف، ونفّذوا أعمالاً أخرى من التخريب كان من شأنها أن حرمت القيادة الألمانيّة من خدمات أجهزة مخابراتها، الأمر الذي تسبّب في إحداث فوضة شاملة عاونت على تنفيذ الغزو الناجح والهبوط الذي قامت به قوّات الحلفاء.

قارّة آسيا

جامعة "يال" الأميركيّة هي المكان المألوف والمعتاد، غالبًا، لعقد اجتماعات مكتب الخدمات الاستراتيجيّة. وكانت هذه الجامعة تؤدّي خدماتها كتسهيلات تدريبيّة في اللغات والحرف التجاريّة والمهن. وكانت "كامب لارتش" و"ماريلاند" تدرّب الآلاف على العمليّات الخفيّة. وكان المبنى رقم ٢٤٣٠ يخدم كمقار. وكذلك كان فندق "سانت ريجيز" يُعدّ مركزًا للاجتماعات السريّة لـ "دونوفان" ومقابلاته. أمّا مركز "روكفلر" فقد كان يُستخدم كمكتب لـ "ويليام ستيفنسون" ومركز للبثّ بالموجة القصيرة. أمّا البيت الأبيض فقد كان يُستخدم كذلك كمكان عالي المستوى حيث يجتمع "دونوفان" مع الرئيس "روزفلت" لإطلاعه على عمليّات مكتب الخدمات الاستراتيجيّة. وبعد الحرب مكثت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة على اتّصالاتها مع جامعة "يال" و"ستيفنسون" واحتفظت بمبنى ٢٤٣٠ كذلك.

وافق كلّ من الزعماء الغربيّين، على عهد الحرب، ومنهم "فرانكلين روزفلت" و"ونستون تشرشل" على إعطاء مكتب الخدمات الاستراتيجيّة دورًا هامًّا للغاية ليلعبه في حملة بورما. وذلك ما أدّى إلى تحقيق واحدة من أكثر العمليّات العسكريّة غير المألوفة نجاحًا في الحرب العالميّة قاطبة. ولقد اخترق عملاء مكتب الخدمات الاستراتيجيّة، وكانوا عشرين عميلاً قويًّا حينما بدأت الأنشطة لأوّل مرّة عام ١٩٤٢، المنطقة الخاصّة بالقبائل بالقرب من الحدود مع بورما والصين وتايلاند، وشرعوا في تنظيم صفوفهم وتجنيد سكّان جبل "كاشين" في وحدة عسكريّة من رجال ومقاتلي حرب العصابات. وكان حارس السجن السابق الكولونيل "كارل ايفلر" يدير تجريدة "كتيبة"

مكتب الخدمات الاستراتيجيّين ١٠١ في آسيا، وهي عبارة عن تجربة لحرب العصابات التي أنجزت نجاحًا عظيمًا ضدّ اليابانيّين إبّان الحملة العسكريّة على بورما.

لقد نما وكبر عدد عملاء مكتب الخدمات الاستراتيجيّة الذين انخرطوا في العمليّات بشكل كبير وسريع إلى أن أصبح يُطلق عليه "التجريدة ١٠١" التي كان يقودها "كارل ايفلر" كما سبق، وهو أحد حرّاس السجون السابقين الذين اتّسموا واتّصفوا بالخشونة والفظاظة. خدم "ايفلر" تحت إمرة الجنرال "فاينغر جو" كرئيس لجيش الولايات المتّحدة في الهند وبورما. وفي ظلّ موارده المحدودة، هاجم بعنف الجيش اليابانيّ الذي اتّصف بالعناد والتصميم على تنفيذ مهامه بأيّ ثمن فضلاً عن قوّته العسكريّة العظمى. ويُذكر أنّ "كاشين رانجرز" الأميركيّ الذي كان يعمل لحساب مكتب الخدمات الاستراتيجيّة كان سببًا مفتاحيًّا في إحراز الحلفاء للنصر في جنوب شرق آسيا. وكان حوالي عشرة آلاف من رجال القبائل قد اشتركوا في العمليّات التخريبيّة ضدّ اليابانيّين. وقاموا بالعمل على بعد ٢٥٠ ميلاً خلف خطوط اليابانيّين. وأدّت عمليّاتهم الناجحة والإرباك المستمرّ إلى عدد من الانتصارات الأساسيّة، بما في ذلك إعادة الاستيلاء على الحقل الجويّ "ميتركينا" وإغراق الزوارق النهريّة التي تحمل الوقود. وتمّ إنشاء مقار إنكليزيّة أميركيّة جديدة في قيادة جنوب شرق آسيا حيث تمّ تعيين الأدميرال "لويس مونتباتن" رئيس القوّات الخاصّة "الكوماندوز" البريطانيّة، وهو ابن عم الملك، كقائد أعلى. أمّا الجنرال "ستيلويل" فقد تمّ ترشيحه قائدًا لقيادة جنوب شرق آسيا.

تعاونت أجهزة كلّ من مكتب الخدمات الاستراتيجيّة وقوّات العمليّات الخاصّة التنفيذيّة وهي بريطانيّة الجنسيّة، معًا في حبّ ووئام، لتكوين فرقة جديدة، وهي ما أُطلق عليها "الفرقة بي" تحت إمرة أحد الضبّاط البريطانيّين ونائب لمكتب الخدمات الاستراتيجيّة لتنسيق الأنشطة السريّة. ولقد عزّزت الخدمة الأميركيّة، في ما بعد، من

استقلالها عن طريق خلق وإنشاء وحدات جديدة داخل مكتب الخدمات الاستراتيجيّة "التجريدة رقم ٤٠٤" لكي تنظّم شتّى عمليّات جنوب شرق آسيا. وأدّى التعاون بين مكتب الخدمات الاستراتيجيّة والقوّات الخاصّة التنفيذيّة، أثناء ذلك الزمان، إلى ضرب أروع الأمثال السامية في علوّها عن عمل الفريق الذي قام به الحلفاء في الخدمات السريّة والعمل الجاسوسيّ والمخابرات.

جهّز "دونوفان" مذكّرة سريّة لا يطّلع عليها سوى الرئيس الأميركيّ "فرانكلين روزفلت" فقط. وركّز اعتقاداته في الحاجة إلى جهاز مخابرات دائم "حينما يتمّ إلحاق الهزيمة بأعدائنا". وكتب في خريف ١٩٤٤ يقول: "إنّ الحاجة سوف تكون ماسّة على نفس القدر إلى المعلومات التي سوف تساعدنا في حلّ مشكلات السلام".

وكان جهاز مكتب الخدمات الاستراتيجيّة متغلغلاً في كافّة المناحي حتّى أنّ الجنرال "دوغلاس ماك آرثر" لم ينجح قطّ في إبعاده عن نطاق المحيط الهادئ. وكان "دونوفان" يتصوّر جهازًا للمخابرات في عهد ما بعد الحرب حيث يعدّ تقاريره ويرسل بها مباشرة إلى الرئيس. أمّا هيئة العاملين فيه فتكون فقط من العاملين في مكتب الخدمات الاستراتيجيّة الذين سبق لهم أن تلقّوا التدريبات للقيام بمثل هذه الأشياء. وقدّم "دونوفان" نصائحه للرئيس قائلاً إنّ جهازًا مثل مكتب الخدمات الاستراتيجيّة لا يجب أبدًا أن يتمّ تفكيكه وتسريح عمّاله. وبينما كان الرئيس الأميركيّ "روزفلت" لا يزال يتفحّص التقرير السريّ لـ"دونوفان"، تسرّبت محتوياته عن عمد وقصد لتثير هجومًا مريرًا على شخص "دونوفان" وعاصفة من الحدّة واللذع السياسيّ حول "روزفلت". سرّب الوثيقة "إدغار هوفر" مدير مكتب المباحث الفدراليّة وهو الذي كان عدوًّا قديمًا لمكتب الخدمات الاستراتيجيّة، حيث رأى أنّ الفرصة سانحة لتدمير فرص خصمه في تشكيل جهاز مخابرات يعمل في زمن السلم. تعرّض "دونوفان" إلى الإدانة والتنديد في

هجمات عاصفة راعدة من الصحافة والمسرح السياسيّ، وكلاهما اتّهمه باقتراح جهاز مخابرات عملاق وفعّال لينقضّ على عالم ما بعد الحرب ويقتنص حياة المواطنين وأرواحهم داخل البلاد. وتصاعد الخلاف إلى انتقادات ساخرة عنيفة شوّهت المذكّرة الأصليّة للمستر "دونوفان". ووُجّهت إليه الاتّهامات بأنّه يضمر نوايا "إنشاء جهاز مثل الغستابو النازيّ لهتلر". وكان أن ركنه "روزفلت" بهدوء على الرفّ وهدأ من المناقشات بشأن إنشاء جهاز المخابرات لزمن السلم إلى موعد لاحق لم يحدّده. وبعد ستّة أشهر من ذلك، في بداية شهر نيسان ـ إبريل من عام ١٩٤٥، قرّر الرئيس أن ينعش ويحيي اقتراح "دونوفان"، وتمّ إعداده لإجراء عدّة اعتبارات تجديديّة فيه، إلاّ أنّ روزفلت" مات بعد ذلك بأسبوع. وأراد خليفته الرئيس "هاري ترومان" أن يستغني تمامًا عن خطّة "دونوفان". وفي أوّل تشرين الأوّل ـ أكتوبر من عام ١٩٤٥ تمّ حلّ وتسريح مكتب الخدمات الاستراتيجيّة. وبنهاية الحرب تقدّم "إدغار هوفر" بخطّته الخاصّة لإنشاء وإقامة وكالة مخابرات مركزيّة، إلاّ أنّ خطّة "دونوفان" التي كانت الأكثر شمولاً وقائمة على أسس أقوى تشمل العمل السريّ وافتراض الرسائل اللاسلكيّة والتعاون مع الدعاية، هي التي لاقت قبولاً، في النهاية، من جانب حكومة الولايات المتّحدة.

مركز روكفلر: بيت الجواسيس

كان مركز روكفلر في نيويورك، وهو عبارة عن مكتب ومجمّع تسويقيّ، خليّة نحل للجاسوسيّة إبّان الحرب العالميّة الثانية. وشغل "نيلسون روكفلر"، رئيس لجنة وزارة الخارجيّة الخاصّة بتنسيق الشؤون الأميركيّة الداخليّة، شبكة واسعة النطاق من المخابرات لجمع المعلومات تعمل في إطار أميركا اللاتينيّة. وحتّى قبيل أن يصبح "دونوفان" مديرًا لمكتب الخدمات الاستراتيجيّة، كان "نيلسون"، بالتعاون مع مكتب المباحث الفدراليّة، قد تلقّى تأكيدات الرئيس "روزفلت" على أنّ مكتب الخدمات الاستراتيجيّة سوف يبقى بعيدًا عن أميركا اللاتينيّة. وسيطر "روكفلر" على وحدات المخابرات في أميركا اللاتينيّة عن طريق مكاتب في المنتصف والمركز. وعلى بعد عدد من الطوابق، كان السير "ويليام ستيفنسون" - أنتربيد - يشغل غرف المكاتب التي تحوي على ما أُطلق عليه اسم جهاز خدمات الأمن البريطانيّ، وهو عبارة عن جهاز المخابرات البريطانيّة في الولايات المتّحدة. وكانت هذه المكاتب تشمل المخابرات المضادّة، والدعاية، والعمليّات غير المكشوفة، والتنسيق مع مكتب الخدمات الاستراتيجيّة ومكتب المباحث الفدراليّة ضدّ ألمانيا واليابان. وكان أحد ضبّاط المخابرات الذين تمّ إرساله لـ "ستيفنسون" من جهاز مخابرات سلاح البحريّة البريطانيّة هو "إيان فيلمنغ" مبدع قصّة جيمس بوند الجاسوس العملاق. وفي كتابه "كازينو رويال" كتب "فيلمنغ" بالتفصيل كيف قتل جيمس بوند أحد موظّفي الشيفرات اليابانيّين في المركز. وفي الواقع، كان للحكومة اليابانيّة مكتب قنصليّ يقع في الطابق السادس والثلاثين من مركز روكفلر. وكان هذا المكتب يقع على بُعد طابق واحد فقط من المكتب الرئيسيّ لجهاز خدمات الأمن البريطانيّة. وعلم البريطانيّون أنّ رسائلهم

السريّة المكتوبة بالشيفرة يتمّ نقلها إلى طوكيو من هذا المكتب. وسرعان ما اقتحم ذلك المكتب عميلان من عملاء "ستيفنسون" وتمّ استعارة وتصوير الكتب الخاصّة بالـ "كود" والشيفرة والرموز على الميكروفيلم لصالح "فيلمنغ". وبهذا تكون القصّة الحقيقيّة قد انتهت حتّى سمح "فيلمنغ" للمستر "بوند" بالقيام بالمزيد في "كازينو رويال". على أيّ حال، وقعت حادثة بالفعل حيث لقي أحد أعضاء الوفد اليابانيّ فيها مصرعه. وتلقّى المستر "فيلمنغ" في عام ١٩٤١ من "ويليام دونوفان" مسدّسًا خاصًّا من عيار ٣٨ ملّم، مصحوبًا بملحوظة هي "ذلك للقيام بالخدمات الخاصّة". وزعم "فيلمنغ"، في البداية، أنّه تلقّى الهديّة نتيجة مساعدته لـ "دونوفان" في إقامة وثيقة وخطّة تنظيم مكتب الخدمات الاستراتيجيّة. على أيّ حال نحن بصدد قصّة جديدة قوامها أنّ "فيلمنغ" زعم للأصدقاء، في ما بعد ذلك، أنّه قام بالفعل باغتيال العميل اليابانيّ مستخدمًا كيسًا من الرمال، وأنّ "دونوفان" قدّر له ذلك فأعطاه المسدس الخصوصيّ. ولقد كشفت الأبحاث أنّ المواطن اليابانيّ مات قضاء وقدرًا من جرّاء كيس رمل خاصّ بعمليّات البناء والتشييد اقتحم وحطّم نوافذ مكتبه في عام ١٩٤١، فقام موظّفو مكاتب "روكفلر" باستبدال التلفيّات بنافذة جديدة في الطابق السادس والثلاثين في نفس العام. إلاّ أنّ أحد كبار السنّ الذين كانوا هناك، في ذلك الحين، تذكّر أنّ "حادثًا رهيبًا حصل إذ هشّمت سقالة ضخمة النافذة وأهلكت ذلك الرجل فلقي حتفه". وبعد الحادث قام اليابانيّون بإخلاء تلك المكاتب. وطالما أنّ مركز روكفلر قد سكنه الجواسيس الأميركيّون والبريطانيّون واليابانيّون فإنّ صلة المركز بالجاسوسيّة هي صلة قويّة جدًّا. وبعد سنوات عديدة من الحرب، وفي أعقاب وفاة "دونوفان" انتقلت شركته القانونيّة إلى المركز. أمّا اليوم فإنّ عددًا من العاملين السابقين بمكتب الخدمات الاستراتيجيّة ووكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لا يزالون يشغلون المكاتب والمركز الواقع في نيويورك.

تأسيس وكالة المخابرات المركزيّة من وجهة نظر سوفياتيّة [1]

في أعوام الحرب العالميّة الثانية، كانت الولايات المتّحدة الأميركيّة تمتلك عددًا من أجهزة الاستخبارات، التي كانت تعمل بصورة منفردة، وتنفّذ وظائف ومهام مختلفة. وكانت أكثرها شهرة إدارة "الخدمات الاستراتيجيّة"، التي كان يعمل فيها المدراء اللاحقون لوكالة المخابرات المركزيّة "آلن دالاس" و"ريتشارد هيلمز" و"ويليام كيسي" وغيرهم من كبار مسؤوليّ الوكالة. أمّا منظّم إدارة الخدمات الاستراتيجيّة ورئيسها فقد كان الكولونيل "ويليام دونوفان"، الحقوقيّ النيويوركيّ، الذي شغل منصب نائب وزير العدل، كما شغل في إحدى الفترات منصب ممثّل الولايات المتّحدة لدى "كولتشاك" كولتشاك ـ ألكسندر فاسيليفيتش (١٨٧٣ ـ ١٩٢٠)، وهو واحد من أبرز منظّمي الثورة المضادّة والحرس الأبيض في الحرب الأهليّة الروسيّة، أعلن نفسه "حاكمًا أعلى للدولة الروسيّة" في سيبيريا والأورال بمساعدة قوّات التدخّل الأجنبيّ، وهُزم على أيدي قوّات الثورة وأُعدم.

بعد احتلال هتلر لعدد من البلدان في صيف ١٩٤٠، وبإصرار من وزير القوى البحريّة وصديق "دونوفان"، أرسل الرئيس الأميركيّ "فرنكلين روزفلت" الكولونيل

١ ـ فيتالي فاشيلفتش بتروستكو، البيت الأبيض والاستخبارات الأميركيّة، ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر (دمشق، ١٩٨٩) ص٥٥ وما يليها.

دونوفان تحت ستار رجل أعمال، بمهمّة خاصّة استخبارية إلى أوروبّا الغربيّة، لتقدير الوضع في القارة عامّة، وفي إنكلترا خاصّة. كان من نتائج هذه الرحلة ظهور كتاب "دروس الطابور الخامس بالنسبة لأميركا" الذي ألّفه "دونوفان" بالاشتراك مع "ي. مورو" مراسل صحيفة "شيكاغو ديلي نيوز" في أوروبّا. وقد تطرّقا في هذا الكتاب إلى بعض طرائق عمل المخابرات الهتلريّة. وفي أواخر ١٩٤٠ وأوائل ١٩٤١ طلب الرئيس "روزفلت" من "دونوفان" أن يقوم بجولة أخرى أكبر من الأولى، في أوروبّا الغربيّة وبلاد البلقان. ورأى الإنكليز، أنّه من الممكن إطلاعه، من أجل مصالحهم، على مبادئ استخباراتهم المركزيّة وطرائقها، سواء في لندن أو في المناطق الأخرى، الأمر الذي سهّل مهمّة "دونوفان" في تأسيس الخدمات الاستراتيجيّة.

كان مفهوم المخابرات المركزيّة المنسّقة أفضل هديّة تقدّمها بريطانيا لأميركا. وعن هذا الرأي عبّر في الثمانينات "ر. كلاين" النائب السابق لمدير وكالة المخابرات المركزيّة.

يشير الباحثون الأميركيّون، في دراستهم لتاريخ إدارة الخدمات الاستراتيجيّة، إلى أنّ إدارة "دونوفان" لم تقتصر على محاربة ألمانيا الهتلريّة وحلفائها. بهذا الصدد يقول "ت. باورس": "عقب معركة ستاليغراد انتقل مركز اهتمام "آلن دالاس"، الذي أقام فترة طويلة في برن، من ألمانيا إلى روسيا... إنّ تاريخ إدارة الخدمات الاستراتيجيّة، الذي يُعتبر أيضًا تاريخًا سريًّا للحرب العالميّة الثانية، موسوم بالقلق الشديد من الشيوعيّة[1]...".

---

١ - Power Th., *The Man Who Kept The Secret, Richard Helms And The CIA*, (New-York,1979), P. 25.

قامت إدارة الخدمات الاستراتيجيّة بخطوات تهدف إلى تحييد نفوذ الشيوعيّين في حركات المقاومة في الأراضي التي احتلّها النازيّون، وسارت على طريق الحرب السافرة معهم بعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية.

جنّدت إدارة الخدمات الاستراتيجيّة في صفوفها، في أواخر الحرب العالميّة الثانية، الجنرال "هالين" رئيس قسم "جيوش الشرق الأجنبيّة" في الأركان العامّة للقوّات البريّة الألمانيّة. وكما يشير الباحث الألمانيّ الشرقيّ "يو. مادر" فقد "سلّم هالين للأميركيّين، بالإضافة إلى شبكة عملائه في أوروبّا الشرقيّة، كوادر عديدة من الاستخبارات العسكريّة والإدارة السادسة أي الجاسوسيّة السياسيّة في الخارج، التابعة لإدارة الأمن الأمبرطوريّة العامّة.

إنّ "هالين"، الذي أصبح في ما بعد، رئيس إدارة الاستخبارات الفدراليّة في ألمانيا الاتّحاديّة، قد أقسم أمام "آلن دالاس" بأن يخدم الأميركيّين بإخلاص مثل خدمته لهتلر"[١].

ركّزت إدارة الخدمات الاستراتيجيّة أنشطتها في أوروبّا. وكان هذا عائدًا لجملة من الأسباب. فالجنرال "آ. ماكارتوركان" يكره إدارة الخدمات الاستراتيجيّة، وقد حظّر عليها القيام بعمليّات في مسرح العمليّات القتاليّ في المحيط الهادئ. و"ي. هوفر" مدير مكتب التحقيقات الفدراليّ، لم يسمح من ناحيته لعملاء "دونوفان" بدخول أميركا اللاتينيّة التي كانت تتبع، بتفويض من الرئيس "روزفلت"، إدارة مكافحة الجاسوسيّة، باعتبارها مسرحًا لعمليّاتها. وفي أوروبّا، كانت إدارة الخدمات الاستراتيجيّة خاضعة لإشراف اللجنة الموحّدة لرؤساء الأركانات، وبدونها كانت القيادة العسكريّة ترفض خدمات "دونوفان" الاستخباريّة.

---

١ - *Goverment By Gunplay*, Ed. By Blumental S., Yazijian H. (New York, 1976), P. 231.

مثل هذا الوضع، وفق وجهة نظر "دونوفان ودالاس" ومشاركيهم في الرأي، أدّى إلى استخفاف لا يُغتفر بإمكانات الاستخبارات وقدراتها، وتحديدًا في قضيّة الصراع السريّ ضدّ الاتّحاد السوفياتيّ وقوى التحرّر الاجتماعيّ في بلدان أوروبّا الشرقيّة والغربيّة.

كان "دونوفان" يحلم بتأسيس إدارة تجسّسيّة ـ استخباريّة مركزيّة للولايات المتّحدة في وقت السلم.

في تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٤٤ قدّم "دونوفان" مذكّرة للرئيس الأميركيّ عرض فيها آراءه حول الاستخبارات. وقد جاء في هذه المذكّرة:

أوّلاً: إنّ الاستخبارات يجب أن تكون تحت إمرة الرئيس، وأن تخضع له مباشرة.

ثانيًا: من الضروريّ "تشكيل قيادة مركزيّة تقدّم تقاريرها للرئيس مباشرة، وتتحمّل مسؤوليّة وضع الأهداف الاستخباريّة، وجمع وتحليل المادّة الاستخباريّة، التي تطلبها السلطة التنفيذيّة، من أجل تخطيط السياسة والاستراتيجيّة القوميّة وتنفيذها[١].

كما وردت في المذكّرة فكرة مفادها، أن على "القيادة المركزيّة" المقترحة أن تنسّق في ما بين وظائف جميع أجهزة الاستخبارات، بما فيها الاستخبارات العسكريّة وإدارة القوى البحريّة وإدارة استخبارات وزارة الخارجيّة. ويمكن أن يدخل ضمن مهمّة مثل هذه الإدارة الجديدة للاستخبارات القيام بـ "العمليّات التخريبيّة" في الخارج، وجمع المعلومات عن طريق شبكة خاصّة من الجواسيس و"إخراجها"، وتنفيذ الوظائف والواجبات الأخرى المتعلّقة بالاستخبارات، التي يمكن أن يكلّفها بها الرئيس من فترة لأخرى".

---

١ - Colby W., *For Bath P. Honorable Men, My Life In The CIA,* (N.Y.,1978), PP. 57- 58.

بعد أن يذكر "و. كولبي"، المدير السابق لوكالة المخابرات المركزيّة، هذه المقاطع من مذكّرة "دونوفان"، يعبّر عن رأي مفاده أنّ آراء رئيس إدارة الخدمات الاستراتيجيّة، قد شكّلت في ما بعد أساس ذلك القسم من قانون الأمن القوميّ لعام ١٩٤٧، الذي حدّدت فيه أهداف وكالة المخابرات المركزيّة ووظائفها.

على نحو آخر يظهر أمامنا تاريخ تأسيس وكالة المخابرات المركزيّة، من خلال مذكّرات الرئيس "هاري ترومان"، الذي لم يكن على علاقات حميمة مع "دونوفان" خلافًا للرئيس السابق، واعتمد على نصائح رجال الاستخبارات الآخرين.

بدأ يتكوّن انطباع "ترومان" عن دوائر الاستخبارات الأميركيّة قبل الحرب وفي بدايتها، حيث كان عضوًا في مجلس الشيوخ. لم يكن "ترومان" مؤيّدًا لانعدام الاتّصالات بين أجهزة استخبارات الجيش والأسطول البحريّ ووزارة الخارجيّة، كما لم يكن مؤيّدًا لواقع أنّ هذه الأجهزة كانت تقدّم للجان مجلس الشيوخ "وقائع مختلفة ومتناقضة حول المواضيع ذاتها". ورغم أنّ "ترومان" كان متفهّمًا، كما يبدو، لأسباب انعدام هيئة استخبارات مركزيّة في الولايات المتّحدة قبله، يتجلّى في أقواله لوم واضح موجّه إلى الرؤساء السابقين. فقد كتب يقول: "إنّ حكومتنا لم تولِ اهتمامًا كبيرًا لمسألة تأسيس هيئة استخبارات مركزيّة. ومن البديهيّ أنّ الولايات المتّحدة لم تشعر بالحاجة إلى منظومة شاملة فعلاً للاستخبارات الخارجيّة إلى أن اجتذبت الحرب العالميّة الثانية القوّات الأميركيّة إلى قارات أوروبّا وآسيا وأفريقيا وإلى جزر المحيطَين الأطلسيّ والهادئ"[١].

---

١ - Truman H.S. Memoirs, V.2, *Years Of Tral And Hope*, Garden City(New York,1956), P. 56.

بعد مرور عدّة أيّام على اعتلاء "ترومان" لكرسيّ الرئاسة في نيسان - إبريل عام ١٩٤٥، سمع "ترومان" من "سميث" مدير مكتب الميزانيّة، أنّ الأخير قدّم للرئيس السابق "روزفلت"، قبل فترة قصيرة من وفاته، مذكّرة حول مسائل الاستخبارات، لفت فيها انتباهه إلى "مباراة شدّ الحبل (أي التنافس - قسم الدراسات) بين مكتب التحقيقات الفدراليّ وإدارة الخدمات الاستراتيجيّة، والاستخبارات العسكريّة واستخبارات الأسطول البحريّ ووزارة الخارجيّة". وأعلمه "سميث" أنّ عددًا من "الخبراء" العاملين في مكتب الميزانيّة، قد اكتسب خبرة كبيرة في تنظيم العمل الاستخباريّ، وأنّهم، بالاشتراك مع إدارات الاستخبارات العسكريّة، قد وضعوا خططًا لإعادة تنظيم إدارات الاستخبارات. إرتأى "ترومان" "أن من الضروريّ جدًّا أن يكون لدى الولايات المتّحدة، الآن وفي المستقبل، منظومة استخبارات حسنة التنظيم ودقيقة البنية"، وأيّد اقتراح "سميث" في أن يقوم "الخبراء العاملون" عنده بوضع الخطط في هذا المجال، بعد أن حذّره من "الامتناع عن الأعمال والخطوات الطائشة المتسرّعة، التي يمكن أن تلحق الضرر، وتثير تنافسًا، لا داعي له، بين دوائر الاستخبارات المختلفة". وذكر جانبًا تفصيليًّا هامًّا: فقد كان يملك في تلك الأثناء، في الصندوق الرئاسيّ السرّيّ، مبلغًا مقداره ٥٩ مليون دولار، خصّص منها ١٢ مليون دولار، على شكل أموال غير مسجّلة، لتنفيذ عمليّات الاستخبارات والتجسّس في الخارج...

بالإضافة إلى "دونوفان" و"هـ. سميث" وقيادة إدارة الاستخبارات العسكريّة، أبدى أشخاص آخرون من ذوي النفوذ الكبير، اهتمامًا عظيمًا بمسائل إعادة تنظيم جهاز الاستخبارات. ففي تشرين الثاني - نوفمبر عام ١٩٤٤، أعطى "روزفلت" توجيهاته إلى الأدميرال "و. ليغلي" مستشاره العسكريّ الخاصّ وممثّل اللجنة الموحّدة لرؤساء الأركانات، بتحويل مذكّرة "دونوفان" إلى اللجنة الموحّدة لرؤساء الأركانات. وبعد

وصول "ترومـان" إلـى البيت الأبيض أطلـع الأدميرال "ليغلـي" الرئيس الجديد علـى الأفكار الرئيسيّة لخطّة "دونوفان"، وأعلمه بأنّ الأدميرال "س. سويرس" نـائب رئيس الاستخبارات البحريّة قد وضع مقترحات مضادّة. كما تضمّنت هذه الأفكار فكرة تأسيس إدارة مركزيّة تشرف على دوائر الاستخبارات الأخرى التي حافظت على استقلاليّتها، في ما بعد، أكثر ممّا نصّت عليه خطّة دونوفان.

طلب الرئيس "ترومان" من "ج. بيرنس" وزير خارجيّته أن يقدّم توجيهاته ومقترحاته حول "تنسيق أنشطة دوائر المخابرات المختلفة" مطلعًا إيّاه على أنّه تقدّم بطلب مماثل إلى الأدميرال "ليغلي". واتّخذ "بيرنس" موقفًا واضحًا، فقد طالب بالإشراف الكامل على جميع دوائر الاستخبارات وقيادتها، من قبل جهاز استخباريّ مركزيّ، اقترح تأسيسه. فاغتاظ قادة الجيش والقوى البحريّة من نوايا وزير الخارجيّة، وأعلموا البيت الأبيض برفضهم الحازم لاقتراح "بيرنس"، وأصرّوا على المحافظة على الاستقلال الذاتيّ لدوائر الاستخبارات المختلفة، رغم أنّهم لم يخالفوه في ضرورة وجود جهاز مركزيّ يصل إليه أهمّ المعلومات حول مسائل السياسة الداخليّة والخارجيّة، التي يمكن أن يستفيد منها قادة الدولة والحكومة.

يقول "ترومان" في مذكّراته: "في كانون الثاني - يناير ١٩٤٦، أجريتُ سلسلة من الاجتماعات في البيت الأبيض من أجل مناقشة الخطط المختلفة حول الإدارة المركزيّة للاستخبارات. وكان موقفي إلى جانب الخطّة التي وضعها الجيش والأسطول البحريّ بمساعدة الأدميرال "سويرس". وكنت مستعدًّا لتطبيق هذه الخطّة عمليًّا".

حاول "هـ. سميث" مدير مكتب الميزانيّة تأجيل القرار، متذرّعًا بأنّ الخطّة تحتاج إلى دراسة من قبل العاملين في مكتبه. بيد أنّ الرئيس "ترومان" الذي سمح لمكتب الميزانيّة بإدخال التعديلات اللازمة شرط أن تلقى قبولاً من الآخرين، رفض قطعيًّا

تأجيل تنفيذ الخطّة عمليًا، ذلك لأنّه انتظر طويلاً، بفارغ الصبر، تحقيق هذه الفكرة كلّها". وفي ٢٦ كانون الثاني - يناير ١٩٤٦ وقّع الرئيس "ترومان" أمرًا إداريًّا بتأسيس مجموعة الاستخبارات المركزيّة برئاسة الأدميرال "سويرس". وهكذا، فالأحداث التي سبقت نشوء أوّل جهاز استخباريّ في الولايات المتّحدة، تسمح برؤية الخصائص الأساسيّة المميّزة لوضع الاستخبارات في العاصمة واشنطن. والرئيس "ترومان" لم يشارك مشاركة شخصيّة ونشيطة في إرساء أساس "الاستخبارات المشتركة" فحسب، بل سعى، أكثر من أيّ رئيس أميركيّ سبقه، إلى تعزيز الاستخبارات. لهذا السبب تحديدًا، أوجد فيها مركز تنسيق تابع للبيت الأبيض. واعتبر الرئيس أنّ إجراء إعادة تنظيم للاستخبارات خلال فترات زمنيّة قصيرة، "ضرورة لا بدّ منها". وفي حفل "تعميد" مجموعة الاستخبارات المركزيّة، سلّم الرئيس لكبار المسؤولين في المجموعة قبّعات سوداء رمزيّة، ومعاطف وخناجر، ملقّبًا إيّاهم بـ "فرسان المعطف والخنجر".

في الوقت نفسه، اتّضح شيء آخر، فوزارة الخارجيّة لم تكن ضدّ "وضع يدها" على الاستخبارات، كما تطلّع مكتب الميزانيّة إلى قيادة الاستخبارات والإشراف عليها. وأوضحت الإدارة العسكريّة من جانبها، أنّها، في جميع الظروف، سوف تدافع عن مصالحها في هذا المجال، في حال حدوث أيّ تغييرات في بنية الاستخبارات.

أخذت مجموعة الاستخبارات المركزيّة تنشط، كأداة بيد الرئيس الأميركيّ. لكنّ "ترومان"، الذي لم يرغب بحدوث "مباريات شدّ الحبل"، شكّل هيئة رقابة على مجموعة الاستخبارات المركزيّة باسم "قيادة الاستخبارات القوميّة"، تضمّ وزير الخارجيّة ووزير الحرب ووزير القوى البحريّة، والأدميرال "ليغلي" بصفته الممثّل الشخصيّ للرئيس. وعندما طرح "سويرس" مسألة تسريحه وتركه لمنصب مدير مجموعة المخابرات المركزيّة، وضع "ترومان" الشرط التالي: عليه أن يجد خليفة له، يحوز على رضى

جميع الإدارات، التي تملك أجهزة استخبارات. ووقع الاختيار على الجنرال "هـ. فاندربيرغ".

يقول "ترومان" في مذكّراته: "في ظلّ بنية الاستخبارات الجديدة، بدأت أحصل على مجموعة يوميّة وموجزة للمعلومات المجمّعة من الخارج. وكان مدير وكالة المخابرات المركزيّة، بعد إطلاق هذا الإسم على مجموعة الاستخبارات المركزيّة عام ١٩٤٧، أوّل من يزورني، عادة في صباح كلّ يوم عمل. وطيلة بقاء "ليغلي" في منصب رئيس اللجنة الموحّدة لرؤساء الأركانات، كان ينضمّ إلى اجتماعي بمدير الوكالة. وبعد استقالة "ليغلي" دعوت الجنرال المستقيل "سويرس" إلى العمل في البيت الأبيض في منصب جديد، هو مساعد الرئيس لشؤون الاستخبارات. على هذا النحو، كان "سويرس" أيضًا، يشغل مكانه بالقرب منّي، عند حضور مدير وكالة المخابرات المركزيّة لتقديم تقريره"[١].

كان خبراء الاستخبارات يُجتذبون للعمل في البيت الأبيض في عهد جميع الرؤساء. لكنّ "ترومان"، حسب الأدبيّات الأميركيّة في هذا المجال، كان الرئيس الوحيد الذي أوجد منصب مساعد الرئيس الأميركيّ لشؤون الاستخبارات. هذه الواقعة، بالإضافة إلى اختياره لدور المساعد الخاصّ لشؤون الاستخبارات، المدير الأوّل لمجموعة الاستخبارات، تثبت علاقة "ترومان" الخاصّة بالاستخبارات، ومشاركته الشخصيّة النشيطة في قيادة أعمال "فرسان المعطف والخنجر".

من أصل ألفَي موظّف في مجموعة الاستخبارات.المركزيّة كان حوالي ثلثهم يعمل في الخارج. وبالرغم من مقاومة "ي. غوفير"، مدير مكتب التحقيقات الفدراليّ، فقد

---

١ - Ibid., P. 58.

سمح البيت الأبيض لمجموعة الاستخبارات المركزيّة بالعمل في أميركا اللاتينيّة. أمّا في أوروبّا، ففي المراحل الأولى، لم يكن لدى مجموعة الاستخبارات المركزيّة شبكة كافية من العملاء. وكما يقول "ت. باورس" فإنّ ٧٠٪ من المعلومات السريّة كانت تحصل عليها المجموعة عن طريق المخابرات البريطانيّة[1]. وقد شغل الإنكليز موقفًا، بحيث أنّهم "يمتلكون جميع الجواسيس"، بينما يقوم الأميركيّون بتمويل عمليّاتهم. ويقول "باورس": كان الأميركيّون مضطرّين، رغمًا عنهم، للخضوع لشروط الإنكليز، حتّى الستّينات، إلى أن أمكنهم القضاء على تفوّق الإنكليز في مجال الاستخبارات.

.يعبّر الباحث والكاتب الاجتماعيّ الألمانيّ "يو. مادر" عن فكرة هامّة، في هذه المرحلة المبكّرة من نشاط المخابرات المركزيّة الأميركيّة، إذ يقول: لم تترك الحرب للولايات المتّحدة الأميركيّة وقتًا من أجل صياغة ثابتة لأسس العمل الاستخباريّ النظريّة. لذا، فعندما جلس البروفّيسور "ش. كنت"، أحد قادة الاستخبارات الأميركيّة، لتأليف كتاب "الاستخبارات الاستراتيجيّة والسياسة العالميّة الأميركيّة"، عرض في كتابه، حسب قول "مادر"، البرنامج الاستخباريّ التجسّسيّ للأركان العامّة الألمانيّة، الذي حصل عليه من الجنرال "ر. غالين". بهذا الصدد، بقيت إدارة استخبارات "غالين" الألمانيّة الغربيّة حتّى عام ١٩٥٦ تعيش على كنف واشنطن بصورة كاملة، وتخضع لها خضوعًا كاملاً. كان عملاء مجموعة الاستخبارات المركزيّة الأجانب يتستّرون بالعمل الدبلوماسيّ ووثائق الصحافيّين، كما كانوا ينشطون تحت أسماء العلماء والباحثين ورجال الأعمال وزعماء النقابات والشبيبة وغيرها. من بين الأدلّة على اهتمام الرأسمال الخاصّ بامتلاك استخبارات قويّة، تلك السهولة التي حصلت بها

---

١ - Power Th., *The Man Who Kept The Secrets*, P. 28.

مجموعة الاستخبارات المشتركة على الحماية والتستّر بمساعدته. وهاكم، تفصيلاً، أحد الأمثلة على ذلك.

قبل أسبوع واحد من عيد الميلاد، في كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٤٦، كتب الجنرال "فاندريبرغ" رسالة إلى "آ. سولتزبيرغر"، صاحب جريدة "نيويورك تايمز" تحدّث فيها عن مجموعة الاستخبارات المركزيّة، التي تهدف إلى تنسيق "جميع أنشطة الحكومة، المرتبطة بالحصول على المعلومات عن البلدان الأجنبيّة وتحليلها، وهي المعلومات التي تحتاجها بلادنا لضمان أمنها القومي"[١].

وعبّر عن أمله في أن يبدي "سولتزبيرغر" استعداده لتقديم العون في تنفيذ المهمّة الملقاة على عاتقهم، وأعلن عن أنّه سوف يرسل له ممثّله الخاصّ لشرح برنامج مجموعة الاستخبارات المركزيّة.

لم يتأخّر "سولتزبيرغر" في الردّ على الرسالة، وكتب يقول إلى "فاندريبرغ": "أنتم وممثّلوكم، تستطيعون، دائمًا، الاعتماد على تعاون كامل من جانبنا جميعًا في نيويورك تايمز". وعبّر عن فكرة مفادها أنّه "ريثما تتكوّن الآليّة اللازمة، فمن الأنسب على الغالب، توجيه جميع الطلبات إليه مباشرة".

كلّف "فاندريبرغ" "ج. هانت"، الذي عُيّن لتوّه ممثّلاً لمجموعة الاستخبارات المركزيّة في نيويورك، بلقاء "سولتزبيرغر". وكانت مجموعة الاستخبارات المركزيّة تهتمّ بالرسائل السريّة الخاصّة لمراسلي "نيويورك تايمز" الأجانب، التي كانوا يرسلونها، عبر السفارات الأميركيّة، إلى محرّري الجريدة تحت عبارة "للاطّلاع

---

١ - Salibury F. E., *Without Fear Or Favor, An Uncompromising Look At The New York Times*, (New York, 1980), P. 576.

الشخصيّ حصرًا". هذه الرسائل كانت تضمّ معلومات، غير معدّة للنشر، حول أحداث ومعطيات عن الأزمات السياسيّة المستفحلة، وعن الأسباب الخفيّة للقرارات المتّخذة، وعن إشاعات ما وراء الكواليس المغرية. كما كان المراسلون يرسلون وثائق تحليليّة ذات طابع إرشاديّ. وفي تعليقه على اهتمام مجموعة الاستخبارات المركزيّة الكبير بالرسائل الخاصّة للصحف، يقول "غ. سولسبيري" معلّق "نيويورك تايمز" في كتابه المكرّس لتاريخ الصحيفة: "كان المراسلون الأجانب يرسلون لمحرّري الصحيفة معلومات ذات فائدة، من أجل تحليل سير الأحداث، لا سيّما في تلك البلدان كالاتّحاد السوفياتيّ وحلفائه. وهذه المعلومات كانت لا تقدّر بثمن بالنسبة للمخابرات، لا سيّما الناشئة منها، التي كانت تعاني الكثير من الثغرات التنظيميّة. كان مراسلو "نيويورك تايمز" على درجة عالية من الكفاءة، ولم يكن هناك مَن يمتلك معلومات كتلك التي جمعتها الصحيفة في أرشيفها"[1].

لكنّ "مهمّة "هانت" لم تكن لتقتصر على مجرّد الحصول على المعلومات السريّة التي كانت تمتلكها صحيفة "نيويورك تايمز". فقد كلّف بالتحرّي عن إمكان الحصول على التقارير السريّة لمراسليّ الصحيفة، التي كانوا يقدّمونها عند عودتهم إلى بلادهم في إجازة، أو عند عودتهم بصورة نهائيّة، بعد انتهاء مهامهم في الخارج. وقد تمّ التوصّل إلى اتّفاق في هذا الخصوص. كما أمكن التوصّل إلى إقامة علاقات عمل بين مجموعة الاستخبارات المركزيّة، ومن ثمّ وكالة المخابرات المركزيّة، وأصحاب أجهزة الإعلام الأخرى ومحرّريها ومراسليها. وأُتيحت للمخابرات المركزيّة فرصة تغطية عملائها بستار ممثّلي "الصحافة الحرّة والمستقلّة". مثل هذه الممارسة، لم تقتصر

---

١ - Ibid. P. 577.

على مهنة الصحافة، فقد استخدمت المخابرات المركزيّة الموقف الإيجابيّ، العطوف تجاهها، من جانب رجال الأعمال والأوساط العلميّة والدينيّة، وزعماء النقابات المحافظين، ووجدت معهم لغة مشتركة حول المسائل التي تهمّها. بيد أنّ هذه العلاقات بقيت سريّة لغاية.

***

يكتب المسؤولون السابقون في وكالة المخابرات المركزيّة، صراحة، عن أنّ نشوء وكالتهم ونموّها يرتبطان ارتباطًا مباشرًا، بتصعيد إدارة الرئيس "ترومان" لسياسة "الحرب الباردة". في تلك المرحلة، يقول "ي. كولبي"، "تردّد عدد متزايد من الأصوات الداعية إلى أن تحوز الولايات المتّحدة، ليس فقط على إمكانات جمع المعلومات الاستخباريّة حول مسائل الحرب الباردة وتحليلها، بل وأن تشكّل آليّة تمكّنها من خوض معارك سياسيّة وشبه عسكريّة"[1]. وكان لاتّجاهات الرؤساء الأميركيّين، نحو خوض غمار الحرب الباردة، دور كبير الأهميّة في تحوّل مجموعة الاستخبارات المركزيّة إلى وكالة المخابرات المركزيّة، من حيث هي جهاز بيد السلطة التنفيذيّة، أقوى وأكثر فعاليّة، منظّم بمعرفة الكونغرس وتشجيعه.

في الوقت نفسه، جرت إعادة تنظيم للإدارات الاستخباريّة العسكريّة: فإلى جانب وزارة الحرب والقوى البحريّة، أُنشئت لأوّل مرّة، وزارة القوى الجويّة، والأهمّ من ذلك، أحدثت وزارة الدفاع، وهي الوزارة التي يمكن مقارنتها، من حيث مهامها كهيئة عسكريّة مركزيّة، بوكالة المخابرات المركزيّة.

---

١ - Colby W., *Forbath P. Honorable Men*, P. 71.

إنّ تكوين البنية التحتيّة العسكريّة لم ينجُ من الخلافات والخصومات، بين قادة صفوف الأسلحة المختلفة، الأمر الذي يذكّرنا بالخلافات التي دارت بين إدارات الاستخبارات المختلفة التي رفضت نشوء مجموعة الاستخبارات المركزيّة. لكنّ ارتقاء وضع جهاز المخابرات المركزيّ تمّ بسهولة كبيرة، في هذه المرّة. فبين البيت الأبيض والكونغرس، اللذَين نسفا لغة القانون، تمّ التوصّل إلى اتّفاق قال عنه "آلن دالاس"، في ما بعد: "إنّ قانون الأمن القوميّ لعام ١٩٤٧ قد منح المخابرات وضعًا مؤثّرًا، ذا نفوذ في حكومتنا، أقوى وأكثر ممّا تتمتّع به الاستخبارات في أيّة حكومة في العالم"[١].

لقد كان لدعم مخطّطات تعزيز شبكة الاستخبارات من جانب الطبقة الحاكمة، دور حاسم، بلا شكّ، في اتّخاذ البيت الأبيض والكونغرس لهذا الموقف المتعاطف مع الاستخبارات. و"آلن دالاس" نفسه، الذي مارس المحاماة في نيويورك، بعد خدمته في إدارة الخدمات الاستراتيجيّة، كان يمارس دور مستشار غير رسميّ للبيت الأبيض والكونغرس، موجّهًا إليهما المذكّرات، وممثّلاً لمصالح أوساط "وول ستريت" ذات النفوذ، في أثناء وضع الصيغة التشريعيّة لوكالة المخابرات المركزيّة. وفي ١٥ أيلول - سبتمبر وقّع الرئيس "ترومان" قانون الأمن القوميّ، الذي كرّست مادّته رقم ١٠٨ لتأسيس وكالة المخابرات المركزيّة. فماذا رسم قانون الأمن القوميّ لوكالة المخابرات المركزيّة؟

سعيًا إلى تنسيق النشاط الاستخباريّ لوزارات الحكومة وإداراتها، من أجل مصالح الأمن القوميّ، تكلّفت وكالة المخابرات المركزيّة بتنفيذ الوظائف والمهام التالية، بإشراف مجلس الأمن القوميّ:

---

١ - Wise D., Ross Th., *The Invisible Governmemt,* (New York,1965), P. 2.

١) تقديم الاستشارات لمجلس الأمن القوميّ حول مسائل النشاط الاستخباريّ للوزارات والإدارات الحكوميّة، ذات العلاقة بالأمن القوميّ.

٢) تقديم التوصيات لمجلس الأمن القوميّ حول تنسيق العمل الاستخباري.

٣) مقارنة وتوزيع معطيات الاستخبارات، المتعلّقة بالأمن القوميّ، وتأمين التوزيع اللازم لهذه المعطيات الاستخباريّة داخل الحكومة... لا تقوم الوكالة بأيّة وظائف بوليسيّة، ولا يحقّ لها تقديم المواطنين إلى المحكمة، وليس لها حقّ الإرغام القانونيّ أو وظائف المحافظة على الأمن الداخليّ...

٤) من أجل مصلحة أجهزة الاستخبارات القائمة، تقديم الخدمات ذات الاهتمام المشترك، والتي يمكن أن تنفّذ بفعاليّة أكبر، وبصورة مركزيّة، وذلك بناء على قرار مجلس الأمن القوميّ.

٥) القيام بالوظائف والالتزامات الأخرى، المرتبطة بالاستخبارات والتي تمسّ الأمن القوميّ، ويمكن أن يكلّفها بها مجلس الأمن القوميّ، بصورة إداريّة من فترة إلى أخرى.

جاء هذا البند الأخير تحفة السفسطة القانونيّة. فبعد انقضاء ثلاثين عامًا كتب يقول "ك. كليفورد"، مساعد "ترومان" الذي شارك في صياغته، بأنّه قد وضعت له صيغة صالحة "لجميع حالات الطوارئ"، و"صيغة صالحة لجميع الظروف". وقال أيضًا بأنّ واضعي هذا البند لم يقصدوا به الأعمال التخريبيّة تحديدًا، ولكن عندما بدأت المخابرات المركزيّة بممارسة هذه الأعمال، استخدمت هذا البند بصفة مبرّر لـ "شرعيّتها"[١].

---

١ - The Washington Post, 5. IV, 1978.

لقد سمح "ويليام كولبي"، المدير السابق لوكالة المخابرات المركزيّة، لنفسه بتقديم تقدير صريح لهذا القانون، وكتب يقول: "كان القانون، الذي تقوم على أساسه وكالة المخابرات المركزيّة بأنشطتها، غير محدّد، ومزدوج المعنى. واضح تمامًا، أنّه أكسب هذه الصيغة بصورة مقصودة، ولم يبقَ أمام وكالة المخابرات المركزيّة سوى وضع مقاييسها ونماذجها، التي يمكن أن تكشف عن وضعها"[1].

إنّ كلمات "كولبي" هذه، تلقي الضوء على تصريح "آلن دالاس" حيث قال بأنّ المشرّعين قد وفّروا للمخابرات الأميركيّة وضعًا فريدًا. واستغلّت وكالة المخابرات المركزيّة غموض هذا القانون، وأخذت تعمل، كما كان يبدو لها ضروريًّا، دون أن تنسى الحصول على موافقة البيت الأبيض ومجلس الأمن القوميّ. وقد قال "ترومان": "إنّ قانون الأمن القوميّ قد وضع وكالة المخابرات المركزيّة تحت إشراف مجلس الأمن القوميّ"[2].

من الطريف هنا أن نشير إلى وصف "ترومان" لعمل مجلس الأمن القوميّ وصلاحيّاته.

كتب الرئيس "ترومان": "لقد شعرت بالرضى، من أنّ الكونغرس، عملاً منه بتوصيتي، قد منح السلطة التنفيذيّة هيئة مركزيّة لبحث المسائل السياسيّة. لقد استخدمت مجلس الأمن القوميّ كمكان لصياغة التوجيهات فقط". ومثله، مثل مجلس الوزراء، لا يتّخذ مجلس الأمن القوميّ أيّ قرارات، فالسياسة تنطلق من الرئيس نظرًا إلى أنّه هو الذي يتّخذ القرارات النهائيّة. و"التصويت" في المجلس هو مجرّد خطوة روتينيّة. إنّ

---

١ - Colby W., *Forbath P. Honorable Men,* P. 349.

٢ - Truman H.S. Memoirs, Vol. 2, P. 58.

التصويت لا يحلّ أبدًا المشاكل السياسيّة. والقرارات لا تصدر إلاّ بتأييد الرئيس، وبتأييده الواضح تحديدًا. في هذه الحالة فقط تكتسب سياسة الولايات المتّحدة صفة رسميّة. وحتّى عندما يرأس الرئيس جلسة مجلس الأمن القوميّ ويعبّر عن موافقته، فهذه ليست المرحلة النهائيّة. يقدّم المجلس الوثيقة رسميًّا للرئيس. وتقول الوثيقة إنّ مجلس الأمن القوميّ عقد اجتماعًا وأوصى بهذا العمل أو ذاك، الذي حاز على قبول الرئيس. عندما يوقّع الرئيس هذه الوثيقة، تغدو التوصيات الواردة فيه جزءًا من سياسة الدولة[1].

لقد توقّفنا بالتفصيل على عمليّة اتّخاذ القرار في مجال "الأمن القوميّ"، كي لا يتطرّق إلى ذهن القارئ أدنى شكّ، حول أصول الوثائق التوجيهيّة لمجلس الأمن القوميّ، التي تتعلّق بوكالة المخابرات المركزيّة، والتي سنذكرها لاحقًا. هذه الوثائق كانت تحمل بصمات التأييد الكامل من جانب الرئيس "ترومان" ومَن أتى من بعده من الرؤساء. وقد ظهرت علاقات خاصّة بين الرئيس ووكالة المخابرات المركزيّة. بهذا الخصوص يقول "كولبي": "بما أنّ الرئيس كان يرأس جلسات مجلس الأمن القوميّ، وبما أنّ أعضاء الحكومة المتمتّعين بعضويّة المجلس، لم يكن لهم سوى صوت استشاريّ، فهذا يعني أنّ وكالة المخابرات المركزيّة كانت ترتبط بقناة اتّصال مباشر مع الرئيس، وكانت خاضعة لإشرافه"[2].

لكنّ "ترومان" لم يسعَ إلى احتكار قيادة الاستخبارات. وكما يبدو من مذكّراته، فقد كان راضيًا عن أنّ جهاز مجلس الأمن القوميّ يعمل في ارتباط وثيق مع وكالة

---

١ - Ibid., P. 59.

٢ - Colby W., *Forbath P. Honorable Men.* P. 71.

المخابرات المركزيّة. فإذا كان من المقرّر بحث سياسة الولايات المتّحدة في منطقة ما من العالم، في مجلس الأمن القوميّ، فإنّ جهاز هذا المجلس كان يطلب من وكالة المخابرات المركزيّة تقويمًا للعواقب الممكنة لمثل هذه السياسة. والعادة، أن يأتي مدير الوكالة نفسه، حاملاً معه وثيقة تحليليّة، ردًّا على الطلب المقدّم إلى الوكالة. في هذه الوثيقة، كانت تؤخذ بعين الاعتبار "آراء وكالة المخابرات المركزيّة وآراء جميع المجالس الاستشاريّة التابعة لها"[1].

وفسّر "ترومان" أنّ المقصود بالمجالس الاستشاريّة للوكالة هي دوائر الاستخبارات التابعة للجيش والقوى البريّة والقوى الجويّة، ومخابرات وزارة الخارجيّة ولجنة الطاقّة الذريّة.

يتّضح من مذكّرات "ترومان"، أنّه كان ينسب إلى فئة المعلومات الاستراتيجيّة المعلومات الاستخباريّة المتعلّقة بالبلدان الاشتراكيّة. ولم يشر الرئيس السابق إلى المعطيات والمعلومات الأخرى التي اعتبرها معلومات استراتيجيّة. عمومًا، كان "ترومان" يطالب بأن "تصل المعلومات الاستخباريّة إلى كلّ من هو بحاجة إليها، وفي الوقت المناسب دائمًا"، وأن تكون هذه المعلومات "ذكيّة ومفهومة"، وإلاّ، فهي تغدو، حسب قوله، عديمة الفائدة".

يرى بعض الباحثين الأميركيّين في شؤون الاستخبارات أنّ مثل هذا المدخل أعطى وكالة المخابرات المركزيّة إمكان تركيز اهتمام الرئيس ومستشاريه على تلك المسائل والمناطق الجغرافيّة والخطوات الممكنة في السياسة، التي كانت تحظى باهتمام الوكالة الخاصّ وتشكّل، أحيانًا، فائدة لها.

---

١ - Truman H.S. Memoirs, Vol. 2, P. 60.

يقول الباحث "غ. روزيتسكي": "إنّ الأمر الذي تهتمّ به وكالة المخابرات المركزيّة هو إعداد الدراسات والتحليلات حول المواقف المتأزّمة في الخارج، للرئيس ومستشاريه"[١].

بالرغم من إشارة "غ. روزيتسكي" إلى أنّ البيت الأبيض ووزارة الخارجيّة ووزارة الدفاع تحدّد "الأفضليّات المعلوماتيّة"، أي المهام الأساسيّة والأوليّة لوكالة المخابرات المركزيّة، فإنّ الوكالة تتمتّع بالمبادرة، في إملاء وتعبئة التيّار المعلوماتيّ الذاهب إلى البيت الأبيض والحكومة.

إنّ النموّ السريع لنفوذ وكالة المخابرات المركزيّة قد أثار تذمّرًا من جانب "المجالس الاستشاريّة"، الأمر الذي دفع بالرئيس "ترومان" إلى إيجاد آليّة قادرة على تحقيق التوازن في مسار معلومات الاستخبارات.

من بين خصائص قانون الأمن القوميّ لعام ١٩٤٧ أنّه لم يرد فيه أيّ ذكر إطلاقًا للقب مدير وكالة المخابرات المركزيّة، رغم أنّ "ترومان" كما رأينا سابقًا، كان يدعوه بهذا الإسم. لقد ورد في القانون لقبان هما: مدير المخابرات المركزيّة والنائب الأوّل لمدير المخابرات المركزيّة. ولكن لم يقدّم أبدًا، أيّ تفسير للمقصود بالمخابرات المركزيّة بالذات، بالاختلاف عن وكالة المخابرات المركزيّة.

كتب "كولبي"، المدير السابق لوكالة المخابرات المركزيّة، يقول إنّه كان يرتدي "قبّعتَين": مدير وكالة المخابرات المركزيّة ومدير المخابرات المركزيّة، أو منسّق "الاستخبارات المشتركة" على الأغلب.

---

١ - Rositzke H., *CIA'S Secret Operations*, (New York,1977) P. 10

إنّ الإدارات الاستخباريّة الأخرى، خوفًا من تحول مدير الاسخبارات المركزيّة إلى شخصيّة جبّارة للغاية، سعت إلى تشكيل آليّة، في تلك الأعوام، تسمح لها بالدفاع عن مصالحها بفعاليّة أكبر. إنّ ما حدث قد عرضه "آلن دالاس" على النحو التالي: "كان الرئيس "ترومان" يدعو أجهزة الاستخبارات الأخرى بالمجالس الاستشاريّة لوكالة المخابرات المركزيّة. وفي عام ١٩٥٠، أصبح اسم هذه الأجهزة لجنة الاستخبارات الاستشاريّة التي عُرفت، في ما بعد، باسم "مجلس استخبارات الولايات المتّحدة"، ويُدعى غالبًا بـ "الاستخبارات المشتركة".

كان مجلس الاستخبارات يجتمع بصورة دوريّة أسبوعيًّا أو أكثر أثناء الأزمات أو عند ورود معلومات استخباريّة هامّة وجديدة. يُعتبر مدير الاستخبارات المركزيّة مسؤولاً عن التقويمات التي يتّخذها المجلس، ولكن إذا لم يوافق أحد أعضاء المجلس على هذه التقويمات، تُعرض وجهة نظره في الملاحظات الخاصّة بالتقويمات، التي تُعرض على الرئيس وعلى أعضاء مجلس الأمن القوميّ المهتمّين بالأمر"[١].

كما اتّصف قانون ١٩٤٧ بعدم الوضوح حيال مفهوم الاستخبارات المركزيّة، وحيال وظائف وكالة المخابرات المركزيّة. وحتّى يومنا هذا، تعرب الأدبيّات الأميركيّة المختصّة عن رأي مفاده أنّ هذا القانون لا يضمّ إشارة دقيقة واضحة إلى تكليف وكالة المخابرات المركزيّة بالقيام بالاستطلاع والاستخبار، بما في ذلك الحصول على المعلومات من الخارج. ووفقًا لهذا المفهوم، فوكالة المخابرات المركزيّة أُنشئت كجهاز أركانيّ تنسيقيّ، يقوم بمعالجة المعلومات الاستطلاعيّة والاستخباريّة، التي تجمعها الأجهزة الاستخباريّة المختصّة الأخرى.

---

١ - Dulles A. W., *The Craft Of Intelligence,* Britannica Book Of The Year 1963, (Chicago, 1963), PP. 44- 45.

رغم أنّ وجهة النظر هذه، لا تخلو من أساس ترتكز عليه، فمن الخطأ أن ننسى قول "كولبي" حول أنّ البيت الأبيض والكونغرس قد وضعا قانونًا مبهمًا وغامضًا، بحيث تستطيع وكالة المخابرات المركزيّة أن تمارس ما تريده، ثمّ تستند، في ممارستها، إلى القانون نفسه.

في عام ١٩٤٨، كلّف "ترومان" "آلن دالاس" بترؤّس مجموعة صغيرة شُكّلت لدراسة نشاط وكالة المخابرات المركزيّة، وصياغة التوصيات المناسبة لتحسينه. وقد ضمّت المجموعة، بالإضافة إلى "دالاس" "و. جاكسون" المصرفيّ والمدير الإداريّ لدار نشر "ج.غ. أويتين إند كومباني" في نيويورك، و"م. كوريا" المساعد الخاصّ لوزير الدفاع والمحامي المعروف سابقًا، وكلاهما كانا قد عمل مع "دالاس" في إدارة الخدمات الاستراتيجيّة أثناء الحرب العالميّة الثانية.

من الأمور الطريفة في أعمال هذه المجموعة أنّ "جاكسون وكوريا" المنشغلَين بأعمالهما الخاصّة، قد عهدا إلى "دالاس" بأعمال البحث الأساسيّة وكتابة التقرير. وقد أخفى "دالاس" عن "ترومان" حقيقة أنّه كان يمارس، في آن واحد، دورًا آخر، هو دور كاتب البيانات والخطب الانتخابيّة لـ "ت. ديوي" مرشّح الحزب الجمهوريّ لمنصب الرئيس في انتخابات ١٩٤٨، والمنافس الشديد للرئيس "ترومان". كان "دالاس" واثقًا من أنّ النصر في الانتخابات سيكون حليف "ديوي"، لهذا لم يسرع بتسليم التقرير للرئيس "ترومان". فقد كان ينوي أن يشغل، فور نجاح "ديوي" منصب مدير وكالة المخابرات المركزيّة، غير أنّه اضطرّ، مع ذلك، إلى تسليم التقرير للرئيس "ترومان" في ١ كانون الثاني - يناير ١٩٤٨. ويُعتبر هذا التقرير، حتّى الآن، وثيقة سريّة. وقد أطلع الرأي العامّ الأميركيّ على الأفكار الأساسيّة الواردة في هذه الوثيقة العقيد الجويّ المتقاعد و"ضابط الاتّصال" السابق للبنتاغون في وكالة المخابرات المركزيّة

"ف. براوتي"، الذي يقول: "أثبت تقرير دالاس ـ جاكسون ـ كوريا أنّ وكالة المخابرات المركزيّة يجب أن تكون، بشكل كامل، إدارة استخبارات عمليّاتيّة.

من ناحية أخرى، كان "ترومان" يعتقد أنّ وكالة المخابرات المركزيّة يجب ألاّ تكون أكثر من أداة معلوماتيّة في يد الرئيس. وكان يرى أنّ وكالة المخابرات المركزيّة يجب أن تزوّده، بناء على طلبه، بالمعلومات اللازمة له. وبعبارة أخرى، كانت وجهة نظره تمثّل النظرة التقليديّة لاستخدام الاستخبارات كأداة أركان. على النقيض من ذلك، دافع تقرير "دالاس" عن فكرة مفادها أنّ وكالة المخابرات المركزيّة يجب أن تحرّك عملاءها في جميع الاتّجاهات، وتجمع المعلومات ذات الأهميّة الحيويّة، وتقيم الاتّصالات الخطرة على العملاء الأميركيّين، وتطلق أيدي العملاء للنشاط العمليّاتيّ"..

وعبّر تقرير "دالاس ـ جاكسون ـ كوريا" عن عدم الرضى لوجود عدد كبير من العسكريّين بين كبار العاملين القادة في وكالة المخابرات المركزيّة.

في عام ١٩٥٠، وبالرغم من الانتقاد الذي ورد في هذا التقرير الثلاثيّ، عيّن الرئيس "ترومان" على رأس وكالة المخابرات المركزيّة مديرًا عسكريًّا هو الجنرال المتقاعد "ب. سميث" الذي كان قد شغل منصب سفير الولايات المتّحدة في الاتّحاد السوفياتيّ.

غير أنّ "ترومان" لم يقف موقف اللامبالاة، بشكل كامل، من هذا التقرير، ففي الوقت نفسه، وإثر تعيين "سميث" عيّن الرئيس "جاكسون" أحد واضعي التقرير، نائبًا أوّلاً لسميث. وبعد شهرَين، في كانون الثاني ـ يناير ١٩٥١ جاء إلى وكالة المخابرات المركزيّة "آلن دالاس" واحتلّ منصبًا جديدًا كان قد أُسّس للمرّة الأولى هو منصب نائب مدير الوكالة لشؤون التخطيط، ورئيس الإدارة السريّة للغاية، التي يعود تاريخ تأسيسها

إلى أواخر عام ١٩٤٦، عندما كانت تُرسم في مكاتب واشنطن الهادئة الأعمال التخريبيّة ضدّ البلدان والشعوب الأخرى.

تدلّ الوقائع على أنّ وكالة المخابرات المركزيّة قد أُسّست، منذ البداية، كأداة للقرصنة الدوليّة.

في أعوام الحرب العالميّة الثانية، كان يعمل الملياردير "ن. روكفلر" نائب الرئيس الأميركيّ لاحقًا، في جهاز البيت الأبيض، إذ كان يرأس آلة دعائيّة جبّارة موجّهة إلى أميركا اللاتينيّة. وبعد عام ١٩٤٥، واستنادًا إلى خبرته، أقنع الفئة الحاكمة في واشنطن بشنّ "حرب نفسيّة" ضدّ الاتّحاد السوفياتيّ وبلدان أوروبّا الشرقيّة، وضدّ الأحزاب الشيوعيّة والعالميّة في العالم كلّه. هذه الفكرة اكتسبت في أواخر عام ١٩٤٦، في شخص وزير الحربيّة "ر. باترسون" الذي أمّن لنفسه دعم وزير البحريّة، وبمبادرة منهما، شُكّلت في اللجنة التنسيقيّة لوزارة الخارجيّة ووزارة الحربيّة ووزارة البحريّة، لجنة فرعيّة دُعيت باسم "اللجنة الفرعيّة للبحوث والتقويمات"، هدفها دراسة إمكانات نشر "الحرب النفسيّة" في أوروبّا. كما تمّت صياغة مقترحات شكّلت أساس الأعمال التخريبية السريّة المقبلة. وفي نيسان - إبريل من العام التالي، شرعت هذه اللجنة بالتخطيط للعمليّات التخريبيّة السريّة. وبصورة موازية كانت تجري أعمال البحث عن البنية التنظيميّة لتحقيقها.

في هذه الأثناء طُرحت أمام واشنطن مهمّة محدّدة هي عدم السماح بانتصار القوى اليساريّة في الانتخابات الإيطاليّة في نيسان - إبريل ١٩٤٨. هذه المهمّة وضعها "ترومان" و"مارشال" على عاتق وكالة المخابرات المركزيّة. وفي الاجتماع الأوّل لمجلس الأمن القوميّ في ١٩ كانون الأوّل - ديسمبر ١٩٤٧، اتُّخذ القرار التوجيهيّ رقم ٢/٤ الذي كلّف "هيلينكوتر" مدير وكالة المخابرات

المركزيّة، ببدء "الأعمال الخفيّة" بهدف "الحيولة دون انتصار الشيوعيّين في الانتخابات في إيطاليا"[1].

تعليقًا منه على هذا القرار كتب "كولبي" يقول: "في كانون الأوّل - ديسمبر ١٩٤٧ منح الرئيس "ترومان" وكالة المخابرات المركزيّة حقّ القيام بعمليّات سيكولوجيّة ودعائيّة صغيرة. لكنّ القادة الآخرين طالبوا بعمليّات سياسيّة، بل وحتّى شبه عسكريّة"[2].

من الأمور ذات الدلالة، أنّه عندما سأل "هيلينكوتر"، مدير وكالة المخابرات المركزيّة، "ل. هيوستن" كبير المستشارين القانونيّين لوكالة المخابرات المركزيّة، رأيه حول إذا ما كان قانون الأمن القوميّ لعام ١٩٤٧ يسمح بالقيام بعمليّات تخريبيّة سريّة، جاء الجواب بالنفي[3].

وبحسب إحدى الروايات، فإنّ "هيلينكوتر" قد نبذ "هيوستن"، بينما تقول رواية أخرى إنّ سوء التفاهم الذي نشأ بينهما قد حلّه "ترومان" بنفسه بتأكيده على الأمر التوجيهيّ رقم ٤/٢.

يقول "كولبي" إنّ المسألة في إيطاليا لم تقتصر على العمليّات الدعائيّة نظرًا لأنّ مجلس الأمن القوميّ، في أمره التوجيهيّ الآنف الذكر، قد سمح بالقيام بـ "مجموعة واسعة من الأعمال الخفيّة". لقد موّلت وكالة المخابرات المركزيّة، سرًّا، الأحزاب البورجوازيّة، وشكّلت منظّمات عمليّة، كان على أعضائها نسف مسيرات الأحزاب

---

١ - Powers Th., *The Man Who Kept The Secrets,* P. 29

٢ - Colby W., *Forbath P. Honorable Men,* PP. 71- 72.

٣ - Powers Th., *The Man Who Kept The Secrets,* P. 30.

اليساريّة واجتماعاتها. وتفنّن عملاء "هيلينكوتر"، على نحو خاصّ، في محاولات تشويه سياسة الاتّحاد السوفياتيّ، والتحوّلات الديمقراطيّة التي جرت في بلدان أوروبّا الشرقيّة. وفي الآن نفسه، تصاعد الابتزاز الأميركيّ للإيطاليّين، وترددت الشائعات والتهديدات بانقلاب عسكريّ في حال فوز الأحزاب اليساريّة في الانتخابات.

بعد أن حقّقت واشنطن أهدافها في إيطاليا، اكتسبت الأعمال التخريبيّة السريّة على شواطئ بوتوماك (نهر يقع على ضفّته مبنى وزارة الدفاع الأميركيّة في واشنطن) شهرة الوسيلة السحريّة. فامتدّت إليها الإدارات المختلفة. ومن أجل تنفيذ العمليّات الإيطاليّة كانت قد شُكّلت "مجموعة خاصّة" موقّتة للعمليّات الخاصّة في وزارة الخارجيّة. وطُرحت في تلك الأثناء مسألة تشكيل آليّة قائمة لهذه الأعمال. وسعت وزارة الخارجيّة والبنتاغون إلى السيطرة على هذه الآليّة. وقد أرسل "آلن دالاس"، الذي كان يعمل في تلك الأثناء، بالاشتراك مع "جاكسون وكوريا"، في وضع التوجيهات للرئيس "ترومان"، مذكّرات للرئيس دعاه فيها إلى عدم التفريط بأيّ شكل من الأشكال، بالإشراف على الجهاز المقبل، وتركيز كلّ شيء في أيدي وكالة المخابرات المركزيّة. لكنّ البيت الأبيض لم يقدم على ذلك، في تلك المرحلة.

في ١٨ حزيران - يونيو ١٩٤٨ أقرّ مجلس الأمن القوميّ الأمر التوجيهيّ ١٠/٢ الذي نصّ على تأسيسه منظّمة لتنفيذ العمليّات التخريبيّة. وكان رئيس المنظّمة يُعيّن من جانب وزير الخارجيّة، ويتبع له ولوزير الدفاع، ويحصل على الأموال والرجال لملاك المنظّمة من وكالة المخابرات المركزيّة. وكلّف مجلس الأمن القوميّ الرئيس المقبل للمنظّمة الجديدة بإيجاد اسم لها. وقد جاء أوّل رئيس لهذه المنظّمة "فرانك فيزنير" المليونير النيويوركيّ، وعميل إدارة الخدمات الاستراتيجيّة السابق في اسطنبول وبودابست وبوخارست وبرلين، وهو الذي جرّ الجنرال الهتلريّ

"رغالين" للتعاون مع وكالة المخابرات المركزيّة. وقد دعى منظّمته باسم "إدارة التنسيق السياسيّ".

في الأمر التوجيهيّ ١٠/٢ وردت اختلافات معادية للشيوعيّة وللاتّحاد السوفياتيّ، وتمّ التأكيد فيه، على أنّ الاتّحاد السوفياتيّ يُعتبر الهدف الرئيسيّ للحرب السريّة. وورد في هذا الأمر أيضًا تعداد لأنواع العمليّات التخريبيّة السريّة: "الدعاية، الحرب الاقتصاديّة، الأعمال الوقائيّة المباشرة بما فيها التخريب والعصيان والعصيان المضادّ، والتفجيرات، وتدابير الترحيل والإجلاء، الأعمال التخريبيّة ضدّ الدول المعادية بما فيها دعم حركات المقاومة السريّة وتأييد العناصر المحليّة المعادية للشيوعيّة في بلدان العالم الحر المعرّضة للتهديد". أمّا الشرط الإلزاميّ لجميع الأعمال التخريبيّة السريّة، فهو "تخطيط العمليّات وتنفيذها على نحو لا يمكن أن يظهر فيها، لأيّ كان، ما عدا الأفراد الموثوقين، أيّ مسؤوليّة عنها للولايات المتّحدة الأميركيّة، وبحيث تستطيع الحكومة الأميركيّة، في حال اكتشافها، التملّص منها ونفي أيّة علاقة لها بها".

كان لهذا الشرط الأخير دور كبير في اختيار تكتيك وكالة المخابرات المركزيّة، التي كانت تركّز جلّ اهتمامها على تنفيذ العدد الأكبر من العمليّات بأيدي الغير. وأخذ الأميركيّون، على عاتقهم، القيادة والتمويل والتزويد بالسلاح والوثائق المزوّرة. وكان عملاؤهم في مختلف البلدان يُكملون مكائدهم ويُنجزونها: كانوا يقتلون ويشوّهون، ويعذّبون ويفجّرون ويحرقون. وكانت وكالة المخابرات المركزيّة تدفع أجور... إثارة القلائل، والانقلابات الحكوميّة، والحروب ضدّ الثوّار والثورات.

في هذ الصدد أصدر الرئيس "ترومان" عام ١٩٤٩، عن طريق الكونغرس، قانونًا خاصًّا جديدًا يتعلّق بوكالة المخابرات المركزيّة، تمّ فيه تثبيت ميزانيّتَين استثنائيّتَين

للوكالة هما: إنفاق أموال الميزانيّة غير المحدود وغير المراقب عمليًا، وإعفاؤها من المراقبة القانونيّة من جانب وزارة العدل.

تتجلّى استراتيجيّة إدارة التنسيق السياسيّ التي كانت تتمسّك بها في محاربتها للاتّحاد السوفياتيّ، في الرغبة باستغلال جهود الغير لصالحها. لقد عبّأت إدارة "فيزنير هذه"، المخابرات السريّة البريطانيّة، وإدارة مخابرات "غالين" الألمانيّة الغربيّة، من أجل إرسال الجواسيس إلى الاتّحاد السوفياتيّ من عداد المهاجرين المنتمين إلى التنظيمات القوميّة المختلفة المعادية للاتّحاد السوفياتيّ. لكنّ جميع هذه الأعمال قد نُسفت، من أساسها، كما يعترف بذلك "ت. باورس" "نظرًا للفعاليّة التي لا مثيل لها التي كانت تتحلّى بها قوى الأمن السوفياتيّة". وقد قامت الطائرات الأميركيّة، في حالات نادرة جدًّا، بإنزال العملاء من الجوّ إلى أراضي الاتّحاد السوفياتيّ، غير أنّ هذه العمليّات انتهت بالفشل دائمًا تقريبًا. وعندما كان يبلغ "دالاس" بذلك، كان يردّد عبارة: "على الأقلّ، نكتسب خبرة سوف نحتاج إليها في الحرب المقبلة"[1].

كانت أركان العمليّات شبه العسكريّة، في إدارة التنسيق السياسيّ، التي تتألّف، بصورة رئيسيّة، من كبار ضبّاط القوّات الأميركيّة المسلّحة، في حالة من الحركة والنشاط المحمومَين وكأنّها عشيّة حرب. فقد كان ضبّاط الأركان، كما يقول "باورس" مأخوذين بفكرة إرسال المخرّبين إلى مناطق المطارات السوفياتيّة بأسرها، انطلاقًا من أنّ الحرب ستبدأ في الأوّل من تمّوز - يوليو ١٩٥٢. لكنّ المصير البائس للعملاء والمخرّبين المرسلين أرغم وكالة المخابرات المركزيّة على التخلّي مستقبلاً عن خطّتها.

---

١ - Rositzke H., *CIA'S Secret Operations*, P. 37

كانت وكالة المخابرات المركزيّة تُعدّ الجيوش المأجورين ضدّ بولونيا وجمهوريّة ألمانيا الديمقراطيّة وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وألبانيا، وشكّلت من رجال الثورة المضادّة عصابات لضرب يوغوسلافيا. أمّا إلى جمهوريّة الصين الشعبيّة فقد كانت ترسل سنويًّا ستّ مجموعات من الصينيّين "الوطنيّين" المسلّحة تسليحًا جيّدًا.

قوبلت الأعمال السريّة التخريبيّة لوكالة المخابرات المركزيّة بمقاومة شديدة. ومع ذلك استمرّت تبحث، وبنشاط أكبر، عن أماكن لبذل جهودها، معتمدة خلال ذلك، على مبدئها التكتيكيّ الأساسيّ وهو تنفيذ المؤامرات بأيدي المأجورين من البلدان الأخرى، من سياسيّين ودبلوماسيّين وعسكريّين ورجال شرطة وصحفيّين.

يقول "س. لوري" أستاذ كليّة الصحافة بجامعة ولاية أوهايو: "استُدعي فرانك فيزنير عام ١٩٤٨ للخدمة الحكوميّة في تخطيط وتوجيه العمليّات "السوداء" الداعمة للسياسة الجديدة التي اتّبعتها إدارة ترومان في وقف الشيوعيّة وكبحها. وأسّس "فيزنير" منظّمة كان يدعوها، على سبيل المزاح والتحبّب "رجلي فورليتسر الجبّار". (فورليستر: أميركيّ من أصل ألمانيّ، صمّم أرغن موسيقيّ للتصوير السينمائيّ، يقلّد أصوات الرعد والمطر وأصوات السيّارات وما شابه ذلك) لقد كانت هذه المنظّمة رهيبة للغاية، فقد كانت تستخدم مفاتيح عديدة من صناديق خيريّة، نقابات، دور النشر، الحركة الطلّابيّة، لخلق ونشر روايات ملفّقة موضوعها: التشهير بالشيوعيّة والاتّحاد السوفياتيّ، وتطوير الحركة الديمقراطيّة المسيحيّة في أوروبّا الشرقيّة، وتكوين صورة إيجابيّة للولايات المتّحدة في الخارج".

كان مساعدو المليونير "فيزنير" أناسًا أغنياء، مرتبطين بالأسر الأميركيّة الأرستقراطيّة العريقة ذات الأوضاع الراسخة في الأوساط التجاريّة القويّة النفوذ. فما الذي جلبهم إلى إدارة التنسيق السياسيّ؟ هيبة منظّمة جديدة سريّة للغاية، والسعي

للامتياز والتفوّق في مكافحة الشيوعيّة، والإمكان الفعليّ للتأثير على سياسة الإدارة الأميركيّة. ليس هذا فحسب، فالفئات العليا المسيطرة على إدارة التنسيق السياسيّ كانت تتألّف، كما يشير الباحثون، من "النبلاء الأنجلوساكسونيّين البيض" الذين كانوا ينظرون إلى العالم كلّه، تمامًا كما كان الإنكليز ينظرون إلى مستعمراتهم، ويميلون إلى حلّ المشاكل على نمط أمهر لاعبي البورصة، "كانوا ظمئين إلى المغامرات وتميّزوا، في أوساطهم، بقلّة الاختلاط، داعين أنفسهم بالقطيع"[1]. وكان هذا "القطيع" يتمتّع بقوّة خارقة كبيرة، الأمر الذي يؤكّد على رواية ولادة الأعمال التخريبيّة السريّة التي تذكرها المؤرّخة "آ. كاراليكاس".

في عام ١٩٧٦ كان أرشيف وكالة المخابرات المركزيّة يضمّ ٧٥ مجلّدًا من التاريخ الرسميّ للوكالة. وخلال شهرين كاملين اطّلعت الباحثة الشابّة المتخرّجة من جامعة هارفرد آ. كاراليكاس على هذه المجلّدات. كما سُمح لها بإجراء مقابلات مع ٦٠ شخصًا من كبار المسؤولين في الوكالة. وكانت نتيجة بحثها كتابها "تاريخ وكالة المخابرات المركزيّة" في ٩٥ صفحة كتبته بناء على طلب لجنة مجلس الشيوخ الخاصّة بدراسة أنشطة أجهزة الاستخبارات، وقد مرّ كتاب الباحثة عبر أجهزة الرقابة في الوكالة وحاز على قبولها.

من بين الأسباب التي دعت إلى قرار الشروع بـ"الأعمال الخفيّة" تذكر المؤرّخة "الرعب الذي شعر به صانعو السياسة الأميركيّة من انتصار الشيوعيّين في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٤٨، والمظاهرات التي تزعّمها الشيوعيّون في أوروبّا الغربيّة". وترى "كاراليكاس" أنّ "ج. كينان" الذي كان يترأّس في تلك الأثناء، مجلس تخطيط

١- Powers Th., *The Man Who Kept The Secrets*, P. 36.

السياسة في وزارة الخارجيّة، هو "الأب الروحيّ" للعمليّات التخريبيّة. ومن المعروف أنّ "كينان" قد اشتهر بأنّه مهندس مذهب السياسة الخارجيّة "قمع الشيوعيّة"، وهو المذهب الذي يوجّه رأس حربته ضدّ الاتّحاد السوفياتيّ. وبعد مضيّ سنوات عديدة، لم ينفِ "كينان" تلبّسه بالعمليّات التخريبيّة واشتراكه في تنظيمها. تقول "كاراليكاس" إنّ التاريخ يثبت أنّ إدارة التنسيق السياسيّ قد نمت على نحو عاصف جدًّا. فقد ازداد عدد العاملين فيها من ٣٠٢ موظّف عام ١٩٤٩ إلى ٦,٠٠٠ موظّف عام ١٩٥٢، ومن سبعة فروع إلى سبعة وأربعين فرعًا، خارجًا عن مقرّ وكالة المخابرات المركزيّة. كما ارتفعت ميزانيّتها من ٤,٧ مليون إلى ٨٢ مليون دولار أميركيّ.

يرى "باورس" أنّ النفقات الماليّة المذكورة هي أقلّ من النفقات الفعليّة. فاستنادًا إلى "ف. ليندسي" الرئيس السابق لفرع أوروبّا الشرقيّة لإدارة التنسيق السياسيّ يقول "باورس" بأنّ "فيزنير" ردًّا على طلب "ليندسي" بتخصيص ثمانين مليون دولار لقسمه وحده، خصّص له أكثر من مئة مليون دولار في العام.

وقد أُثير هرج كبير حول الخدمة في إدارة التنسيق السياسيّ. ففيها كانت الرواتب أعلى والترفيعات في الخدمة أسرع من بقيّة أقسام وكالة المخابرات المركزيّة. واجتذبت إدارة التنسيق السياسيّ إليها العاملين في مديريّة العمليّات الخاصّة، التابعة للوكالة، وانتزعت منها، بمختلف السبل، عملاءها الأجانب، وحوّلتهم من "جواسيس" إلى مخرّبين وإرهابيّين واستفزازيّين.

ويقول "باورس" بأنّ "الشكّ والعداء المتبادل بين مديريّة العمليّات الخاصّة وإدارة التنسيق السياسيّ كانا أمرَين لا بدّ منهما. فتنافس الإدارتَين كان يجري، أحيانًا، بسبب الصراع من أجل المخصّصات الماليّة، واجتذاب الدوائر العليا من السلطة في واشنطن، وما هو على الدرجة نفسها من الأهميّة، من أجل التنافس على الحلبة

الخارجيّة". لهذا، تقرّر توحيد الإدارتَين في مديريّة جديدة باسم "مديريّة التخطيط" برئاسة "فيزنير". ولكن، بما أنّ هذا الأخير لم يكن يتمتّع بشعبيّة خاصّة بين العاملين في إدارة العمليّات الخاصّة السابقة، فقد تقرّر إنشاء منصب جديد في وكالة المخابرات المركزيّة هو منصب نائب المدير لشؤون التخطيط. وقد أقنع "سميث" مدير الوكالة و"جاكسون" نائبه الأوّل، "آلن دالاس" بأن يشغل منصب نائب مدير الوكالة لشؤون التخطيط. وباشر "دالاس" مهام منصبه الجديد في كانون الأوّل ـ ديسمبر عام ١٩٥١. وفي آب ـ أغسطس من العام نفسه، حلّ "دالاس" محلّ "جاكسون في منصب النائب الأوّل لمدير الوكالة. وبانتصار الجمهوريّين في انتخابات الرئاسة عام ١٩٥٢، أصبح "دالاس" مدير الوكالة. واعتبارًا من شباط ـ فبراير ١٩٥٢ عيّن "دالاس" في منصب نائب مدير الوكالة لشؤون التخطيط "فيزنير" الذي شغل هذا المنصب مدّة ستّ سنوات، ثمّ ظهرت عليه أعراض المرض النفسيّ وأنهى حياته بالانتحار.

تلفت دراسة "كارليكاس" الانتباه إلى خاصّة من خصائص العمليّات التخريبيّة السريّة. فقد كان ضبّاط وكالة المخابرات المركزيّة يلقون التشجيع على تنظيم أكبر قدر ممكن من "المشاريع" المتميّزة بـ "الأخلاق والتلفيق"، والتي كانت تنفّذ "دون مراقبة خاصّة دقيقة من المركز في الولايات المتّحدة". وبعد أن أُطلق العنان لهم، سعى "فرسان المعطف والخنجر" إلى التفوّق والتزلّف، وتعتيم أحدهم على الآخر. لقد أطلق صانعو السياسة الأميركيّة "الجنّيّ من القمقم"، ولم يغيّر من الأمر شيئًا، تعبير بعض السياسيّين عن أنفسهم وذهولهم، بل وإدانتهم، في تعليقهم على "شطارة" رجال "آلن دالاس" المفرطة.

في حديثه عن التفاصيل التي أصبحت معروفة عام ١٩٧٦، الخاصّة بتشكيل "دالاس وفيزنير" جيوشًا معدّة للتدخّل في البلدان الاشتراكيّة، مكوّنة من خونة أبناء هذه

البلدان، أعلن "كينان" قائلاً: "لقد كنت غير راض عن هذه العمليّة كلّها، وأعتقد أنّ الوكالة قد ذهبت أبعد بكثير ممّا خُطّط لها".

وقبل ذلك، في كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٦٣، نشر الرئيس الأسبق "ترومان" تصريحًا في الصحف، أثار ضجّة كبيرة. فقد جاء في مقال يحمل توقيعه نشرته النقابة الصحفيّة "نورث أميركان أليانس": "خلال الفترة الأخيرة كنت أشعر بالقلق لأنّ وكالة المخابرات المركزيّة قد صُرفت عن وظيفتها الأصليّة. فقد أصبحت هذه الوكالة فعّالة، عمليّاتيّة، بل وأحيانًا، جهازًا حكوميًّا يرسم السياسة... عندما أُسّست هذه الوكالة، لم يخطر في ذهني أبدًا، أنّها سوف تمارس، في وقت السلم، عمليّات المعطف والخنجر. إنّ بعض الصعوبات والمشاكل التي نعانيها، تنبع، جزئيًّا، من أنّ هذه الإدارة الاستخباريّة الهادئة، الموضوعة في يد الرئيس الأميركيّ، قد أصبحت بعيدة جدًّا عن الغرض الأساسيّ الذي رُسم لها. وبودّي أن أرى وكالة المخابرات المركزيّة تعود إلى دورها الأساسيّ، دور أداة استخباريّة في يد الرئيس"[١].

تصريح "ترومان" هذا، كان مثيرًا للضجّة بقدر ما هو مثير للفضول. وهل هناك فرق فعلاً بين ما خطّط ترومان ورسم لهذه الوكالة وأسّسها شخصيًّا، وبين ما تحوّلت إليه وكالة المخابرات المركزيّة؟ وهل حدث تطوّر طبيعيّ في إدارة الجاسوسيّة الأميركيّة؟ أم أنّ "دالاس وفيزنير" وغيرهما قد صنعوا "ثورة" في هذه الوكالة؟

حسب رواية واردة من الوكالة ذاتها أنّه، بعد ظهور هذا التصريح، قدم إلى "ترومان" "دالاس" الذي كان قد استقال من إدارة الوكالة، طالبًا تفسير هذا التصريح. وكان الاثنان قد فارقا الحياة عندما نُشر كتاب "روزيتسكي" الذي يروي فيه تفاصيل

---

١ - The Washigton Post, 22, XII, 1963.

اللقاء بين "ترومان ودالاس". يقول "روزيتسكي": "أثناء حواره مع ترومان، طرح دالاس مسألة التصريح المنشور، أعاد إلى ذهنه قراراته الشخصيّة، التي سمحت للوكالة بالقيام بالعمليّات التخريبيّة في إيطاليا واليونان وتركيا والفيليبين. وبعد قراءة ثانية للتصريح المنشور، أعرب ترومان، من جديد، عن حيرته وارتباكه، وقال بأنّ هذا التصريح لم يكن دقيقًا، وهو يعطي انطباعًا معكوسًا. والأغلب أنّ كاتب هذا التصريح هو "دافيد نويس"، مساعد الرئيس ترومان الأسبق في البيت الأبيض، ولم يطلع عليه ترومان نفسه، الذي كان قد تجاوز الثمانين من العمر"[1].

من المستحيل إثبات ما إذا كان كاتب المقال هو "ترومان" أم "نويس" وما إذا كان هذا المقال يعكس شكوكًا راودت نفس الرئيس "ترومان" حول وكالة المخابرات المركزيّة أم لا. ومن الصعب أيضًا، على سبيل المثال، اتّهام "دالاس" بتحريف الوقائع عندما ذكّر الرئيس بالعمليّات التخريبيّة في اليونان والفيليبين، ناهيك عن إيطاليا.

في الوقت نفسه، لا يصحّ ألاّ نصغي إلى آراء "ر. دايفين" أستاذ التاريخ في جامعة تكساس، المتعلّقة بالرئيس "أيزنهاور"، لكنّها تبيّن، بصورة عامّة، صعوبة الكشف عن دور الرؤساء الأميركيّين الحقيقيّ في قيادة الأعمال التخريبيّة السريّة للوكالة. ويقول "دايفين" في كتابه "أيزنهاور والحرب الباردة": "إنّني لم أشر إلى العمليّات التخريبيّة السريّة لوكالة المخابرات المركزيّة، ليس لأنّها قليلة الأهميّة، بل لمجرّد صعوبة الحصول على معلومات عن دور أيزنهاور في هذه العمليّات"[2].

إنّ التقويم الحذر لدى الرؤساء الأميركيّين في قيادة الأعمال التخريبيّة السريّة يتجلّى في أبحاث مؤرّخين ومؤلّفين أميركيّين آخرين. لكنّ التنازلات التي يقدمون

---

١ - Rositzke H., *CIA'S Secret Operations*, P. 151.

٢ - Divine E. A., *Eisenhower And The Cold War*, (Oxford, 1981), P. IX.

عليها، بحجّة انشغال الرؤساء وعجزهم عن متابعة كلّ شاردة وواردة، أو التوصّل إلى استنتاجات حول أخذ "فرسان المعطف والخنجر" بزمام المبادرة، كلّ هذا لا يشكّل دليلاً مقنعًا على أنّ وكالة المخابرات المركزيّة كانت تنشط خفية، من وراء ظهر البيت الأبيض، وعلى الأقلّ ترومان تحديدًا. لكن، هل يمكننا أن نثق ثقة كاملة بموضوعيّة أوساط المخابرات، والقائلة بأنّ "العمليّات ذات الطابع التخريبيّ السريّ تُرسم على مستوى البيت الأبيض أو مجلس الأمن القوميّ" فحسب؟ حتّى في عهد "ترومان".

إذا ما رجعنا ثانية إلى الباحثة كارليكاس، فإنّ مهندسيّ الأعمال التخريبيّة كانوا عملاء وكالة المخابرات المركزيّة في الخارج، الذين سُمح لهم بارتكاب أعمالهم الخطيرة دون أيّ رقابة صارمة من جانب واشنطن. هكذا فالتصريحات الوحيدة الجانب، حول رسم السلطة الرئاسيّة بالذات للأعمال التخريبيّة السريّة، تطمس صورة بعيدة عن البساطة، وهذا ما أشار إليه "آ. شليزنجر" الأصغر حيث قال: تريد "الاستخبارات المشتركة" أن تبدو أداة انضباطيّة مطيعة في يد الرئيس، وأن تضمن سلامتها، وتحوّل أيّ انتقاد يوجّه إليها، إلى البيت الأبيض أو مجلس الأمن القوميّ. فهما يتحمّلان، بالطبع، مسؤوليّة كاملة عن جميع أعمال أجهزة الاستخبارات. وحتّى في تلك الحالات، عندما يضعف أو يتوقّف، لسبب ما، الإشراف من المركز، كان منفّذو الأعمال التخريبيّة السريّة في الخارج يعرفون جيّدًا المبادئ الاستراتيجيّة العامّة للطبقات العليا من السلطة في واشنطن. لقد خطت وكالة المخابرات المركزيّة خطواتها الأولى على الساحة الدوليّة، بناء على القرار الاستراتيجيّ الأساسيّ، الذي اتّخذته الأوساط الحاكمة في الولايات المتّحدة، حول السير على طريق "الحرب الباردة"، التي كان "ترومان" من أبرز المنادين بها.

إنّ الأوساط المحافظة الحاكمة في الولايات المتّحدة، بنسفها لأفكار "روزفلت" ومخطّطاته، حول متابعة التعاون مع الاتّحاد السوفياتيّ، في مرحلة ما بعد الحرب، وبتسليحها بسياسة صريحة معادية للاتّحاد السوفياتيّ، وببذلها الجهود الكبيرة لتأسيس حلف شمال الأطلسيّ، واتّخاذها لخطوات أخرى موجّهة لزيادة حدّة التوتّر الدوليّ، إنّها بهذا كلّه، قد أطلقت أيدي "الاستخبارات المشتركة" للمشاركة النشيطة في "الحملة الصليبيّة" العالميّة ضدّ الشيوعيّة.

كان "ترومان"، ومَن حوله، يقصدون بالذات، المهام العالميّة للاستخبارات، وتصعيد الحرب ضدّ الشعوب والبلدان الأخرى. ولم يدخل في مخطّطاتهم تحوّل وكالة المخابرات المركزيّة إلى مركز مؤثّر آخر للسلطة السياسيّة في واشنطن. هكذا كان موقف البيت الأبيض ووزارة الخارجيّة ووزارة الدفاع والكونغرس أيضًا. لكنّ التصريح الذي كتبه "ترومان" أو مساعده "نويس" عام ١٩٦٣، جاء فيه أنّ وكالة المخابرات المركزيّة أصبحت فعّالة، عمليّاتيّة مؤثّرة، بل وأصبحت أحيانًا، جهازًا يصنع سياسة الحكومة. ويبدو أنّ "دالاس" إمّا أراد تجنّب هذه المسألة الصعبة في حديثه مع "ترومان"، أو أنّه سمع منه شيئًا جعله يفضّل إخفاءه. كان من الواجب أن تكون الكلمة الأخيرة لترومان، وفجأة تبرز وكالة المخابرات المركزيّة "جهازًا يصنع سياسة الحكومة". يبدو، أنّ هذا الانعطاف لم يدر في خلد "الآباء"، مؤسّسي وكالة المخابرات المركزيّة. بيد أنّهم كانوا ينظرون إلى "أداة الرئيس الاستخباريّة الهادئة" نظرة كلاسيكيّة قديمة، وبمعايير قديمة. وكما "استيقظ" الرئيس "أيزنهاور" فجأة في أوائل ١٩٦١، واكتشف أنّ المجتمع الصناعيّ ـ الحربيّ للولايات المتّحدة يمكنه أن يكتسب، بصورة إراديّة أو غير إراديّة، نفوذًا لا حدود له، كذلك شعر "ترومان" بالقلق، في أواخر ١٩٦٣، لأنّ وكالة المخابرات المركزيّة "تصنع السياسة". و"ترومان" لم يكن

الوحيد في قلقه هذا... فالطابع العام لنزعة خروج وكالة المخابرات المركزيّة إلى خشبة مسرح سياسة واشنطن قد صوّره جيّدًا "س. سيمبسون" الدبلوماسيّ الأميركيّ السابق، إذ كتب يقول: "خطوة إثر خطوة، تغلغلت وكالة المخابرات المركزيّة، بصورة غير ملحوظة، إلى مجال اتّخاذ القرار والأفعال، وهو المجال الذي يُعتبر، من الناحية الدستوريّة، امتيازًا للرئيس وحده. إنّها تُدخل التناقضات وتزرع الفوضى في سياستنا الخارجيّة. إنّ وكالة المخابرات المركزيّة هي دائرة سريّة، وباعتبارها كذلك، فلديها حريّة لا مثيل لها للتدخّل في الشؤون الداخليّة للبلدان، وأن تقرّر، وفق ما ترتئيه لأيّ حزب من الأحزاب السياسيّة في البلدان الأخرى سيقدّم الدعم، ناسفة، أحيانًا، تلك الأحزاب التي تدعمها وزارة الخارجيّة الأميركيّة"[1].

طبيعيّ، أنّ هذه الاختلافات التكتيكيّة والنزاعات العريضة بين وكالة المخابرات المركزيّة ووزارة الخارجيّة لا تقلّل أبدًا من أهميّة وحدتهما الاستراتيجيّة في محاربة البلدان الاشتراكيّة وقوى التحرّر الوطنيّ والأحزاب الشيوعيّة والعمّاليّة. بيد أنّ هذه الاختلافات تثبت وجود اتّجاه، حدّده "سيمبسون" باعتباره تدخّلاً غير دستوريّ، من جانب وكالة المخابرات المركزيّة، في مجالات عمل معيّنة.

جاء ذكر أعلاه لرأي "جوردن وتايلور" حول أنّ صلاحيّات الاستخبارات يمكن أن "تظهر" في بنود الدستور الأميركيّ، التي تحدّد وظائف الأمن القوميّ والدفاع والسياسة الخارجيّة، التي تخدمها الاستخبارات. طبقًا لهذا التفسير، فالحديث يدور حول جمع المعلومات الاستخباريّة وتحليلها.

---

١ - Simpson S., *The Crisis In American Diplomacy,* North Quincy (Massachusets,1980), P. 48.

إنّ "جوردن وتايلور" يغمضان أعينهما عمّا تحدّث عنه "سيمبسون" وغيره من منتقدي وكالة المخابرات المركزيّة، وعلى وجه التحديد، يغمضان أعينهما عن "تغلغل" الوكالة إلى الصلاحيّات الرئاسيّة لاتّخاذ القرار.

عن الموضوع نفسه، تحدّث، بصورة تلميحيّة غير مباشرة، "آلن دالاس" حيث كتب يقول: "اليوم، من النادر جدًّا بالفعل، أن يُتّخذ قرار سياسيّ هامّ يتعلّق بالعلاقات الدوليّة بدون التقويم الاستخباريّ القوميّ، الذي يُقدّم مسبقًا في أثناء بحث الاعتبارات الهامّة. فمسألة أنّ التقويم الاستخباريّ، بما في من أحكام يمكن أن يؤثّر، ويؤثّر تأثيرًا كبيرًا، غالبًا، على القرار السياسيّ المتّخذ بصورة نهائيّة، هي حقيقة لا شكّ فيها"[1]. غير أنّ "دالاس"، مع إثباته لذلك، يتذكّر فجأة، ويبدأ بتنفيذ تأكيدات عدد من الشخصيّات الأميركيّة، التي عبّرت، في أواسط خمسينات القرن العشرين، عن خشيتها من أنّ وكالة المخابرات المركزيّة قد تجاوزت ذلك الحدّ الفاصل بين تقديم المعلومات وبين اتّخاذ القرارات.

لقد أكّد "دالاس" على أنّ وكالة المخابرات المركزيّة، بالرغم ممّا قاله، "لا تصنع السياسة، وجميع أعمالها يجب أن تطابق سياسة الحكومة، وأن تلقى التأييد والإقرار من جانب المسؤولين عن هذه السياسة"، وأنّ وكالة المخابرات المركزيّة "يجب ألاّ تعتبر نفسها هيئة تصنع السياسة"[2].

يقول باحثون: إنّ تفسيرات "دالاس" هذه لم يأخذ بها إلاّ عدد قليل من السياسيّين في واشنطن. ولا يصحّ خلال ذلك، ألاّ نتّفق في الرأي مع أبرز الباحثين الأميركيّين

---

١ - Dulles A. W., *The Craft Of Intelligence*, P. 76.

٢ - Ibid. PP. 16, 48.

لشؤون المخابرات، الذين يرون أنّ الانتصارات ذات الطابع التكتيكيّ على إدارات واشنطن الأخرى في الصراع على النفوذ في البيت الأبيض، قد حوّلت وكالة المخابرات المركزيّة إلى عنصر خطير، مثير للقلاقل في آليّة السياسة الخارجيّة الأميركيّة. من الأمور ذات الدلالة، أنّ وكالة المخابرات المركزيّة تبرز دائمًا، أمام البيت الأبيض، حليفة للبنتاغون، وبالتالي، فقد تحوّلت إلى إحدى الحلقات الفاعلة، من حلقات المجمع الصناعيّ ـ الحربيّ الأميركيّ. لقد بدأت تتكوّن "خصائص" وكالة المخابرات المركزيّة، تدريجًا، في أعوام رئاسة "ترومان"، وازدهرت ازدهارًا كبيرًا بمقدار تعزيز خليفته "أيزنهاور" للاتّجاه المعادي للشيوعيّة في السياسة الخارجيّة الأميركيّة، حيث عبّأ الموارد والأموال الإضافيّة لخوض "الحرب الباردة"، منفّذًا بذلك إرادة الأوساط الأكثر عدوانيّة للسياسة الأميركيّة، التي سيطرت عليها أفكار باطلة حول السيادة على العالم[1].

١ ـ فيتالي فاشيلفتش بتروستكو، البيت الأبيض والاستخبارات الأميركيّة، ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دمشق، ١٩٨٩) ص٥٥ ـ ٨٢.

تاريخ بنائيّة المخابرات المركزيّة الأميركيّة [1]

ختم وكالة المخابرات المركزيّة

إختصّت المواد الواردة بالقسم الثاني من قانون وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الصادر سنة ١٩٤٩ بتحديد ختم وكالة المخابرات المركزيّة. ولقي تصميم الختم الاستحسان وتمّ تصنيعه يوم ١٧ شباط ـ فبراير من عام ١٩٥٠ على عهد الرئيس الأسبق "هاري ترومان" وفقًا للأمر التنفيذيّ رقم ١١١ ـ ١، فجاء ابتكار الختم كالآتي:

الدرع: فضيّ، وبه بوصلة بارزة تشير إلى ١٦ اتّجاهًا؛

العرف: على إكليل من الفضّة ويمثّل رأس العقاب الأميركيّ؛

تحت الدرع باللون الذهبيّ كُتبت عبارة "الولايات المتّحدة الأميركيّة"، بحروف حمراء تحيط بالدرع والعرف العقابيّ.

في القمّة نجد عبارة "وكالة المخابرات المركزيّة" مكتوبة بالحروف البيضاء.

وكلّها مطبوعة ومحفورة على خلفيّة زرقاء دائريّة مع هامش ذهبيّ ضيّق.

---

١ لجنة من الباحثين، وكالة المخابرات الأميركيّة، وثائق سريّة، مترجم عن الإنكليزيّة بإشراف طلعت غنيم حسن، مكتبة مدبولي (القاهرة،١٩٩٣) ص٦٥ ـ ١١٦.

أمّا تفسير الختم فهو كالآتي:

النسر أو العقاب الأميركيّ هو الطائر القوميّ ورمز القوّة والتأهّب؛ أمّا حواف البوصلة فتصف تغطية المخابرات للبيانات الواردة من شتّى أرجاء العالم إلى مركز ونقطة الوسط؛ ويُلاحظ أنّ النسر أو العقاب يدخل كرمز في العديد من الأشياء والرسميّات التي تتعلّق بالولايات المتّحدة كدولة ونظام وحكومة وكونغرس بما يشمله من مجلس للنوّاب ومجلس للشيوخ... وكانت ثمّة انتقادات تشير إلى عدم لياقة اتّخاذ العقاب رمزًا للبلاد بسبب انقضاضه على الفريسة، فهو إذن يمثّل السلب والاعتداء، وليس نظام القوّة والدقّة.

وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة

برزت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة إلى الوجود عام ١٩٤٧. ولأوّل مرّة في التاريخ الأميركيّ أُعطيت وكالة مخابرات تعمل في زمن السلم اعترافًا رسميًّا، وتمّ الإقرار رسميًّا بأنّها سلاح ضروريّ لتقديم الخدمات الاستخباريّة للدولة في عالم غير مستقرّ وعرضة للتقلّبات السياسيّة. وجاء تكوين وكالة المخابرات المركزيّة في أعقاب وفاة مكتب الخدمات الاستراتيجيّة، جهازِ المخابرات والجاسوسيّة في زمن الحرب، الذي تمّ، بعد تفكيكه، استيعاب وظائفه في وزارتَي الخارجيّة والدولة، وذلك قبل عام تقريبًا من إعلان "دونوفان" لمعتقداته الخاصّة بحاجة البلاد إلى جهاز خدمات للمخابرات المركزيّة يعمل في فترة ما بعد الحرب، واقتراحه أيضًا أن تكون منظّمة "تقدم وتنتج المخابرات وتقارير التجسّس بأساليب علنيّة وأخرى خفيّة، وتمدّ، في نفس الوقت، النصح والإرشاد، وتحدّد أهداف المخابرات على المستوى الوطنيّ والقوميّ، ثمّ توجد الارتباطات بين المواد الاستخباريّة التي تقدّمها كافّة الوكالات التابعة للدولة عن

المخابرات". واقترح أيضًا أنّ هذه الوكالة سيكون لها السلطة في القيام بإجراء "العمليّات التخريبيّة في الخارج"، لكنّها لن تقوم بأيّ وظائف تتعلّق بتعزيز البوليس أو فرض القانون سواء في الداخل أو في الخارج.

جلب تقرير "دونوفان" نيرانًا ذات لهيب وعالية الوطيس. إذ إنّ المخابرات العسكريّة، بصفة عامّة، تعارض أيّ اندماج تامّ مع غيرها من الأجزة المدنيّة حتّى ولو كانت في نفس مجال المخابرات.

وحسبت وزارة الخارجيّة أنّها سوف تشرف على شتّى العمليّات التي تتمّ في زمن السلم وتؤثّر على العلاقات الخارجيّة.

أمّا مكتب المباحث الفدراليّة فكان يساند نظامًا يتمّ بمقتضاه تناول سائر أعمال المخابرات حول العالم، على أن تكون المخابرات العسكريّة المسلّحة هي الجهاز المنوط به ذلك، كما يتمّ الإشراف على كافّة الأنشطة السلميّة في مجال المخابرات تحت إمرة نفس الجهاز.

وجدير بالذكر أنّ مبنى "آميز" الواقع في مدينة روسلين بولاية "فيرجينيا" الأميركيّة بالشمال الشرقيّ للبلاد، يقدّم الخدمة اللازمة لجهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، حيث توجد المكاتب الإداريّة ومكاتب جمهور العاملين بالوكالة وهو مبنى يبدو من هيئته العامّة أنّه حصين للغاية ضدّ أيّ عمليّات نسف أو قصف أو خلافه، فضلاً عن أنّ الشكل العام للمبنى يعكس الجوّ الذي يشعر المرء بالهيبة والأهميّة الطاغية.

خطوات انتقال وتحوّل أجهزة المخابرات الأميركيّة

بمقتضى الأمر التنفيذيّ رقم ٩٦٢١ الصادر بتاريخ أوّل تشرين الأوّل ـ أكتوبر عام ١٩٤٥، تمّ إنهاء عمل مكتب الخدمات الاستراتيجيّة. أمّا التصرّف في تسهيلات المكتب والتخلّص من العاملين فيه وكذلك أصوله فقد تمّ كالآتي:

أوّلاً: تمّ تحويل فروع مكتب الخدمات الاستراتيجيّة الخاصّة بالأبحاث والتحليل والعرض إلى وزارة الخارجيّة الأميركيّة.

ثانيًا: أمّا الإدارة الأخرى الباقية التي تقوم بوظائف أدائيّة بما في ذلك الجهاز المسمّى (SI) وكذلك (X-2) وأجهزة وظائف التدعيم الإداريّة فقد تمّ تحويلها إلى وزارة الحربيّة وسكرتاريّة الحرب الأميركيّة. وغادر حوالى ٨,٠٠٠ عامل من العسكريّين والمدنيّين المنظّمة في أعقاب انتهاء الحرب العالميّة الثانية. ومن بين العناصر التي تمّ تحويلها إلى وزارة الخارجيّة، خرج عدد منهم نهائيًّا من الخدمة واعتزلوا، أمّا أولئك الذين بقوا أصبحوا منظّمة التخابر التابعة لوزارة الخارجيّة الأميركيّة المعروفة اليوم باسم مكتب المخابرات والأبحاث. أمّا العناصر التابعة لمكتب الخدمات الاستراتيجيّة التي تمّ تحويلها إلى وزارة الحربيّة، وأُعيد إطلاق اسم "وحدة الخدمات الاستراتيجيّة" عليها، فقد تمّ تكليف الكثير منهم العمل لصالح العسكريّة الأميركيّة أو الخدمات المدنيّة، أمّا البعض الآخر فقد غادروا الخدمة للقيام بالأعمال الحياتيّة الخاصّة بهم. أمّا الوحدات شبه العسكريّة فقد تمّ تفكيكها وحلّها. وفي آخر فصل الخريف عام ١٩٤٦، بدأت "وحدة الخدمات الاستراتيجيّة" في التحوّل إلى "مجموعة المخابرات المركزيّة" حديثة التأسيس، ومن تلك إلى وكالة المخابرات المركزيّة. وهذه الأخيرة هي التي جلبت الكثيرين من رجال مكتب الخدمات الاستراتيجيّة القديم حتّى يستمرّوا في العمل لصالحها، لكنّ رجالاً آخرين بدأوا في التوافد على وكالة المخابرات المركزيّة اعتبارًا

من عام ١٩٥٠ وما بعده. وبمقتضى التوجيه الرئاسيّ المؤرّخ بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ـ يناير عام ١٩٤٦، قام الرئيس "هاري ترومان" بتأسيس "هيئة المخابرات القوميّة" التي تكوّنت من وزراء الخارجيّة والحرب والبحريّة، وممثّل شخصيّ للرئيس هو أميرال الأسطول "ويليام ليهي"، وتعاونه "مجموعة المخابرات المركزيّة".

مجموعة المخابرات المركزيّة

كان مدير المخابرات الأميركيّة الذي يكلّفه الرئيس هو الشخص المنوط به رئاسة "مجموعة المخابرات المركزيّة". وكان تكوين هذا التنظيم الاستخباريّ الهامّ والرئيسيّ في زمن السلم قد سبقه بحوالي سنة أو يزيد مناقشات مريرة وضروس بين أجهزة المخابرات العسكريّة ووزارة الخارجيّة الأميركيّة ومكتب الخدمات الاستراتيجيّة ومكتب التحقيقات أي المباحث الفدراليّة.

إستجابة لهذه المناقشات الخاصّة بسياسة إنشاء مجموعة المخابرات المركزيّة، قام الرئيس "هاري ترومان" بتأسيس المجموعة في شهر كانون الثاني ـ يناير من عام ١٩٤٦، ووجّهها إلى التنسيق بين أعمال أجهزة المخابرات المتفرّقة في طول البلاد وعرضها، وهي القائمة بالفعل كإدارات منفصلة، وذلك لإكمال وإتمام أعمالها لكي تحلّ محلّها. وكان ذلك هو كلّ ما يُناط بالمجموعة أن تقوم به تحت توجيهات هيئة المخابرات القوميّة التي تتألّف من ممثّل للرئيس الأميركيّ ووزراء الخارجيّة والحربيّة والبحريّة. أما الأدميرال البحري "سيدني سويرز" الذي كان يعمل نائبًا لمدير المخابرات البحريّة الأميركيّة فقد تمّ تعيينه كأوّل مدير للمخابرات المركزيّة. وخلف

"سويرز" في إدارة مجموعة المخابرات المركزيّة الطيّار "هويت فاندينبرج"[1] في تمّوز ـ يونيو ١٩٤٦ وخدم حتّى شهر أيّار ـ مايو ١٩٤٧، حينما سلّم قيادة الوكالة إلى الأدميرال البحريّ "روسكو هنري هيلينكويتر"[2].

وتحت بنود قانون الأمن القوميّ لعام ١٩٤٧، الذي أصبح نافذًا يوم ١٨ أيلول ـ سبتمبر ١٩٤٧، تمّ تأسيس مجلس الأمن القوميّ ووكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

وكان "لاري هيوستن" الذي خدم لسنوات عديدة كمستشار عام لوكالة المخابرات، ومساعده الأوّل "جون وارنر" الضابطَين الأساسيَّين المعيّنَين المسؤولَين عن صياغة التشريع الخاصّ بوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الجديدة.

أمّا "وولتر فونز هايمر" المستشار التشريعيّ لمجموعة المخابرات المركزيّة فقد كان ممثّل المجموعة في "الكابيتول هيل" في العاصمة واشنطن دي. سي.

---

١ ـ **هويت فاندينبرج**: وُلد ١٨٩٩ في مدينة "ميلووكي" بولاية "ويسكونسن" الأميركيّة، تخرّج في الأكاديميّة العسكريّة للولايات المتّحدة ١٩٢٣، والكليّة الحربيّة التابعة للجيش الأميركيّ ١٩٣٦، نائب قائد القوّات الجويّة الأميركيّة ١٩٤٧، قائد اللواء الجويّ التاسع في أوروبّا إبّان الحرب العالميّة الثانية، مساعد مدير الأركان ـ المجموعة الثانية، رئيس الأركان العامّة لوزارة الحربيّة الأميركيّة ١٩٤٦، نائب رئيس أركان سلاح الجوّ برتبة فريق ١٩٤٧، رئيس الأركان ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣، تولّى إدارة المخابرات المركزيّة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧، توفّي في ٢ نيسان ـ إبريل ١٩٥٤.

٢ ـ **روسكو هنري هيلينكويتر**: وُلد ١٨٩٧ بمدينة "سانت لويس" بولاية ميسّوري الأميركيّة، تخرّج في الأكاديميّة البحريّة للولايات المتّحدة ١٩١٩، ضابط مسؤول عن المخابرات في هيئة أركان منطقة المحيط الباسيفيكيّ ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣، عميد بحريّ ١٩٤٦، قاد قوّات المهام البحريّة في الحرب الكوريّة ١٩٥٠ ـ ١٩٥١، عيّنه الرئيس الأميركيّ هاري ترومان رئيسًا لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠، قائد سلاح البحريّة، المفتّش العام لسلاح البحريّة الأميركيّة، وقائد هذا السلاح وأدميرال ١٩٦٥، توفّي ١٩٨٢.

وكان هؤلاء الرجال الثلاثة، لسنوات مديدة، المصادر الرئيسيّة للتاريخ المبكر الخاصّ بوكالة المخابرات المركزيّة. وكانت معظم التكليفات الرسميّة للدولة التي عهد بها إلى جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الجديد، بالإضافة إلى منعه وتحريمه القيام بأداء الوظائف البوليسيّة والوظائف الداخليّة الخاصّة بفرض القانون، كلّها تتّفق وتتماشى مع مفهوم "دونوفان" الأصليّ وخطوطه العريضة لميثاق المخابرات.

في عام ١٩٤٧، صدر القانون المذكور آنفًا الذي كلّف وكالة المخابرات المركزيّة بتنسيق أنشطة أجهزة المخابرات المتفرّقة في البلاد والولايات الأميركيّة، وإيجاد أوجه الارتباط بينها، وتقييم ونشر وبثّ التقارير الاستخباريّة في أروقة الحكم خاصّة تلك التي تؤثّر على الأمن القوميّ.

بالإضافة إلى ذلك، كان يتعيّن على الوكالة أن تؤدّي مهامًا وواجبات أخرى مثل الوظائف التي تتعلّق بمتطلّبات مجلس الأمن القوميّ التي تكون غالبًا ذات طابع تجسّسيّ سريّ تضطلّع به أجهزة المخابرات.

فضلاً عن ذلك تمّ توضيح أنّ كلاً من مدير ونائب مدير المخابرات المركزيّة يتمّ تعيينهما من جانب رئيس الولايات المتّحدة شخصيًّا، وهو التعيين الذي لا بدّ من موافقة وتأييد الكونغرس له. وبمقتضى التعديل الصادر في ٤ نيسان – إبريل عام ١٩٥٣، تمّ تخويل الرئيس سلطة تعيين هؤلاء سواء من الأفراد الذين يعملون في الحياة المدنيّة أو من الضبّاط النظاميّين العاملين في القوّات المسلّحة، بغضّ النظر عن كونهم في الخدمة أو قد أُحيلوا إلى التقاعد، شريطة "ألاّ يتمّ شغر كلا المنصبَين في آن واحد من جانب الضبّاط العسكريّين النظاميّين بالأسلحة الأميركيّة".

في عام ١٩٤٦، تمّ تمرير قانون وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة إكمالاً لقانون عام ١٩٤٧. وسنّ الكونغرس بنودًا إضافيّة تبيح للوكالة أن تستخدم الإجراءات السريّة الإداريّة والماليّة وإعفاء وكالة المخابرات المركزيّة من الكثير من القيود المفروضة على نفقات الأموال الاتّحاديّة والأرصدة العامّة. واشترطت أنّ أرصدة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة يجب أن يتمّ تضمينها في ميزانيّات الوزارات الأميركيّة الأخرى، ثمّ يتمّ تحويلها إلى الوكالة بغضّ النظر عن القيود المفروضة على الاعتمادات الأوليّة.

يُعدّ هذا القانون بمثابة السلطة واللائحة الأساسيّة التي تضمن سريّة ميزانيّة وإنفاق وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. ولقد اتّضح أنّ المسؤولين بالحكومة الفدراليّة توخّوا أقصى درجات الدقّة في اختيار القيادة التي تمسك بزمام الوكالة في عهدها الأول، فاختاروا كلاً من "وولتر فورزهايمر" و"لورانس هيوستون" وكان كلاهما خبيرَين محنّكَين من خيرة رجال المجتمع الأميركيّ في الأربعينات من القرن العشرين.

ولكي يتمّ حماية مصادر المخابرات والأساليب المتّبعة في جمع المعلومات حتّى لا يتمّ كشفها، أعفى قانون صدر عام ١٩٤٩ وكالة المخابرات المركزيّة من وجوب كشف "تنظيم" أو وظائف أو أسماء أو المسؤولين أو الألقاب أو الرواتب والأجور الخاصّة بالعاملين والموظّفين وأعدادهم... إلخ. وبذلك تمّ تأسيس وتمكين سلطة وكالة المخابرات المركزيّة بوضوح تامّ. إلاّ أنّ المستر "إدغار هووفر" فقط وهو رئيس مكتب المباحث الفدراليّة، أثار صوت الخلاف الدائب والملحّ حينما أصرّ على أنّ ملفّات الوكالة والمعلومات والمادّة المحتواة يجب أن تكون متوافرة فقط حين تقديم طلب مكتوب بذلك.

كانت وكالة المخابرات المركزيّة وكالة تعمل في زمن السلم إلاّ أنّ العوامل المتّصلة بالحرب كانت دائمًا تأتي في المقدّمة.

بالإضافة إلى جمع المعلومات وحشد وتحليل المعلومات السريّة، شرعت الوكالة في لعب دور فعّال وقويّ في المجالات السيكولوجيّة والسياسيّة الخفيّة السريّة.

بين عامَي ١٩٤٥ و١٩٤٨، استولى الاتّحاد السوفياتيّ على السيطرة والسلطة العسكريّة والسياسيّة في معظم بلدان أوروبا الشرقيّة وهدّد بفعل نفس الشيء في اليونان وتركيا وإيران ويوغوسلافيا وبرلين. أمّا إيطاليا فقد كان ينظر إليها على أنّها المفتاح والنقطة والموقع الاستراتيجيّ لمكانة آمنة في البحر المتوسّط. ولقد صدرت وثيقة خاصّة عن مجلس الأمن القوميّ وهي التي اقترحت وجوب اتّخاذ الولايات المتّحدة كأولويّة مطلقة فورًا إجراءات إضافيّة تستهدف منع الشيوعيّين من كسب المشاركة في الحكومة. ولقد أيّد الرئيس "ترومان" ممارسة إمداد والتزويد بالمساعدات الخفيّة هؤلاء الذين يعارضون الأهداف الشيوعيّة. ولقد قدّمت وكالة المخابرات المركزيّة المساعدات الماليّة والفنيّة للديمقراطيّين المسيحيّين والأحزاب الأخرى المعادية للشيوعيّة أو القائمة على أسس غير شيوعيّة في انتخابات عام ١٩٤٩ وهي التي انتهت بانتصار هذه الأحزاب.

وفي أعقاب هذا العمل السريّ الناجح في إيطاليا، ناصر "جورج كينان" مدير هيئة العاملين بتخطيط السياسات التابعة لوزارة الخارجيّة الأميركيّة، إقامة وتكوين إدارة للعمل السياسيّ الخفيّ والدائم التي من شأنها أن تشمل العمليّات شبه العسكريّة بالإضافة إلى الحروب السياسيّة والاقتصاديّة. إلاّ أنّه تمّ إعادة تسمية تلك الإدارة باسم "مكتب تنسيق السياسات" وُعهد برئاسته إلى "فرانك ويزنر" الرئيس السابق لمكتب

وفرع مكتب الخدمات الاستراتيجيّة الأميركيّة في رومانيا. وعلى الرغم من أنّ الأعمال السريّة لم يتمّ تضمينها تحديدًا في المبادئ الأساسيّة الأصليّة للقانون، إلاّ أنّها كانت تعتبر أنّ عبارة، قد لخّصتها وكشفتها، وهذه العبارة أشارت إلى "مثل تلك الوظائف الأخرى والواجبات التي تتعلّق بالمخابرات والتي تؤثّر على الأمن القوميّ حسبما يمليه مجلس الأمن القوميّ من توجيهات من حين إلى آخر. بالإضافة إلى التزويد بالأموال والمعلومات للأحزاب غير الشيوعيّة والنشرات والجماعات والأصوات الأخرى الهامّة عبر أوروبّا الشرقيّة، فإنّ وكالة المخابرات المركزيّة تستخدم الراديو استخدامًا واسعًا، وتقدّم الأخبار الدقيقة والتحليل السياسيّ من خلال راديو أوروبّا الحرّة، وفي الاتّحاد السوفياتيّ نفسه، راديو الحريّة. وفي الوقت الذي كانت فيه الجهود الأوروبيّة سياسيّة في المقام الأوّل وقائمة على أساس التزويد والتوجيه بالمعلومات، أصبحت منطقة آسيا ذات اهتمام وتحظى بالأهميّة في أوائل الخمسينات، وذلك لأنّها صارت هدفًا للعمليّات شبه العسكريّة. ولقد خلّفت المخابرات المركزيّة الأميركيّة آلافًا عديدة من القوّات في الأماكن والبقاع النائية من جنوب غرب الصين في أعقاب تراجع وتقهقر قوى وأنصار الصين الوطنيّة في بكّين إلى تايوان في العام ١٩٤٩.

شرعت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في إعاقة الصينيّين الذين يقاتلون في كوريا وساندت ودعمت الجهود شبه العسكريّة بأعداد متزايدة من الطائرات والزوارق وشبكة مكثّفة من العملاء السريّين. ولقد أحدثت كوريا موقفًا يشبه مواقف زمن الحروب وهو الموقف الذي أدّى إلى تكثيف الحاجة إلى المخابرات الممتازة وركز الأفئدة على وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، وهي التي كانت قد بدأت تحظى بمكانة بارزة في هذا الصدد.

حازت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة على المزيد من التميّز والتفرّد بوصول الجنرال "ولتر بيديل سميث[1]" الذي تمّ تنصيبه مديرًا عامًّا لها. يكون بذلك قد حلّ محلّ المستر "هيلينكويتر" في شهر تشرين الأول ـ أكتوبر من عام ١٩٥٠.

كان الجنرال سميث قد حقّق لنفسه سمعة طيّبة أهّلته ليصبح ذا مكانة واعتبار، وكان قد خدم في القوّات المسلّحة الأميركيّة كقائد أركان حرب للجنرال "أيزنهاور" عبر الحروب الأوروبيّة، وتمّ تعيينه في ما بعد سفيرًا لبلاده لدى اتّحاد الجمهوريّات السوفياتيّة الاشتراكيّة، وهي الخبرة التي أسدت إليه أشرف عون حين شرع يقيم علاقاته ومعاملاته مع خبراء المخابرات في الاتّحاد السوفياتيّ. ولأوّل وهلة منذ رحيل "دونوفان" أخذ القوم ينظرون إلى المخابرات على أنّها جهاز في أيدي رجال مؤهّلين ذوي براعة وحنكة من الطراز الأوّل، وتتمتّع بوجود أخّاذ وطاغ، وذلك على عهد الجنرال "سميث" وهو الرجل الذي نال عطف وحدب الرئيس "ترومان"، واتّصف بقدراته على الاتّصال الإقناعيّ مع العسكريّين والزعماء السياسيّين، ولقد قام الجنرال "ولتر بيديل سميث" بفرض نمط معيّن من النظام على وكالة المخابرات المركزيّة، وهو النمط الذي بقي ولبث على أرض الواقع بدون تغيير على مدار عقدَين كاملَين من الزمان.

أمّا المستر "ويليام هـ. جاكسون" فقد أصبح نائبًا لمدير المخابرات المركزيّة الأميركيّة، والمستر "آلن دالاس" الذي كان يعمل آنذاك في القانون في

---

١ ـ **ولتر بيديل سميث:** وُلد بمدينة "إنديانا بوليس" بولاية إنديانا الأميركيّة، فريق أوّل لجيش الولايات المتّحدة الأميركيّة ١٩٤١، وكيل لوزير الخارجيّة ١٩٤٣، رئيس هيئة أركان قوّات الحلفاء في شمال أفريقيا والبحر المتوسّط إبّان الحرب العالميّة الثانية، رئيس أركان الجنرال أيزنهاور في مقرّ القيادة العليا، سفير الولايات المتّحدة الأميركيّة في الاتّحاد السوفياتيّ ١٩٤٦ ـ ١٩٤٩، مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣ بتعيين من الرئيس هاري ترومان، توفّي ١٩٦١.

أعقاب سنوات خدمته في مكتب الخدمات الاستراتيجيّة، فقد تمّ استدعاؤه للعمل في حرفة المخابرات.

جنّد المستر "سميث" من المؤسّسة العسكريّة الأميركيّة رجالاً من أمثال الجنرال "كلارينس هيبنر" الذي قاد فرقة المشاة الأولى على مدار أغلب فترات ومراحل القتال في الحرب العالميّة الثانية في أوروبا، وكذا الجنرال "هارولد بول" الذي سبق له أن خدم مع "سميث" نفسه في عدّة مواقع وكتائب عسكريّة خاصّة بالعمليّات، كذلك عُرف عنه أنّه محلّل لامع وبارع.

أمّا وقد أخذت مكانة ووضع وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في التنامي والترعرع، فإنّها استطاعت الحصول على المزيد من الهيبة والاعتبار الذي ساهم في تعزيز سمعتها حينما تصدّت لمساعدة شاه إيران، الذي طرده من بلاده رئيس وزرائه اليساريّ التوجّه، محمّد مصدق. وشنّت المخابرات المركزيّة هجومًا مضادًّا ضدّ مصدق، الذي كان يسانده كلّ من الحزب الشيوعيّ المحليّ والاتّحاد السوفياتيّ، وقامت وكالة المخابرات باستئجار المتظاهرين لتخويف أنصار وأتباع مصدق وأصدرت تعليماتها إلى القوّات الملكيّة التابعة للشاه ذات الطابع العسكريّ بأن تستولي بالقوّة على محطّة الإذاعة المحليّة، ممهّدة بذلك الطريق أمام العودة المظفّرة لشاه إيران. ولقد كان من شأن هذه العمليّة الناجحة، أن أرست دعائم وكالة المخابرات المركزيّة باعتبارها سلاحًا احتياطيًّا وذراعًا قويًّا لتنفيذ السياسة الخارجيّة للرئيس الأميركيّ.

من بين سائر أنشطة المخابرات المركزيّة، كان تقييم الجنرال "سميث" لبثّ ونشر التقديرات القوميّة لأنّها تحظى بأكثر الوظائف أهميّة. ولذا أسّس "سميث" مكتب التقديرات القوميّة وعزل هذا المجال من العمليات عزلاً تامًّا برمّته عن تطوّرات دولاب العمل اليوميّ، حتّى يركّز تركيزًا محدّدًا على إنتاج مشروعات المخابرات. وتمّ

تعيين "ويليام لانجر" مؤرّخ جامعة هارفرد رئيسًا لمكتب التقديرات الفوقيّة، وكذلك عيّن مؤرّخ جامعة يال "شيرمان كينت" نائبًا له. وكان كلاهما قد سبق له العمل والخدمة في مجال عمليّات فرع الأبحاث والتحليلات التابعة لمكتب الخدمات الاستراتيجيّة. وكان للمستر "سميث"، مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة شروط واضحة واحتياجات شاسعة يجب توافرها في العاملين معه، إذ كان يصرّ على حصوله على تقرير مخابرات يوميّ ليقدّمه للرئيس، من شأنه أن يوضح ويلخّص أهمّ التطوّرات وأكثرها خطورة في العالم، والتي ربّما تلقي آثارها على مصالح الولايات المتّحدة الأميركيّة.

أمّا التقرير المكثّف فكان يتمّ تحليله تحليلاً تامًّا ثمّ تقييمه تقييمًا شاملاً من جانب كبار الخبراء على مدار الأربع والعشرين ساعة يوميًّا، بمعدّل سبعة أيّام أسبوعيًّا، و٢٤ ساعة في اليوم الواحد. ويتعيّن على كافّة ممثّلي المكاتب المشاركة في إعداد تلك التقارير، وكانت تشمل مكتب المخابرات اليوميّة التي شيّدت كادرًا من المحلّلين ذوي الخبرة والباع الطويل في شتّى مصادر البيانات، ثمّ مكتب الأبحاث والتقارير الذي يزوّد الاتّحاد الفدراليّ بالدراسات العميقة عن خصائص جغرافيّة الأراضي والأقاليم الخارجيّة والأجنبيّة في ما وراء البحار، وكذا مكتب المخابرات العلميّة، وهو بمثابة مجموعة أعمق وأكبر تخصّصًا من المحلّلين الذين يمسكون بزمام المعرفة الهائلة ويمتلكون ناصية المعارف الواسعة في حقول الطاقة الذريّة وتكنولوجيا الصواريخ. ويتمّ حشد وتجميع المعلومات ثمّ بثّها ونشرها على الخبراء في شتّى المواقع والمكاتب، وينتج عن ذلك المشاركة الكاملة لكافّة المعلومات بين الوكالات والأفرع حتّى يكون بوسع كلّ شخص أن يعمل انطلاقًا من نفس منطق الحقائق. أمّا المسؤوليّة الشاملة عن التقرير اليوميّ

المقدّم للرئيس فكان يُعهد به عادة إلى مكتب التقديرات الوطنيّة، وهو ما صار يُعرف في ما بعد باسم "اليوميّ".

بحلول عام ١٩٥٣، تضاعفت القوّة الشخصيّة والذاتيّة لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة أضعافًا مضاعفة، من مجرّد مئات قليلة إلى ما يربو على ١٠,٠٠٠ من حيث الأعداد، وفي غضون ثلاثة أعوام، حوّل الجنرال "وولتر بيديل سميث" وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، وأدخل عليها التغييرات الدوريّة حتّى يمكّنها من أن تصبح جهازًا للخدمات الفعّالة في ذلك الحقل: المخابرات السريّة.

بمجرّد أن أصبح "سميث" وزيرًا للخارجيّة الأميركيّة، و"ألن دالاس" مديرًا للمخابرات المركزيّة في شهر شباط ـ فبراير من عام ١٩٥٣، بدأت وكالة المخابرات المركزيّة تتّخذ الشكل الذي تصوّره "دونوفان" منذ زمن طويل مضى.

الهيكل التنظيميّ لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة

تعرّض تنظيم وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لعوامل التغيير والتبديل بمرور الزمان نظرًا لمتطلّبات وحيثيّات كلّ عهد وكلّ حقبة معيّنة من التاريخ. ووكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة هي جهاز ذو خطر وأهميّة في حياة البلاد، لأنّ حماية الأمن القوميّ للولايات المتّحدة الأميركيّة منوطة بهذا الجهاز، لا سيّما وأنّ أميركا هي القوّة العظمى بلا منازع أو منافس في عالم اليوم. ولقد شهدت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الكثير من التراكيب والهياكل التنظيميّة منذ تأسيسها عام ١٩٤٧. وكانت تلك التنظيمات تتعرّض للتغيير لتفي بالمتطلّبات والاحتياجات المتنوّعة والمتباينة والمتجدّدة من ساعة لأخرى في عالم دائب التغيير ومتقلّب المزاج. ويعفي

قانون وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الصادر عام ١٩٤٩ الوكالة وكافّة أجهزتها وأفرعها المتخصّصة من نشر أو كشف أو فضّ أسرارها من أجل صالحها في حماية طبيعة وظائفها الخفيّة. ومن حين لآخر، واعتبارًا من عام ١٩٧٥، كانت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة والكونغرس الأميركيّ ينشران علانية على الملأ وبصورة رسميّة التنظيم الأساسيّ والتركيب الهيكليّ للوكالة.

أجهزة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ووظائفها بالتفصيل

١ ـ **مبنى المقرّ**: يقع مبنى وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة على بعد نحو ثمانية أميال من وسط العاصمة واشنطن دي. سي. ولقد اختار مبنى وأرض المقرّ الذي تشغله الوكالة اليوم، المدير السابق "آلن دالاس". أمّا فكرته للمبنى بأن يكون على هيئة الحرم الجامعيّ أو حرم إحدى الكليّات الجامعيّة، فقد تمّ تصميمه في أواسط الخمسينات، وقامت بتنفيذ التصميم شركة "هاريسون وأبراموفيتز" التي تتّخذ من مدينة نيويورك مقرًّا لها. كما أنّ أصحاب هذه الشركة هم أيضًا مصمّمو مبنى الأمم المتّحدة الواقع في نيويورك. ولقد بدأ التشييد في تشرين الأوّل ـ أكتوبر ١٩٥٧ وتمّ إكماله في تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٦٣، وكان الرئيس الأميركيّ "دوايت أيزنهاور" هو الذي وضع الحجر الأساس للمبنى في الثالث من تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٥٩. أمّا مقرّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الذي افتتحه بالفعل الرئيس "هاري تورمان" فيتكوّن من مليون قدم مربّع. وعندما نقيس المساحة الكليّة للمقرّ نجد أنّ المبنى والأراضي المحيطة به تبلغ ٢١٩ فدّانًا. ولقد صُنع الرواق الرئيسيّ والردهة من الخرسانة والرخام المجلوب من ولاية جورجيا. ويوجد بطول الرواق الجنوبيّ رسائل عرفان وتقدير واستحسان لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة من الرؤساء: ترومان

وأيزنهاور وكينيدي وجونسون ونيسكون وفورد وكارتر. كما نجد على حائط الرواق المركزيّ آية من الكتاب المقدّس محفورة تشخّص مهمّة المخابرات في مجتمع حرّ تقول: "ومنوط بك أن تعرف الحقيقة، وتلك الحقيقة سوف تجعل منك إنسانًا حرًّا". وعلى الناحية المقابلة، في الحائط الشماليّ من الرواق المركزيّ نجد تمثالاً نصفيًّا من النقش ضئيل البروز لـ "آلن دالاس" الذي كان مديرًا لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة على مدى تسع سنوات متّصلة. وقد تمّ رفع وإنشاء مبنى المخابرات في عهده وإبّان فترة رئاسته. ونجد كذلك محفورًا على نفس الحائط نجوم تذكاريّة، يكرّم كلّ منها أحد العاملين بوكالة المخابرات المركزيّة الذي فقد حياته أثناء خدمته لبلاده. ولأسباب أمنيّة لن يتمّ أبدًا كشف أسماء الكثيرين من هؤلاء الأميركيّين الذين كرّسوا حياتهم لبلادهم.

٢ ـ **مدير المخابرات المركزيّة:** يُعتبر مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة مستشارًا رئيسيًّا لشؤون المخابرات القوميّة والخارجيّة حيث يقدّم التقارير والنصائح لكلّ من الرئيس الأميركيّ ومجلس الأمن القوميّ. أمّا مسؤليّاته فقد تناولناها في أماكن أخرى من هذا المجلّد.

٣ ـ **نائب مدير المخابرات المركزيّة:** يقوم رئيس الولايات المتّحدة الأميركيّة بتعيين كلّ من مدير ونائب مدير وكالة المخابرات المركزيّة، بعد اللجوء إلى نصح وموافقة مجلس الشيوخ. ويقوم النائب بكافّة أعمال وممارسة شتّى سلطات وصلاحيّات مدير المخابرات المركزيّة أثناء غيابه أو عجزه. ويقوم كلّ من المدير ونائبه بتقسيم واجباتهم ومهامهم في ما بينهم وفقًا لما يقرّره مدير وكالة المخابرات المركزيّة. ومن المعتاد أنّ نائب المدير يقوم بتمثيل الوكالة في هيئة المخابرات القوميّة والخارجيّة.

٤ ـ **المدير التنفيذيّ**: يقوم مدير وكالة المخابرات المركزيّة بتعيين المدير التنفيذيّ للعمل من أجل كلّ من المدير ونائبه في ما يتعلّق بإدارة جهاز المخابرات في الأعمال اليوميّة الشاملة، كما يقوم بالتنسيق بين أنشطة كافّة الأفرع والأقسام ويراقب تطوّر ونموّ وتنفيذ البرنامج السنويّ للوكالة.

٥ ـ **مدير العاملين بالمخابرات الداخليّة**: يقوم مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بتعيين مدير العاملين بفرع المخابرات المركزيّة ليرأس جهاز العاملين الاستخباريّين الذي يعاون نائب مدير المخابرات المركزيّة الأميركيّة في تنفيذ وظائفه باعتباره كبير مسؤولي المخابرات، وذلك في ما يتعلّق بتنسيق جهود المخابرات على المستوى القوميّ الداخليّ. ويتمّ تكليف سائر العاملين في كافّة الوكالات المعنيّة بالعمل جنبًا إلى جنب مع زملائهم بجهاز المخابرات الداخليّة. وبمقتضى الخريطة التنظيميّة الصادرة عام ١٩٨٢، تمّ حصر المكاتب الآتية كجزء من جهاز العاملين بالمخابرات الداخليّة: التقييم والتقدير، التنسيق على الصعيد القوميّ الداخليّ الأميركيّ، مجموعة "هيومنت"، جمع واستغلال المعلومات التخيّليّة، مجموعة "سيجنت"، التخطيط، والتنسيق للميزانيّة والبرنامج.

٦ ـ **مراقب النفقات والحسابات**: يعدّ مراقب النفقات والحسابات مسؤولاً عن التخطيط والبرمجة ووضع ميزانيّة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. كما تشمل وظائفه تطوير وصيانة نظم المراقبة الماليّة.

٧ ـ **مكتب الشؤون العامّة**: يقدّم مكتب الشؤون العامّة خدماته كنقطة الوصل بين الجمهور بصفة عامّة وجهاز الوكالة المركزيّة، كذلك وسائل الإعلام الإخباريّة على وجه الخصوص. ويقوم بالإمداد ببعض دراسات وكالة المخابرات المركزيّة غير المصنّفة ويرتّب الاتّصالات بين وسائل الإعلام والمؤسّسات الأكاديميّة والتجاريّة

والأعمال وبين العاملين المختصّين بوكالة المخابرات المركزيّة بشأن مجموعة متنوّعة من المواضيع.

٨ ـ **مجلس المخابرات القومـيّ**: يقوم مجلس المخـابرات القومـيّ بإنتـاج التقرير والتقييم القوميّ للمخابرات وهو الذي يقدّمه مدير وكالة المخـابرات المركزيّـة للرئيس الأميركيّ ومجلس الأمن القوميّ والعناصر الأخرى المكلّفة داخل الفرع التنفيذيّ. وفـي نفس الوقت الذي يُعتبر فيه تقرير التقييم القوميّ للمخابرات ممثّلاً لآراء ووجهـة نظر مدير وكالة المخابرات المركزيّة بشأن موضوع مـا، إلاّ أنّـه يعدّ بـالفعل نتاجًا لجهود تكامليّة تقوم بها شتّى أجهزة وأفرع ومكاتب المخابرات.

٩ ـ **المستشار العام**: هـو الموظّف القضـائيّ والقـانونيّ لمدير وكالـة المخـابرات المركزيّـة. يقـدّم النصيحـة والاستشـارات القانونيّـة لمدير الوكالـة، وكذلـك المشـورة القضائيّة والإرشاد القانونيّ لموظّفي الوكالة في شتّى مواقعهم ومستوياتهم فـي إطـار وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، وذلك في ما يتعلّق بالمسـائل التـي تهمّ شرعيّة أنشطة وممتلكات الوكالة، لتكون تلك الأنشطة متّسقة مـع الدسـتور والقوانيـن المعمول بها في الولايات المتّحدة، وكـذا الأوامـر التنفيذيّـة المطبّقـة، فضـلاً عـن قواعد ولوائـح وكالـة المخـابرات المركزيّـة الأميركيّـة نفسـها. كمـا يقـوم المستشـار العـام بمراجعـة التشريعات المقترحة والتوجيهات المؤثّرة على أنشطة الوكالـة. ويقـوم بمراقبـة التزام وكالـة المخـابرات المركزيّـة الأميركيّـة بقـانون حريّـة المعلومـات وقـانون الحريّـة الشـخصيّة، ويقـدّم المشـورة والنصـح القـانونيّين لهيئـة مراجعـة منشـورات وكالـة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، وهي التي تراجع كتابات العاملين والموظّفين الحـاليّين والسابقين بالوكالة، كـذا الكتابـات المتعلّقـة بـأمن الأفـرع الاستخباريّة. ويتوجّـب علـى المستشار العام أن يبقى فـي حالـة تـأهّب ويقظـة دائمـة إزاء انتهاكـات وخـرق القـانون

الجنائيّ للولايات المتّحدة، وهي الانتهاكات التي يتمّ إبلاغ وزارة العدل بها، وكذلك حالات مخالفة آداب المجتمع أو المخالفات القانونيّة، التي يتمّ إبلاغ هيئة مراقبة جهاز المخابرات بها.

١٠ ـ **المفتّش العام:** يُعَدّ المفتّش العام ذراع التحقيقات الخاصّ بمدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، ويساعده، هو ورؤساء المكاتب والإدارات، من أجل تحسين أداء الوكالة وأجهزتها والعاملين فيها. ويجتهد المفتّش العام لضمان اتّساق أنشطة الوكالة مع سائر القوانين واللوائح التي تحكم الجهاز، كما يُجري التفتيشات على كافّة مكوّنات الوكالة ليتحقّق من مدى حسن أدائها لوظائفها، وكذلك استبيان ما إذا كانت التغييرات التنظيميّة تتماشى مع النظام أو لا، فضلاً عن مدى جودة وأداء العاملين المنوطة بهم تلك الواجبات. ويُجري المفتّش العام أيضًا التحقيقات والتحريّات والدراسات التي يكلّفه بها مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

١١ ـ **مكتب الاتّصالات التشريعيّة:** هو المكتب المسؤول عن اتّصالات الوكالة بالكونغرس الأميركيّ، وعلى وجه الخصوص مجلس الشيوخ ومجلس النواب الأميركيّين، وكذلك لجان المجلسَين المختصّة بانتقاء كوادر الوكالة. ويحاول المكتب أن يفي بالاحتياجات والطلبات البرلمانيّة في ما يتعلّق بالإجابة على الاستواجات وطلبات الإحاطة، ويقوم بترتيب وظهور بعض كبار موظّفي الوكالة في جلسات الاستماع العلنيّة أو التنفيذيّة، كما يقوم بترتيب زيارات أعضاء الكونغرس والعاملين فيه إلى منشآت ومؤسّسات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، وبصفة عامّة، الإبقاء على الاتّصال الوثيق بأعضاء لجان الكونغرس من أجل إحباط أو التقليل من احتمال الصدامات غير الضروريّة بين جهاز وكالة المخابرات المركزيّة والكونغرس.

١٢ ـ نائب مدير العلوم والتكنولوجيا: يقوم مدير وكالة المخابرات المركزيّة بتعيين نائب مدير العلوم والتكنولوجيا. وتقوم تلك الإدارة بالأبحاث والتنمية للنظم الخاصّة بالمجموعات التقنية، وأن تساير التطوّرات العلميّة والفنيّة، ولهذه الإدارة تبادل دائم مع البيئات والمجتمعات العلميّة والصناعيّة.

١٣ ـ مكتب البحوث والتنمية: يقوم هذا المكتب بإجراء البحوث الأساسيّة والتطبيقيّة العلميّة والتقنيّة وكذلك تنمية هذه النواحي في كوكبة واسعة من الحقول تشمل الكيمياء وعلوم الكومبيوتر والفضاء والاتّصالات والتصوير المساحيّ الضوئيّ، وغيرها من الأفرع. ويعمل هذا المكتب على نحو وثيق مع مكتب التطوير والهندسة الذي يُعتبر المسؤول عن تصميم وتشغيل نظم الجمع التقنيّة.

١٤ ـ جهاز الإذاعة الخارجيّة للمعلومات: يُعدّ هذا الجهاز ذا اهتمامات عامّة ويعمل بشبكة إذاعيّة تغطّي العالم أجمع، ويراقب الوحدات المسؤولة عن مراجعة وسائل الإعلام الخارجيّة والأجنبيّة. أمّا المعلومات التي تتمّ ترجمتها ثمّ بثّها للمستهلكين فيتمّ انتقاؤها وفقًا لأسس مجموعة من المتطلّبات خاصّة بالمستمعين. ويُعتبر الشطر الأعظم من معلومات الإذاعة الخارجيّة غير مصنّف ويتمّ نشره في "تقرير يوميّ" لمنطقة جغرافيّة خاصّة، وهو متوافر للجمهور والعامّة نظير رسم معيّن من الجهاز القوميّ لخدمات المعلومات التكنولوجيّة التابع لوزارة التجارة الأميركيّة.

١٥ ـ مكتب عمليّات "سيجنت": يقوم هذا المكتب بجمع المعلومات وحشدها لشتّى مخابرات الاتّصالات، والمخابرات الإلكترونيّة ومخابرات الإشارة، والقياس عن بعد في الدول الأجنبيّة، وسار أنواع الاتّصال كيفما يتمّ بثّها. ويلعب هذا الجهاز أيضًا دورًا تدعيميًا لوكالة الأمن القوميّ الأميركيّة.

١٦ ـ **مكتب الخدمة الفنيّة:** يُعتبر هذا المكتب مسؤولاً عن البحوث التقنيّة وتطوير وهندسة المواد، وخاصّة تلك المتعلّقة بالأنشطة الخفيّة والسريّة. وليس كلّ أشياء جيمس بوند من آلات وتقنيات ممكنة الحدوث على أرض الواقع، إلاّ أنّ بعضًا منها يجب اعتباره، على الأقلّ، في حيّز الممكن ونطاقه.

١٧ ـ **مركز تفسير الصور الفوتوغرافيّة القوميّ:** هو عبارة عن جهاز آخر من الأجهزة ذات الأهميّة المشتركة تحت إمرة التوجّهات الشاملة لمدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. يعمل في هذا المركز جهاز من العاملين والموظّفين التابعين للوكالة ولأجهزة المخابرات العسكريّة. كما يُعتبر هذا المكتب مسؤولاً عن تحليل الصور الفوتوغرافيّة المستقاة من عمليّات الاستطلاع الرأسيّة والفوقيّة لصالح المخابرات الداخليّة برمّتها.

١٨ ـ **نائب المدير للمخابرات:** هو المسؤول عن تحليل وإنتاج "معلومات المخابرات القوميّة المنتهاة"، وتشمل المخابرات السياسيّة الخارجيّة، والمخابرات الاقتصاديّة الدوليّة، والمخابرات العلميّة والتسليحيّة وما شابهها من معلومات عسكريّة أجنبيّة، والمواضيع المتنوّعة الأخرى ذات النفع للرئيس ورجال صناعة القرار السياسيّ. وتُعدّ "معلومات المخابرات القوميّة المنتهاة" تقييمًا متكاملاً للأحداث في الخارج، يتمّ استقاؤها من خلال مصادر موادّها بغضّ النظر عن تصنيفات هذه المصادر، من شتّى نظم وبرامج جمع المعلومات الاستخباريّة. ولأنّ نائب مدير المخابرات وإدارته، من الناحية النظريّة على الأقلّ، لا تترتّب عليهما أيّ مسؤوليّات أو ولاء لأيّ وزارة، مثل وزارة الخارجيّة أو الدفاع أو الخزانة، وليس أيّ منهما مسؤولاً عن صنع واتّخاذ القرارات المتعلّقة برسم السياسة، ولا حتّى مساندة إحدى السياسات وتغليبها على الأخرى، فإنّه بوسع نائب مدير المخابرات أن ينتج تحليلاً موضوعيًا

حقيقيًّا وكتابة التقارير لاستخدام الرئيس ومستشاريه في صياغة سياسة الأمن القوميّ والخارجيّ. إنّ نائب مدير المخابرات مسؤول عن إنتاج مداخلات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وذلك لإعداد تقرير التقييم القوميّ للمخابرات والذي ينتجه مجلس المخابرات القوميّ. ويمثّل نائب مدير المخابرات، رئيسَه وهو مدير المخابرات المركزيّة، في المسائل ذات الصبغة الاستخباريّة الجوهريّة وذلك في ما يتعلّق بمجلس الأمن القوميّ وهيكل صناعة القرار ورسم السياسة الخاصّة به، وذلك في الفرع التنفيذيّ على المستوى الحكوميّ، مع الكونغرس، ومع عالم الأعمال والعالم الأكاديميّ، وكذلك الجمهور والعامّة. وتمّ تنظيم هذه الإدارة وفقًا لخطوط عريضة جغرافيّة ووظيفيّة. أمّا المكاتب الجغرافيّة الخمسة فهي: مكتب التحليلات السوفياتيّة، مكتب التحليلات الأوروبيّة، مكتب تحليلات الشرق الأدنى وجنوب آسيا، مكتب تحليلات شرق آسيا، مكتب تحليلات أفريقيا وأميركا اللاتينيّة. وتقوم هذه المكاتب بإجراء التحليلات السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة والاجتماعيّة، وتلك المتعلّقة بالسيَر الذاتيّة، وغيرها من التحليلات الخاصّة بشتّى بلدان العالم وفقًا لمواقعها الجغرافيّة كلّ على حدة.

١٩ ـ **مكتب البحوث العلميّة والتسليحيّة**: يقوم هذا المكتب بتحليل النواحي الفنيّة للأسلحة والنظم الفضائيّة الأجنبيّة. وهذا يشمل تصميمها وإنتاجها وصيانتها والخصائص الأدائيّة والإجرائيّة والقدرات التشغيليّة، وقدرات الانتشار والتحمّل التقنيّ. فضلاً عن ذلك، يقوم هذا المكتب بتحليل وإعداد الدراسات الخاصّة بالأسلحة النوويّة والطاقة النوويّة والانتشار النوويّ، وتحويل ونقل التكنولوجيا ـ خاصّة من الولايات المتّحدة الأميركيّة وحلفائها إلى الاتّحاد السوفياتيّ قبل تفكّكه ـ والأسلحة التكتيكيّة وأسلحة الغرض العامّ، والقوّات الاستراتيجيّة والنظم الاستراتيجيّة الدفاعيّة والهجوميّة،

والأسلحة المضادّة للغوّاصات، والسياسات العلميّة، والعلوم البدنيّة والجسمانيّة المتعلّقة بحفظ الحياة.

٢٠ ـ **مكتب الشؤون الكونيّة أو العالميّة**: يقوم هذا المكتب بتحليل الشؤون الاقتصاديّة والجغرافيّة، والشؤون التكنولجيّة الدوليّة بما في ذلك التجارة الدوليّة، والتنمية وأسواق السلع، كما يقوم بتحليل وكتابة التقاير عن مواضيع خاصّة مثل الإرهاب الدوليّ، وإنتاج معركة المخدّرات، ونقل السلاح، وعدم الاستقرار السياسيّ حول العالم.

٢١ ـ **مكتب التحليلات التخيّليّة**: ينتج هذا المكتب التقييمات القائمة على أساس تحليل وتفسير الصور الفوتوغرافيّة والمصادر الفنيّة المثيلة. أمّا المواضيع التي يغطّيها هذا المكتب فعديدة، وتشمل الانتاج الصناعيّ والزراعيّ، وتحرّكات القوّات العسكريّة، وتطوّر صناعة السلاح واختباراتها وإنتاجه ونشره.

٢٢ ـ **مكتب الانتاج الجاري والتدعيم التحليليّ**: يقوم هذا المكتب بنشر كافّة تقارير المخابرات الخاصّة بنائب مدير المخابرات المركزيّة، كما يجري الأبحاث، ويصنّف البيانات المؤدّية إلى إعداد الخرائط والرسوم التوضيحيّة والرسوم البيانيّة عن المواضيع الخاصّة بوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. ويُعتبر مركز عمليّات الوكالة الذي يعمل ٢٤ ساعة يوميًا من مسؤوليّة هذا المكتب كذلك. وتتّضح المساندة والدعم التحليليّ في تزويد المحلّلين بالمساعدات المتجسّدة في الإحصاءات الرياضيّة وبحوث العمليّات والقياسات الاقتصاديّة وعلوم المنهج السياسيّة.

٢٣ ـ **المكتب المرجعيّ المركزيّ**: يقوم هذا المكتب بإنتاج السيَر الذاتيّة عن الشخصيّات والمؤسّسات والمنظّمات الأجنبيّة ويصدر كوكبة شاسعة من المنشورات والوثائق الأجنبيّة الداخليّة التي تساعده بحوث المخابرات، ويتلقّى ويبثّ وينشر

مجموعة متنوّعة من التقارير والدراسات الاستخباريّة، ويشغل المكتبات الخاصّة التي تحتوي على الخرائط والوثائق والموادّ الخاصّة بالصور الفوتوغرافيّة، والكتب غير المصنّفة، والصحف والدوريّات، كما يصون البرامج الواسعة للحواسب الآليّة بغرض التخزين والاسترجاع والبثّ ونشر المعلومات، كما له وصلات كمبيوتريّة ببنوك المعلومات والبيانات عبر البلاد وخارج الولايات المتّحدة الأميركيّة سواء بسواء. والأكثر أهميّة هو أنّ تلك الصلات التي تربط أجهزة الحواسب الآليّة في المكتب المرجعيّ المركزيّ وسائر بنوك المعلومات في أميركا هو أنّ مثل هذه التكنولوجيا من شأنها أن تضع رجال المخابرات والسياسة على القدر الهائل والوفير من المعلومات الخاصّة بأيّ دولة أو شخصيّة أو مؤسّسة حول العالم، وخاصّة في زمن الحروب، في دقائق معدودة، ممّا يحسم الصراع لصالح الطرف الأقوى تكنولوجيًا.

٢٤ ـ **نائب المدير للشؤون الإداريّة:** يقوم نائب المدير للشؤون الإداريّة بتقديم العدد الوافر من التفصيلات العاديّة التي تتماشى مع أيّ منظّمة ضخمة، مثل الخدمات الماليّة والطبيّة والاتّصالات والتسهيلات والتدريب والأمن للعاملين بالوكالة. كما تقدّم نفس الإدارة الخدمات ذاتها للعناصر الخاصّة بالمخابرات الداخليّة، وهي التي تعمل خارج نطاق وكالة المخابرات المركزيّة لكنّها تعمل في نطاق سلطة مدير وكالة المخابرات المركزيّة.

٢٥ ـ **مكتب الخدمات الطبيّة:** هذا المكتب مسؤول عن البرنامج الطبيّ لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، ويشمل فحص الموظّفين الجدد، وإجراء الفحص والاختبارات الطبيّة الدوريّة على جميع العاملين، إجراءات الطبّ الوقائيّ، الرعاية الصحيّة المكثّفة في الطوارئ، التشخيص النفسيّ والمشورة والدعم الطبيّ في العمليّات

وإنتاج المخابرات. ويقوم هذا المكتب أيضًا بصيانة البرنامج الطبيّ في ما رواء البحار دعمًا للعاملين بالوكالة والأنشطة في الخارج.

٢٦ ـ **مكتب الأمن:** يُعتبر هذا المكتب مسؤولاً عن البرامج الموضوعة لحماية جهاز العاملين في وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وتسهيلاتها، والأنشطة في داخل البلاد وخارجها، ويقوم كذلك بعمل التحريّات على طلبّات التوظيف والعمل، ويجري الفحوصات الدوريّة باستخدام أجهزة كشف الكذب. ويصدر مجموعة متنوّعة من التخليصات والتراخيص، ويرتبط بمجموعة متنوّعة من الأنشطة لضمان الأمن البدنيّ والجسديّ، ويهتمّ كذلك بأمن وأمان أجهزة الحواسب الآليّة ضمن شتّى وظائفه في شؤون الأمن ومواضيعه. ويعتمد مكتب الأمن، في عمله كذلك، على مجموعة متطوّرة من أجهزة كشف الكذب التي يخضع لها من يُشتبه في ولائه من عملائه وجواسيسه، وغيرهم ممّن تتطلّب الظروف إخضاعهم لذلك الجهاز.

٢٧ ـ **مكتب التدريب والتعليم:** يقدّم هذا المكتب التدريب والتعليم والدورات التدريبيّة لسائر العاملين والموظّفين في وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. وتشمل التدريبات على جمع المعلومات وإنتاجها واللغات الأجنبيّة والكتابة والتحدّث، والبحوث، والترتيبات للتدريبات الخارجيّة في الحكومات الأخرى والمؤسّسات غير الحكوميّة. كما يقدّم المكتب دورات إنعاش وتجديد للمعلومات والذاكرة في مواضيع محدّدة للموظّفين الذين يحتاجون إلى ذلك، وينتج الدراسات المصنّفة وغير المصنّفة الخاصّة بمجموعة من المواضيع الاستخباريّة.

٢٨ ـ **مكتب التمويل:** هذا المكتب مسؤول عن الشؤون الماليّة، وتشمل الميزانيّة ووضعها، والمحاسبات، وتدقيق ومراجعة الحسابات، وكشوف أجور ومرتّبات العاملين، ومساندة الأنشطة التي تتضمّن تدبير العملة الأجنبيّة.

ويعدّ هذا المكتب "كلب الحراسة" لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة على أرصدتها وأموالها.

٢٩ ـ **مكتب النقل والتموين:** يقدّم هذا المكتب الأرض والمباني والتسهيلات للوكالة وللعاملين فيها ولأنشطتها، ويدير الإمدادات والتوريدات بدءًا من الأقلام الرصاص انتهاء بالنقل الجويّ بالطيران، وينقل الأفراد والمعدّات إلى حيث ينبغي أن يتوجّهوا، ويطبع ويعدّ مجلّدات تقارير ودراسات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، كما يقوم عمومًا بمراقبة إبرام العقود والمقاولات لكافّة التسهيلات والخدمات المطلوبة لمساعدة أنشطة الوكالة.

٣٠ ـ **مكتب خدمات المعلومات:** يقوم هذا المكتب بتنمية وصيانة نظم التخزين والاسترجاع الخاصّة بالمعلومات، في شتّى أشكالها، من أجل دعم كلّ أجزاء الوكالة بأنواعها. وهذا يتطلّب كلاً من الأنظمة اليدويّة والأنظمة القائمة على أساس الكومبيوتر في الداخل والخارج. ويعمل هذا المكتب على نحو وثيق مع مكتب تكنولوجيا المعلومات، الذي يطوّر وينمّي ويشغل التسهيلات الخاصّة بمعالجة المعلومات المعقّدة والمتقدّمة للغاية.

٣١ ـ **مكتب الاتّصالات:** يقدّم هذا المكتب التسهيلات الخاصّة بالاتّصالات الإلكترونيّة لأنشطة الوكالة حول العالم، وتشمل التسهيلات الخطيّة ـ الكابل ـ، أجهزة اللاسلكيّ الخاصّة بالعملاء، والمعدّات الخاصّة بالموجة الصغيرة والأقمار الصناعيّة.

٣٢ ـ **مكتب العاملين:** يقدّم هذا المكتب خدماته حول العالم من خلال نظام التجنيد، كما يؤدي أنشطة تتعلّق بتقييم وترقية والتكليف بالسياسات، وتطوير نظم العاملين وإجراء الإدارة، والعمليّات المتعلّقة ببرنامج فوائد وخدمات الموظّفين. ويرتبط هذا الجهاز ارتباطًا وثيقًا بمكتب فرص التوظيف المتكافئة، وهي التي تضمن، وفقًا للقانون،

أنّه ليس ثمّة تفرقة حدثت أو قد تحدث ضدّ بعص الموظّفين أو المتقدّمين بطلبات التوظيف.

٣٣ ـ نائب مدير العمليّات: يُعدّ نائب مدير العمليّات مسؤولاً عن الجمع السريّ للمعلومات الاستخباريّة الخارجيّة، وهي التي تتمّ عادة عن طريق العملاء البشريّين، للقيام بالمخابرات المضادّة في الخارج، والاشتباك في الأنشطة الخاصّة، أو الأنشطة الخفيّة التي تجري في الخارج من أجل التأثير على الرأي والأحداث دعمًا لأهداف السياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة الأميركيّة. وهذه الأنشطة الأخيرة يُطلق عليها أحيانًا "العمل السريّ"، يتمّ تنفيذها على نحو مثاليّ غير مدرك، حتّى أنّ دور حكومة الولايات المتّحدة الأميركيّة لا يتمّ كشفه أو الاعتراف به على الملأ علانية. وهذه الإدارة بعينها هي التي تتبادر إلى الذهن حينما يرى الجمهور اسم وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA سواء في الصحافة أو الكتب أو التلفزة. وكما يتبيّن من خلال الخرائط والرسوم التوضيحيّة، ليس ثمّة انقطاع لهذا المركّب أو المكوّن عمّا سواه من أجهزة وأفرع، ولذا كثيرًا ما يطلقون عليه اسم "الخدمة السريّة". ووفقًا للمعلومات التي تمّ الإفراج عنها سلفًا، يمكن افتراض أنّ هذ الإدارة تمّ تنظيمها حسب شروط جغرافيّة ووظيفيّة. وربّما كانت الوحدات الجغرافيّة قد تمّ تنظيمها نزولاً على نواح إقليميّة معمول بها في مكتب نائب مدير العمليّات. أمّا الوحدات الجغرافيّة، وهي التي يُطلق عليها اسم "الفرق الخاصّة بالمناطق"، فهي مسؤولة عن إقامة ودعم وحداتها في الميدان، والتي تُسمّى "محطّات" ومعظمها يقع مقاره في الخارج. وهذه الوحدات القليلة في الولايات المتّحدة تتعامل مع الأميركيّين الذين لديهم معلومات عن المناطق الخارجيّة ويرغبون في مشاركتها مع وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، ومساندة الأشخاص الأجانب الذي يقضون بعضًا من الوقت على التراب الأميركيّ في زيارات

قصيرة وعابرة، ويريدون في نفس الوقت، معاونة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. أمّا الوحدات التي تمّ تنظيمها حسب الشروط والخطوط الوظيفيّة، فهي التي يُطلق عليها اسم "هيئات". وللمرّة الثانية إذا كان الماضي ذا دلالة إرشاديّة، فإنّها تنظّم عادة على اعتبار أنّهم "متخصّصون" يتعاونون في الجمع السريّ، والمخابرات المضادّة، والأنشطة الخاصّة. والأخيرة كذلك يمكن أن تشمل وحدات خاصّة للعمليّات السياسيّة والنفسيّة، والأنشطة الاقتصاديّة، وبطبيعة الحال، الأنشطة شبه العسكريّة، وقد تختلف هذه اختلافًا بينًا عن الطلب. إذ إنّه، في نفس الوقت الذي تختلف فيه الخريطة التنظيميّة الفعليّة لنائب مدير العمليّات، من حين لآخر، نجد أنّ المنطقة الجغرافيّة الأساسيّة والترتيبات الوظيفيّة للهيئات بقيت سالمة بدون تغيير. وبالتالي نجد أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لا تعتمد فحسب على الأجانب الذين يعيشون في داخل أوطانهم بعيدًا في القارات المتفرّقة حول العالم وعلى مبعدة آلاف الأميال من الولايات المتّحدة، بل كذلك تستغلّ استعداد بعض الأجانب الذين يعيشون كزوّار على أرضها من أجل أهداف الوكالة، وهي جمع وحشد أكبر قدر ممكن وأجود نوعيّة ممكنة من المعلومات عن الأمم والأوطان والتسلّح وبرامج العلوم والفضاء الأجنبيّة..إلخ.

الخرائطيّة، أو فنّ رسم الخرائط

إنّ إدارة فنّ رسم الخرائط التابعة لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة تُعدّ أفضل إدارة من نوعها في العالم قاطبة. وبفضل المعلومات المجمّعة من العملاء والأقمار الصناعيّة، استطاعت الوكالة أن تخلق مجموعة منوّعة من الخرائط الدقيقة ذات التوثيق الموثوق فيه.

معظم هذه الخرائط متوافر للعامّة والجمهور. ولقد أفادت القوى الأجنبيّة لسنوات طويلة، بالإضافة إلى علماء الاجتماع والعلوم الاجتماعيّة، من استخدام خرائط الوكالة عن الزراعة، والبترول، والموارد المعدنيّة، والشواطئ، ومناطق الصيد، وهلمّ جرّا. أمّا مواقع القواعد العسكريّة ومعسكرات التدريب فيتمّ كذلك الإفراج عنها موسميًّا للجمهور. أمّا الخرائط التي صُمّمت للاستخدام السريّ فهي ذات طابع خاصّ وموضوعات معيّنة سريّة مثل خرائط شوارع الدول الشيوعيّة، وقواعد التدريب الإرهابيّة، وتحرّكات القوّات، وتحرّكات السفن والمناورات العسكريّة.

إنّ اليقظة والحذر والاحتراس إزاء التحرّكات العسكريّة، وخاصّة إبّان الأزمات بين القوى العظمى، يساعد الزعماء على اتّخاذ القرارات وصنع القرار الذي من شأنه أن يتفادى الحرب أو استمرار المواجهة. وبذلك تكون "الخرائطيّة" أو فنّ وعلم رسم الخرائط عاملاً من عوامل وأدوات جهاز المخابرات المركزيّة الأميركيّة برغم ما يتبادر إلى الذهن من أنّ مثل هذه الأنشطة تقتصر على الجامعات فقط ومعاهد وكليّات التخصّص المناظريّ، أو الشؤون العسكريّة الصرفة، ذات الطبيعة الحربيّة في أوقات وأزمنة الحرب أو السلام.

الصندقة، أو فنّ كشف محتويات الصناديق المغلقة

حينما حاول السوفيات أن يشحنوا الإمدادات الحربيّة إلى كوبا في ستّينات القرن العشرين، تكشّف لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة حاجتها الماسّة إلى المعلومات الخاصّة بكشف محتويات الصناديق المغلقة، وبخاصّة تلك المشحونة إلى المناطق الحسّاسة وبقاع التوتّر.

ومنذ ذلك الحين وحتّى عهد قريب نسبيًّا، حين تمّ تحميل شحنات جديدة من الأسلحة والعتاد إلى نيكاراغوا وأفغانستان وأنجولا، قامت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بتطوير إدارة أو قسم جديد خاصّ بدراسة الصناديق.

وعلى الرغم من أنّه بوسع الأقمار الصناعيّة التصوير الفوتوغرافيّ للصناديق المحمولة على ظهر السفن، وفي بعض الأحيان الكشف، عبر الشقوق، عن الأشياء الموجودة داخل الصناديق، برزت الحاجة إلى معلومات جديدة تختصّ بهذه الأشياء. ويتمّ دراسة شتّى النواحي مثل نوع الأخشاب التي صُنعت منها الصناديق، وكيفيّة بناء وتصميم الصندوق، وأبعاده،... لمعرفة ما إذا كان الصندوق يحمل أيّ صاروخ هجوميّ بمقدوره ضرب الولايات المتّحدة الأميركيّة أم لا، وكذلك ما إذا كان ثمّة طائرة مقاتلة من طراز "ميج" سوفياتيّة الصنع، أو التروس والجنازير الإلكترونيّة.

وتتقسم "الصناديق" الآن إلى الفئات الآتية: الذخائر، الطائرات الحربيّة، الصواريخ، الدبّابات، المواد النوويّة والدبّابات والعربات المصفّحة والناقلات...

علم التكهُّف، أو كشف المخبّأ في كهوف الجبال

إلى جانب المجالات المتخصّصة مثل العلوم والتكنولوجيا والتاريخ وسائر الفروع الأكاديميّة الأخرى، تهتمّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بمجموعة متنوّعة من القدرات الضروريّة للمخابرات وجمع المعلومات الخاصّة باتّخاذ القرار، وكذا لاستخدامات العملاء الميدانيّين. ومن بين تلك التقنيّات والمجالات: علم أو فنّ التكهّف أي كشف ما تخبّئه الحكومات أو غيرها في كهوف الجبال من أسلحة وعتاد. وقد قامت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، منذ عهد طويل، بصيانة إدارة متخصّصة في بناء وتشييد النماذج والديوراما، وهي الصور التي يُنظر إليها من خلال ثقب في جدار الغرف المظلمة، إلى غير ذلك من أساليب وفنون.

يتمّ جمع المعلومات عن طريق الأقمار الصناعيّة والعملاء الناشطين على الأرض، وطائرات التجسّس. ثمّ تقوم بتوضيح تلك المعلومات باستخدام الصور والرسوم، ومن ثمّ يبدأ صنّاع ومصمّمو النماذج في العمل. وفي هذا الصدد، تصبح شوارع موسكو والسدود المشيّدة في أميركا اللاتينيّة والشواطئ والمباني وغيرها موضوعات ساخنة لصانعي ومصمّمي النماذج.

ذات يوم، كانت لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة نماذج مقياسيّة ومقاييس مختصّة بأكثر من ٦٠٠ كهف في كوبا. وكانت تلك الكهوف تستخدم حينًا كمكاتب ومواقع تخزين لـ "فيديل كاسترو". وتُمكّن هذه النماذج العملاء والجواسيس من تحديد مواقع أماكن إخفاء الأسلحة ومستودعات تخزين العتاد المحتملة. وبجانب الكهوف

والمواقع الخفيّة تحت الأرض وما يطرأ عليها من تغييرات، نجد مثلاً أنّ أحد شوارع موسكو وما شابه ذلك كلّها موضوعات هامّة. ولقد اعتاد السوفيات على نشر الخرائط الزائفة لإرباك وتضليل الجواسيس، إلاّ أنّهم كانوا يربكون بذلك مواطنيهم وأهلهم أيضًا. ذلك أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة نادرًا ما تتعرّض للإرباك والتضليل لأنّها تقوم، بصفة دائمة، بتحديث وتجديد نماذج العمل الخاصّة بها.

الكرونولوجيا، أو تقسيم الزمن إلى فترات

كانت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة تقوم بجمع المعلومات عن زعماء الاتّحاد السوفياتيّ السابق. ولأنّه من العسير الحصول على المعلومات عنهم، كان من الضروريّ تطوير وتنمية عدد من المناهج والأساليب، وأفضلها هو الاقتراب والاطّلاع على أسرار كبار الزعماء السوفيات من طريق تجنيد العملاء القادرين على ذلك. ولمّا كان صعبًا على الأميركيّين، في الغالب، العمل من داخل الاتّحاد السوفياتيّ السابق، فإنّ أفضل طريقة بديلة هي تكليف أيّ شخص بمقدوره أن يعقد اتّصالات مع الزعماء السوفيات. والهدف هو معرفة تاريخ هؤلاء القادة وعاداتهم في العمل، وأسلوب تفكيرهم، وعاداتهم الشخصيّة، وتكوينهم النفسيّ. وعلى مدار السنين كان السوفيات يتّهمون وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بزرع أجهزة التنصّت الدقيقة في سيّارات المسؤولين في المكتب السياسيّ للحزب الشيوعيّ، وتجنيد المواطنين السوفيات، وبخاصّة منهم المنشقّون للقيام بأعمال الجاسوسيّة لصالح الولايات المتّحدة الأميركيّة.

مهام وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة

عرف الإنسان، منذ وقت سحيق وممعن في القدم، أنشطة المخابرات، وخاصّة جمع المعلومات وتحليلها. ولقد نهضت الشعوب والأمم وقامت وتقوّضت دعائمها اعتمادًا على مدى إتقانها لفنون الحصول على المعلومات التي تحتاج إليها في بقائها وحياتها، ومدى حسن استخدامها لها. وإنّ القدر والكميّة الطاغية من المعلومات التي يتمّ جمعها تشتقّ، عادة، من: ١) المصادر العلنيّة مثل الكتب والدوريّات والصحف ووسائل الإعلام المختلفة، والوثائق الحكوميّة، والتصريحات الرسميّة في الدول، والدراسات الأكاديميّة والتجاريّة، إلخ... ٢) البيانات التي يتمّ جمعها عن طريق الوسائل التكنولوجيّة مثل المخابرات الفوتوغرافيّة أي الصور، والإشارة. وإلى جانب ذلك كلّه من القاعدة المعرفيّة الواسعة للبيانات، يُضاف القدر الحيويّ من المعلومات التي يتمّ الحصول عليها خلسة عن طريق العملاء البشريّين أو الجواسيس، وهو النشاط الذي يُطلق عليه اسم "الجاسوسيّة". وبغضّ النظر عن جمع المعلومات وتحليلها نجد أنّ أنشطة المخابرات تشمل أيضًا المخابرات المضادّة والعمل السريّ. وسائر هاتيك الأنشطة قامت بها المستعمرات الأميركيّة، حتّى قبل إعلان استقلالها عام ١٧٧٦. وفي عام ١٧٧٥، أسّس الكونغرس القاريّ الثاني أولى منظّمات التخابر الأميركيّة والرسميّة من خلال تكوين وخلق اللجنة السريّة ثمّ لجنة المراسلات السريّة. وكان "جورج واشنطن" نفسه يهتمّ بالنشاط الجاسوسيّ، وكان غالبًا ما يصدر توجيهاته بشأن الاحتياجات الاستخباريّة، وإدارة التخابر وعملاء الجاسوسيّة المضادّة وكذلك توجيه حملات الحرب النفسيّة وعمليّات الغش والخديعة، وكان له تقديراته وتقييمه الخاصّ

بالموقف. ولم يمضِ وقت طويل بحلول الحرب العالميّة الثانية حتّى شرعت الولايات المتّحدة في إقامة وتأسيس جهاز للخدمات الاستخباريّة الذي يعمل وفقًا للتنسيق على المستوى القوميّ. أمّا وكالة المخابرات المركزيّة فقد تمّ تأسيسها عام ١٩٤٧ وعُهد إليها بمهمّة "تنسيق الأنشطة المخابراتيّة الخاصّة بشتّى الإدارات الحكوميّة والوكالات من أجل صالح الأمن القوميّ". وحتّى تتمكّن من إنجاز مهامها، كُلّفت وكالة المخابرات المركزيّة، تحت إشراف مجلس الأمن القوميّ، بالوظائف الآتية:

١) إسداء النصح لمجلس الأمن القوميّ في ما يتعلّق بأنشطة المخابرات التي تقوم بها الإدارات والوكالات لصالح الأمن القوميّ.

٢) تقديم التوصيات إلى مجلس الأمن القوميّ من أجل تنسيق مثل هذه الأنشطة الاستخباريّة الحكوميّة.

٣) القيام بتقييم وإيجاد الروابط بين البيانات ونشر المعلومات السريّة التي تتعلّق بالأمن القوميّ مع اتّخاذ الاحتياطات المحدّدة باستمرار الإدارات والوكالات المختصّة في جمع وتقييم وإيجاد الروابط بين البيانات ونشر المعلومات السريّة. لقد نصّ قانون الأمن القوميّ لعام ١٩٤٧ صراحة وبوضوح على أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لا يجب أن يكون لها "قوى بوليسيّة أو صلاحيّات استدعاء الأفراد للمثول أمام أجهزتها، أو سلطات تعزيز وفرض القانون، أو وظائف تتعلّق بالأمن الداخليّ". ولقد اشترط القانون على مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة أن يكون "مسؤولاً عن حماية مصادر المخابرات وأساليبها ومناهجها من الكشف غير القانونيّ".

٤) أداء الخدمات ذات الصالح العامّ" لأجل الوكالات المخابراتيّة القائمة بالفعل، وهي التي يقدّر مجلس الأمن القوميّ أنّ إجراءها على المستوى المركزيّ سيكون أفضل وأبعد نفعًا.

٥) "أداء الوظائف والواجبات الأخرى المتعلّقة بالمخابرات المؤثّرة في الأمن القوميّ حسبما يقرّر مجلس الأمن القوميّ من حين لآخر".

إنّ الوظيفتَين ٤ و٥ تبدوان غامضتَين وغير واضحتَين، ولعلّ السبب في ذلك أنّه لم يكن مألوفًا في عام ١٩٤٧ ولم يكن مستساغًا للحكومات أن تصرّح رسميًّا أنّها تنهمك وتتعاطى أنشطة من قبيل أعمال الجاسوسيّة والتخابر. وواضح أنّ هؤلاء القوم المهتمّين بتمرير قانون الأمن القوميّ، بما في ذلك أعضاء الكونغرس، كانوا يتفهّمون على نحو جليّ أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة سوف تتورّط في أعمال الجاسوسيّة والمخابرات المضادّة، باعتبارها "خدمات للصالح العام". ولم تدع المذكّرة التفسيريّة للقانون والتحقيقات وجلسات الاستماع بالكونغرس التي تمّت خلف الكواليس أيّ مجال للشكّ في هذا الصدد.

أمّا معنى الوظيفة رقم ٥ فلم يكن واضحًا، كما أنّه لم يتمّ التساؤل أو الاعتراض عليها، على الرغم من أنّ لغة من هذا القبيل الغامض، وجدت في خطّة "دونوفان" الأصليّة عام ١٩٤٤ وكذلك المقترحات العسكريّة الخاصّة بإنشاء منظّمة مخابرات مركزيّة تعمل في زمن ما بعد الحرب.

وفي ٢٠ حزيران - يونيو ١٩٤٩ أضاف الكونغرس، كملحق قانون ١٩٤٧ عن طريق تمريره، قانون وكالة المخابرات المركزيّة الذي زوّد الوكالة بصلاحيّات وسلطات ماليّة وإداريّة متعدّدة. ومن بين هذه الصلاحيّات الحفاظ على سريّة ميزانيّة الوكالة، وأعداد وأسماء العاملين فيها، ما يسمح للوكالة بأن تستمدّ أرصدتها وميزانيّتها من بعض الوزارات الأخرى، وذلك بعد أن تحوّلها الحكومة الفدراليّة إلى تلك الوزارات، وبدون قيود توضع على الاعتمادات المبدئيّة. أمّا الحسابات والنفقات وسائر بنود الأرصدة فهي منوطة بتصرّفات وتصديق مدير المخابرات المركزيّة.

وبمقتضى قانونَي ١٩٤٧ و١٩٤٩ يعمل مدير وكالة المخابرات المركزيّة ويقدّم خدماته باعتباره المستشار الرئيسيّ للرئيس الأميركيّ ومجلس الأمن القوميّ بشأن كافّة الشؤون المتعلّقة بالمخابرات الخارجيّة وتكون ذات أهميّة للأمن القوميّ. وأمّا مسؤوليّات الوكالة فيتمّ تنفيذها حسبما تقرّر كافّة توجيهات وأوامر الرئيس الأميركيّ ومجلس الأمن القوميّ الأميركيّ.

وتستمرّ الوكالة، في يومنا هذا، في العمل باعتبارها منسّقًا لسائر أجهزة المخابرات العامّة في الولايات المتّحدة قاطبة، وباعتبارها منتجًا لمعلومات وتقارير المخابرات القوميّة والخارجيّة، والمزوّد الممدّ "بالخدمات ذات الصالح العامّ". وكذلك باعتبارها مؤدّيًا يعمل كذراع وسلاح تنفيذيّ مدعّم للسياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة الأميركيّة. ووفقًا لذلك تكون تلك الأداة القويّة خير معين على تنفيذ الأعمال ومصالح الولايات المتّحدة الأميركيّة سواء في الداخل أو في الخارج، معتمدة على ضخامة الأموال وبراعة الرجال المتميّزين والأجهزة المتطوّرة في فرض السياسة الأميركيّة وفقًا لسيناريو الحكم الذي يضعه رجال موثوقون.

رئيس المحطّة

يُعدّ "رئيس المحطّة" لقبًا لوظيفة داخل المخابرات المركزيّة الأميركيّة. هو أحد مسؤولي المخابرات الذين يتّخذون من هذه المهنة حرفة واحترافًا، وهو يقوم عادة بالتشغيل تحت غطاء إحدى السفارات الأميركيّة. حيثما توجد إحدى المحطّات لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، بصرف النظر عن ضخامتها أو ضآلتها، تكمن الحاجة إلى شخص ما لكي يديرها. فمَن هو؟ وما هي طبيعة عمله؟ وما الذي يبدو عليه عمله

أمام الناس؟ وكيف تبدو وظيفته أمام الغرباء الذين لا يعرفون شيئًا عن طبيعة عمله؟ وما هو لقبه؟ أين موقعه في السفارة أو مواقع القيادة العسكريّة أو أيّ مكتب من مكاتب الولايات المتّحدة الأميركيّة الكثيرة في الخارج؟ وممّ يتكوّن نهاره وليله؟

أوّلاً وقبل كلّ شيء، يعتبر رئيس المكتب ممثّلاً شخصيًا لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في عقد أيّ صفقات يبرمها داخل إطار المحطّة أو خارجها. فلو كان ذلك في الخارج، أي خارج المجالس السريّة لمحطّته، يتعيّن عليه أن يدير واجباته التمثيليّة و"التمويهيّة" على نحو ملائم، وسوف يكون بحاجة إلى أن يتعامل مع، ويعاون، أولئك الأعضاء المتنوّعين في إطار أسرة حكومة الولايات المتّحدة الأميركيّة التي تتواجد في أيّ دولة أجنبيّة، ذلك أنّه دائمًا بمثابة عضو رئيسيّ داخل فريق دولة الاتّحاد حيثما كان في أيّ موقع أجنبيّ. وفي إطار المحطّة، يجب عليه أن يراقب شخصيًّا رعاية وإعاشة وإصدار توجيهات العمل والعمليّات السريّة ومتابعة تنفيذ مهام ضبّاط محطّته، الذين يعملون في الشارع، وكذلك المحلّلين وأفراد المساعدة الأدائيّة الذين يشكّلون العمود الفقريّ الإداريّ لقيادته.

هذه الوظائف لا تعدّ بمثابة عمل روتينيّ يوميّ يتكوّن من ساعة أو ساعتَين، بل إنّه بمثابة مراقبة دائبة ويقظة لا تنتهي، إذا كان يرغب رئيس المحطّة في إنجاز عمله على أفضل وجه. وحينما يوقظه وينبّهه جهاز الإشارة المتواجد بجوار فراشه في الساعة الثالثة صباحًا ويخبره بأنّ ثمّة برقيّة فوريّة عاجلة في انتظاره في مركز اتّصالاته الخفيّ، يتعيّن عليه أن ينهض ليتواجد بنفسه شخصيًا، بأسرع وقت ممكن، في موقع قيادته لكي يتقدّم بوفاء التزامات واحتياجات التقارير التي يمليها عليه، بإلحاح، رؤساؤه في واشنطن. وفي حال حصول أيّ استدعاء في أثناء ساعات العمل الاعتياديّة، أو حتّى غير الاعتياديّة، من جانب السفير الأميركيّ لكي يسدي النصح أو

لكي يتلقّى زيارة عاجلة من جانب زعيم جهاز مخابرات أجنبيّ لدولة صديقة، أو أيّ جهاز من أجهزة الأمن، فلو حدث وتدخّلت إحدى هذه الأشياء في أثناء سير عمله المعتاد اليوميّ، فيتوجّب على رئيس المحطّة أن يترك جانبًا مسؤوليّات المحطّة لفترة قصيرة ويقوم بـ "مهام التمثيل" ثمّ يعود بعدها، وربّما متأخّرًا بوقت طويل، إلى مقرّ عمله لكي يفي بالاحتياجات الإرشاديّة والتوجيهيّة التي تتطلّبها قيادته.

وتؤدّي الوظائف الأوليّة للقيادة في سعيها نحو تنفيذ أهداف المخابرات إلى أن تصبح المحطّة على وشك الوقوع في الطرق الفرعيّة المفضية إلى المخاطر، حيث يكون مجرّد البقاء والمكوث بدون التورّط في الأخطاء، ومواصلة العمل بمثابة الوقوف على حافّة الهلاك. ويتجسّد ذلك في إرشاد أعضاء محطّته في سعيهم نحو الحصول على أكثر الأسرار تحصينًا وحماية ومحافظة داخل إحدى الدول التي تمثّل هدفًا للوكالة، وهي الأسرار التي لا يمكن لامرئ مهما كان أن يستمع أو يسترق السمع إليها أو يستنبطها أو ينتزعها، وهي الأسرار التي لا يمكن التوصّل إليها كذلك عن طريق البحوث في المكاتب، أو السعي نحو استنتاجها عن طريق الأساليب التقليديّة للسلطة الرابعة، وهي أيضًا الأسرار والمعلومات التي لا يمكن اقتناؤها إلاّ عن طريق تجنيد العملاء والجواسيس والرجال الموثوقين. وهؤلاء المصادر السريّة التي تلتزم وتعتنق الإيديولوجيّة بالإضافة إلى الأساليب الميكانيكيّة والتقنيّة الخاصّة بحشد البيانات هي التي تكفل الوصول إلى الوثائق والحقائق السريّة للغاية في البلاد المطلوب التجسّس عليها.

يتكوّن جوهر مساعي رؤساء محطّات المخابرات المركزيّة الأميركيّة من الحقائق التي تشير وتنبّه إلى نوايا إحدى الدول الأجنبيّة أو خططها الخفيّة التي من شأنها إمّا أن تضرّ أو تؤثّر تأثيرًا خطيرًا على مصالح الولايات المتّحدة الأميركيّة في المناطق

الحرجة والحسّاسة، أو على الأسوأ، أن تهدّد الوجود القوميّ للبلاد تهديدًا فعليًّا. مثل هذه المعلومات لا بدّ من العثور عليها كما هو واضح، وليس مجرّد اكتسابها، والسبب أنّها في الغالب تكون مقصورة على أقلّ عدد من العيون والآذان، وبالتالي، لو حدث وكانت مدوّنة على الورق أو مسجّلة على شريط، فإنّها تودع في أكثر السراديب عمقًا وأشدّها حماية داخل مملكة العدوّ.

إلاّ أنّه في خضمّ لعبة مثل جمع المعلومات وأكثر الأسرار حراسة وأشدّها تأهّبًا من داخل دولة أخرى، فإنّها عمليّة محفوفة بالمخاطر، كما أنّها غير مضمونة النتائج وخاضعة للحظّ. فهي تتطلّب يقظة دائمة وأحيانًا تأهّبًا يفوق قدرات البشر العاديّة.

فلو أنّ ثمّة رئيس لإحدى المحطّات قام بالتخلّي عن مسؤوليّاته عن القرار الخاصّ بالعمليّات الاستخباريّة، وتنازل عن ممارسته للسيطرة القاسية على أنشطة ضبّاطه، فإنّه لا يستحقّ شرف حمل لقب رئيس محطّة مخابرات مركزيّة أميركيّة.

وأفضل رؤساء محطّات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الذين يديرون أكثر الأوامر الخاصّة بالعمليّات حرجًا وخطورة، كانوا قد أمضوا سنوات طويلة من الخبرة في جمع المعلومات من الشارع، يكتسبونها بأنفسهم لأنفسهم، ذلك أنّهم، إبّان سنوات ريعان الشباب والعمر المخضرم، كانوا يعملون ويكتسحون الطرق بدءًا من بومباي بالسند إلى برلين بألمانيا. واكتسبوا الخبرة من خلال أعمالهم في المخابرات وتعاملهم مع الرجال الذين يرتدون القبّعات، والرجال الذين يرتدون العمم، واستجوبوا العملاء في التاكسيات والعربات ذات العجلتَين التي تجرّها الجياد وهم يألفون الشوارع الخلفيّة بمدينة طرابلس، كما يألفون غرز وأوكار المافيا في حيّ "تراستيفيري" بروما.

ويتميّز رؤساء المحطّات كذلك بمقدرتهم على التحدّث والقراءة والكتابة بلغتَين أو ثلاث لغات أجنبيّة. ويتّصفون بخبرتهم في إدارة وتوجيه العملاء من شتّى المستويات

بدءًا من عملاء الأكشاك وسائقي التاكسيات إلى موظّفي الوزارات الحسّاسة بالدول الأجنبيّة المعادية. وعلى مدار خبرات حياتهم لا بدّ وأن يكونوا قد انخرطوا في أعمال وخبرات مثل زرع الميكروفونات وأجهزة التنصّت لاستراق السمع من العملاء الشيوعيّين الذين يناقشون نواياهم الخفيّة ضدّ الولايات المتّحدة الأميركيّة، وكذا إرسال العملاء إلى أعماق المناطق المحرّمة والمحظورة. فضلاً عن مقدرتهم على إنجاز مهام مثل صيانة وكتمان الأسرار وإجراء الاتّصالات خلسة مع العملاء طوال الشهور العديدة، ليتمكّنوا من اجتذابهم بعيدًا إلى المناطق والأماكن السريّة في الغرب، حتّى يستطيعوا مراجعة أعمالهم وتفويض العميل.

وبناء عليه، تلك ممارسات وتكليفات رئيس المحطّة داخل وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

ولقد تخوّف الأميركيّون أنفسهم من تجسّس الوكالة عليهم وحفظ ملفّات سريّة عنهم. ولكنّها محظور عليها ذلك بمقتضى الأمر التنفيذيّ الرئاسيّ الذي يحرّم استخدام التقنيّات الإلكترونيّة أو البريد أو المراقبة الشخصيّة وكذلك أجهزة الرصد والتنصّت ضدّ المواطنين والأهالي. إلاّ أنّ ذلك مباح فحسب تحت أكثر الأحوال والظروف استثناء وفوق العادة من أجل الصالح العام، وبموافقة النائب العامّ. وربّما يكون لبعض الأشخاص الأميركيّين تعاملات تجاريّة وأعمال وخلافه إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّ لهم ملفّات شخصيّة سريّة داخل الوكالة، كما لا يخضعون لأيّ رقابة عليهم، حيث أنّ قانون الحريّة الشخصيّة يضمن ذلك. أمّا في ما يتعلّق بالأعمال الخفيّة فتتمّ حينما يقرّر مجلس الأمن القوميّ أنّ أهداف السياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة لن تتحقّق عن طريق الوسائل الدبلوماسيّة العاديّة، وحينما يتمّ استبعاد العميل العسكريّ باعتباره خيارًا غير مرغوب أو بعيد الاحتمال.

الفرق بين وكالة الـ CIA والـ KGB

بحسب باحثين أميركيّين[1] فإنّ الفرق في ما يتعلّق بمشاركة الوكالة في الاغتيالات نجد أنّ الأمر التنفيذيّ الرئاسيّ رقم ١٢٣٣٣ يحرّم على الوكالة التورّط في الاغتيالات سواء بطريق مباشر أو غير مباشر. ويضمن الامتثال لذلك الأمر التنفيذيّ كلّ من عمليّات الحماية الداخليّة وكذلك عمليّة إشراف الكونغرس على أعمال الوكالة.

وبحسب المرجع نفسه، قد يتساءل البعض، هل تشترك وكالة المخابرات المركزيّة في عمليّات تهريب المخدّرات؟ كلاّ، على العكس، فإنّها تعاون حكومة الولايات المتّحدة في جهودها الهادفة إلى إحباط تهريب المخدّرات عن طريق تزويدها بتقاريرها ومعلوماتها السريّة وبخاصّة وزارة التجارة، ووكالة مكافحة المخدّرات الأميركيّة وكذا وزارة الخارجيّة الأميركيّة.

إلى جانب ذلك تساند الوكالة وتدعم جهود حكومة الولايات المتّحدة الأميركيّة الشاملة في مكافحة الإرهاب الدوليّ عن طريق جمع وتحليل ونشر المعلومات السريّة عن المجموعات والجماعات الإرهابيّة الأجنبيّة وكذلك الإرهابيّين. كما تقوم بالاتّصالات مع إدارات المخابرات وأجهزة الأمن داخل الحكومات الصديقة، وتشارك في تبادل المعلومات الاستخباريّة مع وكالات الإرهاب المضادّ. وبناء على طلب تلك الجهات، تقوم وكالة المخابرات المركزيّة بإسداء النصح والتدريب إلى هذه الأجهزة.

---

١ ـ وكالة المخابرات الأميركيّة، وثائق سرية، ص١١٢ وما يليها.

ويشارك أخصّائيّو الإرهاب المضادّ التابعون للوكالة بنشاط وفعاليّة في تطوير الاستراتيجيّات الهادفة إلى مكافحة الإرهاب. وتزوّد مصادر المخابرات حول العالم جهود الولايات المتّحدة الأميركيّة ومساعيها صوب حلّ هذه المشكلة الخطيرة. وتختلف وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA عن جهاز المخابرات السوفياتيّ المعروف باسم KGB أو لجنة أمن الدولة، لأنّ مهامهما وأنشطتهما تعكس المجتمعات الخاصّة بكلّ منهما ـ فهذه ديمقراطيّة والأخرى شموليّة ـ وكلاهما جزء من هاتيك المجتمعات.

والدور الرئيسيّ للـ KGB هو الأمن الداخليّ، بما يشمل المراقبة الروتينيّة للمواطنين السوفيات. أمّا وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة فليس لها أيّ وظائف تتعلّق بفرض القانون أو استتباب الأمن سواء في الداخل أو في الخارج. وعلى نقيض الوكالة التي يحكمها الأمر التنفيذيّ الرئاسيّ أو القانون، نجد أنّ أنشطة الـKGB غير مقيّدة. فضلاً عمّا سبق، نجد أنّ الشعب الأميركيّ ينتخب المسؤولين الذين يراقبون ويشرفون على أنشطة المخابرات في الولايات المتّحدة، عن طريق عمليّات مراقبة ومتابعة الكونغرس. أمّا جهاز المخابرات السوفياتي السابق أو لجنة أمن الدولة الـKGB فهي لم تكن تدين بالولاء لأحد سوى كبار كبار المسؤولين في الحزب الشيوعيّ السوفياتيّ، الذين لا يتمّ اختيارهم اختيارًا حرًّا من جانب الشعب الروسيّ.

وخلافًا لما يقوله باحثون مناهضون للسياسة الأميركيّة، يقول الباحث إنّ الوكالة تنتقي، بعناية فائقة، الأشخاص ذوي التأهيل الممتاز تقريبًا من كافّة حقول الدراسة وفروعها. وتطلب الوكالة العلماء والمهندسين، ورجال الاقتصاد، واللغويّين وأخصّائيّي الرياضيّات، والسكرتارية، والمختصّين في الكومبيوتر، إلى غيرها من فروع علميّة، مثل علماء الطبيعة أي الفيزياء، والاجتماع والأطبّاء البشريّين والمحامين، إلخ... غير أنّ الغالبيّة من بين أصحاب التخصّصات العامّة الشاملة الذين أظهروا مؤهّلاتهم

وقدراتهم علـى شغر منـاصب ومواقع تشكّل الشـطر الأعظـم مـن العمليّـات الداخليّـة وعمليّات ما وراء البحار. ونجد أنّ النساء وأعضاء الجماعات الأقليّة والمعوقين قد تـمّ تمثيلهم تمثيلاً حسنًا في رواتـب ووظـائف التشـغيل داخـل وكالـة المخـابرات المركزيّـة الأميركيّة.

وثمّـة مفهـوم خـاطئ مـؤداه أنّ للوكالـة ميزانيّـة مطلقـة غير محـدودة وهـي التـي تتجاوز بمراحل حدود المعقول والتصوّر. إلاّ أنّ الحقائق تفيد بأنّ الموارد المخصّصـة للوكالة عرضة لنفس الفحص القاسي وعمليّات القبول أو الرفض التي تخضع لها سائر المنظّمات الحكوميّة.

لقد تمّت دراسة وفحص تنظيم زيـارات وجـولات داخـل مقرّ ومبنـى الوكالـة فـي مدينة "لانغلي" بولاية فيرجينا الأميركيّة، إلاّ أنّه ثمّـة مشـكلات تتعلّـق بالإشـراف علـى هذه الجولات بالإضافة إلى اعتبارات الأمن كلّهـا بيّنـت أنّ ذلـك غيـر ممكـن ببسـاطة. وجدير بالذكر أنّ الوكالة تفرج عن العديد مـن المنشـورات غير المصنّفـة لكـي تـزوّد المجتمعـات الأكّاديميّـة وأوسـاط رجـال الأعمـال بالمسـاعدات والتسـهيلات البحثيّـة الإضافيّة، وأغلبها يحتوي على معلومات دوليّة اقتصاديّة وسياسيّة هامّة. إلاّ أنّ الوكالة لا يمكنها الإفراج عن الكثير من التقارير الأخرى لأنّ مثل هذه الدراسات مسـتمدّة مـن مصادر حسّاسة ولا ينبغي كشفها.

"ويليام كولبي"، الرئيس السابق لوكالة المخـابرات المركزيّـة الأميركيّـة فـي الفتـرة من ١٩٧٣ حتّى ١٩٧٦، كان قد خـدم ببسـالة فـي مكتـب الخدمـات الاستراتيجيّة إبّان الحرب العالميّة الثانية، حيث عاد بعدهـا إلـى مدرسـة كولومبيـا للقـانون ليحصـل علـى درجتَين في القانون ويلتحق بالعمل مع "ويليام دونوفان" في شركته القانونيّة، يقـول: إنّ مستقبل الوكالة يركّز على الدقّة فـي كتابـة التقـارير والتحـاليل وتحقيـق التفـاهم والفهـم

الأفضل للجماعات الأجنبيّة، وإنّه متفائل بمستقبل الوكالة ذلك أنّه سيكون مستقبلاً رائعًا وبرّاقًا. ويؤكّد "كولبي" على أنّه لم يحدث أبدًا أن تمّ اختراق وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في مستوياتها العليا بفضل احتياطات الأمن الممتازة المعمول بها في الوكالة... ويجب علينا دائمًا الافتراض بأنّ ثمّة اختراق قد أصاب الوكالة في مستوياتها العالية، وأن نكون في يقظة وتأهّب، إلاّ أنّ سجلّ الأمن بالوكالة عظيم. وللعلم، جميع أجهزة ووكالات المخابرات الأوروبيّة قد تمّ اختراقها أكثر من مرّة مثل المخابرات البريطانيّة والهولّنديّة والنرويجيّة والفرنسيّة، وكذا مخابرات منظّمة حلف شمالي الأطلسي الـ "ناتو"، وهذا يدعم الاتّجاه بأنّ مستقبل الحرب بين الوكالة الأميركيّة والأجهزة المعادية سوف يستمرّ كما كان في الماضي... ونحن نقوم بالجاسوسيّة عن طريق طرد الجواسيس العملاء وترحيلهم بعيدًا عن بلادنا. ثمّ بتحييد رجال مخابرات بلدان الكتلة الشرقيّة عن العمل في نطاق المناطق والموضوعات ذات المصلحة المباشرة لأميركا. ولقد أثبتت مخابرات إسرائيل وفرنسا أنّها ذات بُعد نظر ضئيل وقصير حينما زجّوا بجواسيسهما داخل أميركا، ما أدّى إلى القبض عليهم واتّخاذ التدابير اللازمة بحقّهم".

ويضيف "كولبي": "إنّ أمم العالم الثالث سوف تقيم وتؤسّس وتوسّع من أجهزة مخابراتها إلاّ أنّ معظم أنشطتها في الجاسوسيّة سوف تقتصر على النطاق الإقليميّ وتوجّه ضدّ الجيران من أجل المصالح المباشرة لها. ونجد أنّه بعد تفكّك الاتّحاد السوفياتيّ صارت المخابرات المركزيّة الأميركيّة هي الجهاز الكبير الذي كاد يكون الوحيد الذي ينشط على نطاق عالميّ في جمع المعلومات وأعمال الجاسوسيّة. وهناك بعض القوم الذين يبيعون بلادهم من أجل مبالغ زهيدة نسبيًا من المال. وفي العهد السالف كان الجواسيس في بلادنا يقومون بالتجسّس من أجل أسباب تتعلّق بالمعتقدات

والإيديولوجيّة. أمّا الآن فإنّهم يتجسّسون من أجل المال. أمّا السوفيات وغيرهم من الشيوعيّين فكانوا يفعلون ذلك لأسباب إيديولوجيّة بحتة، وأذكر أنّ المنشقّين إلى الغرب يتزايدون ومن المحتمل أن تضطرد زياداتهم". ويقول كولبي "وممّا أفخر به أنّني أطلع أعضاء مجلس الشيوخ الأميركيّ، الذين لا يعرفون سوى النذر الضئيل عن وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، على الحقائق المسموح بها وأشرح لهم ما يعينهم على فهم طبيعة منظّمتنا السريّة، بدون كشف الأسرار، ولقد حاولت أن أشرح لهم وأوضّح حيثيّات بعض التحقيقات والتحريّات ذات الطبيعة الحسّاسة والحرجة... ولقد علمنا أنّ إساءة الاستخدام والمفاسد والمساوئ والتعسّفات ضئيلة، ولست في حلّ من أن أناقش عمليّات محدّدة قمنا بها في هذا الصدد".

ويؤكّد "ويليام كولبي" على أنّه من العسير القول حتّى الآن مَن هو أفضل مدير تولّى إمرة جهاز الوكالة"، إلاّ أنّه صرّح بأنّ "جون ماك كون[1]" هو الأفضل، مؤكّدًا على أنّه يعتقد بأنّ "بيل كيسي" ينافس ويباري الأوّل في هذا الصدد. أمّا "ماك كون" فله الفضل كمدير إداريّ وإشرافيّ، وأمّا "كيسي" فباعتباري أنّه الرجل الذي أعاد إحياء الوكالة وإنعاشها".

١ ـ **جون ماك كون:** وُلد ١٩٠٢ في مدينة سان فرنسيسكو بولاية كاليفورنيا، عضو لجنة رسم سياسة القوّات التابعة للرئيس ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨، نائب وزير الدفاع ١٩٤٨، وكيل وزير الدفاع لشؤون سلاح الجوّ ١٩٥٠ ـ ١٩٥١، رئيس لجنة الطاقة الذرية ١٩٥٨ ـ ١٩٦٠، مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ بتعيين من الرئيس جون كينيدي، مستشار في لجنة الرئيس الخاصّة بالقوّات الاستراتيجيّة ١٩٨٣.

عمليّات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة [1]

الجهاز السريّ للمخابرات المركزيّة

إنّ إدارة عمليّات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة معروفة باسم "نائب مدير العمليّات" ومن ثمّ باسم "وكالة المخابرات السريّة".

تقوم إدارات الوكالة الأخرى وكذا الاستخبارات والإدارة وقسم العلوم والتكنولوجيا بإنتاج التقديرات والتحليلات المصنّفة، وتؤدّي واجبات من قبيل الحفاظ على البيت من الداخل، وتطوّر التصميمات والأجهزة السريّة. أمّا القوم الذين يعملون في هذه الإدارات فيطلقون على أنفسهم، عادة، اسم موظّفين داخل الوكالة أمام أصدقائهم وجيرانهم ويعرّفون أنفسهم بهذا التعريف.

إنّ هيئة عمّال الوكالة تضطلّع بالواجبات السريّة في ما وراء البحار، ويُعرف الموظّفون في مقرّ قيادة واشنطن بأنّهم مشغّلو الجهاز السريّ، كما يُطلق عليهم اسم "نائب مدير العمليّات". ويتوجّب عليهم أن يعيشوا حياة مزدوجة حتّى يتسنّى لهم العمل بفعاليّة في الخارج وفي بعض المناطق المعادية للبقاء على قيد الحياة. إذ لا بدّ من وجود غطاء وستر لإخفاء جاسوسيّتهم وعملهم السريّ. أمّا حياتهم السرية، التي يتعيّن عليهم إخفاءها وإخفاء حقيقتها عن الجيران والأصدقاء

---

١ ـ وكالة المخابرات الأميركيّة، وثائق سريّة، ص١١٧ وما يليها.

وحتّى عن الأطبّاء ورجال البنوك الذين يتعاملون معهم، هذه الحياة السريّة يجب أن تستمرّ في أثناء عملهم في واشنطن حيث تكليفاتهم. وبذلك يبقى سترهم وغطاؤهم سليمَين ليستطيعوا العمل في الظلّ والقيام برحلات لاحقة في ما وراء البحار.

يقوم الجهاز السريّ للوكالة، أساسًا، بوظيفتَين هما:

١) جمع الاستخبارات التي سوف تتمّ معالجتها من جانب إدارة المخابرات، إلى تقديرات وتحليلات مطلوبة لصنّاع القرار والسياسة بهدف صياغة العمل السياسيّ.

٢) تضطلّع بالبرامج الخاصّة بمساعدة ومعاونة صنّاع السياسة في تنفيذ قراراتهم وسياساتهم.

يُطلق على المسؤوليّة أو الوظيفة الأولى اسم "الجاسوسيّة" التي تتطلّب كشف المعلومات الهامّة لحكومة الولايات المتّحدة التي يريد بعض الحكومات والجماعات إبقاءها طيّ الكتمان؛ أمّا الثانية فيُطلق عليها اسم "العمل السريّ"، الذي تستهدف جهوده إقناع الكيان الأجنبيّ بالقيام بعمل ما، أو في بعض الأحيان، الامتناع عن القيام بعمل معيّن.

والجاسوسيّة والعمل السريّ يتطلّبان استخدام العمليّات السريّة.

وتشمل ظروف الإقناع وطبيعته الحيلولة دون المساهمة في العمل السريّ لحكومة الولايات المتّحدة.

فإنّ الدعاية، وفقًا لظلالها الرماديّة الكثيرة، مثل درجات إخفاء الرقابة، ربّما تنجز هدفًا من أهداف العمل السريّ. ويعدّ العملاء السريّون الذين يتعاملون مع الأفراد أكثر الأشخاص تأهيلاً للقيام بهذه الأعمال.

إنّ المهام الأوليّة لجهاز المخابرات السريّ هي الجاسوسيّة والجاسوسيّة المضادّة أو اختبار أسرارها الخاصّة وحمايتها. وتهتمّ الأغلبيّة الساحقة لعمليّات الجهاز السريّ بمثل النوع الأخير من المهام.

كيفيّة جمع الجهاز السريّ للاستخبارات

عادة ما يُطلق على رجال جهاز الوكالة السريّ في بلدان ما وراء البحر اسم "ضبّاط الحالات". ويقومون بجمع الاستخبارات من الجواسيس الذين، لسبب أو لآخر، يوافقون على كشف أسرار حكومتهم أو جماعتهم الخاصّة. وتُعرف المعلومات المستقاة منهم باسم "هيومنت" اختصارًا لاسم "الاستخبارات الإنسانيّة".

ولا يشير ضبّاط الجهاز السريّ، أبدًا، إلى أنفسهم أو إلى نظرائهم في أجهزة المخابرات الأخرى بأنّهم جواسيس، فهم ضبّاط مخابرات ومدراء يقوم بإدارة أعمال الجواسيس، الذين يصبحون خونة لمجموعة من الأسباب، غالبًا ما يكون المال هو السبب الأعظم. أمّا البعض الآخر فيبيعون أسرار بلدانهم وأوطانهم لأسباب أو دوافع أخرى.

والجدير بالذكر أنّ الجاسوس "أوليغ بينكوفسكي" أصبح أكثر الجواسيس قيمة بين سائر العملاء قاطبة يكتب التقارير للغرب من موسكو، مخبرًا كشكل من أشكال الاعتراض والاحتجاج السياسيّ ضدّ الشموليّة السوفياتيّة. وكان هذا الكولونيل قد جنّدته أجهزة المخابرات البريطانيّة والأميركيّة وأصبح بالتالي منشقًّا عن بلاده، فكان من جرّاء هذا أن ألقت المباحث الروسيّة القبض عيه، وسلّمته لجهاز المخابرات السوفياتيّة حيث شوهد بصحبة أحد حرّاس الـ KGB

وهو يحاكم في روسيا حيث صدر عليه حكم الإعدام عام ١٩٦٣ عقابًا له على جريمة التجسّس.

ويتمّ جمع الاستخبارات الحيويّة لما وراء البحار عن طريق الوسائل التقنيّة مثل استراق السمع على المكالمات الهاتفيّة، وقراءة بريد الغير، والقيام بالمراقبة والرصد، وأحيانًا التصوير الفوتوغرافيّ لبعض الأشخاص والأماكن. وكثيرًا ما يتمّ اجتلاء المعلومات النافعة عن طريق الاستماع إلى الأجهزة المعروفة باسم "أجهزة التنصّت" التي تُزرع، بوفرة، في المكاتب والأركان الحيويّة بالمكاتب الحكوميّة وداخل مكاتب الزعماء السياسيّين.

ولكي يحصل ضبّاط جهاز المخابرات السريّ على رضاء وحبور الزبائن المهمّين في البيت الأبيض ووزارة الخارجيّة الأميركيّة ووزارة الدفاع الأميركيّ ـ البنتاغون وغيرها، يتعيّن عليهم أن يكونوا مستعدّين نافرين للقيام بأداء المهام غير المتوقّعة.

مثال فرضيّ عل ذلك:

صدرت الأوامر للوكالة بأن تكتب تقريرًا عن صحّة أحد الزعماء الأجانب. وثمّة محاولة بُذلت للحصول على المعلومات عن الزعيم الأجنبيّ، إلاّ أنّ طبيبه رفض وفشلت المهمّة. عند تلك النقطة هل يصدر الأمر لضابط الحالة بالحصول على عيّنة من بول هذا الزعيم الأجنبيّ؟ لقد حصلت كوادر استخبارات الجهاز السريّ على العيّنة وتأكّدت صحّة المعلومات الواردة عن المصادر الأخرى...

ولقد استخدمت الوكالة المصادر البشريّة والتقنيّة لإنجاز أعظم انقلاب تجسّس في تاريخ الولايات المتّحدة الأميركيّة، إذ في عام ١٩٦٢ شرع الاتّحاد السوفياتيّ في بناء مواقع صواريخ هجوميّة خلسة في كوبا، على بعد ٩٠ ميلاً فقط من ولاية فلوريدا

الأميركيّة، فعلم الجهاز السريّ، من مصادره البشريّة في كوبا، أنّ أشياء ضخمة ممدودة ومستطيلة قد وصلت توًّا من روسيا. في الوقت نفسه أبلغ أحد العملاء أنّ العمل يجري لتشييد موقع عسكريّ جديد، فتمّ تدعيم تقريرَي المصدرَين البشريَّين عن طريق الجمع التقنيّ حينما قامت طائرة تجسّس من طراز U-2 خاصّة بالتصوير الفوتوغرافيّ، بتصوير عمليّات البناء والتشييد، ما مكّن مفسّري الصور بالوكالة من تحديد الصواريخ. فقام مدير المخابرات المركزيّة آنذاك "جون ماك كون" بتحذير وإنذار الرئيس الأميركيّ جون كينيدي من التهديد السوفياتيّ، مخبرًا الرئيس، بدقّة، عن قدرات الصواريخ السوفياتيّة. وتزامن مع ذلك، أن قام الكولونيل المنشقّ "أوليغ بينكوفسكي" بتزويد الأميركيّين بطرق استعمال وتشغيل إمكانات الصواريخ والنظام الخاصّ بها...

المسؤوليّات الفريدة لجهاز المخابرات السريّة: "العمل الخفيّ"

بينما يهتمّ ضابط الجهاز السريّ، أساسًا، بالجاسوسيّة والجاسوسيّة المضادّة، يتمّ تنفيذ بعض العمليّات الخفيّة بهدف تغيير الموقف أو التأثير على التطوّرات في ما وراء البحار. ويُطلق على هذه العمليّة اسم "العمل الخفيّ".

إنّ التعريف الشعبيّ للعمل السريّ أصبح خيارًا للرئيس الأميركيّ يلجأ إليه حين تندلع الأزمات الخارجيّة لكي يبرّر قراراته الخطيرة، حيث تعدّ ذريعة ضدّ احتجاجات الدبلوماسيّين من جانب، وتخوّله حقوق إرسال مشاة البحريّة إلى أيّ مكان يشاء، من جانب آخر.

إنّ عمليّات النشاط السريّ والخفيّ أصبحت مسألة خلافيّة. وقد نتج عن بعضها العناوين المثيرة في الصحافة، وكذلك التحقيقات المثيرة في الكونغرس. وكان ذروتها

تحقيقات واستجوابات الكونغرس في ما بين ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، وهي التي عُرفت باسم "لجنة الكنيسة"، ومن ثمّ تشكيل لجنة تحقيق من الكونغرس الأميركيّ للنظر في مسألة أحداث ١١ أيلول ــ سبتمبر ٢٠٠١ التي استهدف من خلالها تنظيم القاعدة مدينتي نيويورك وواشنطن.

لقد كان الفحص مكثّفًا، يتروح بين محاولات الاغتيالات الفاشلة ضدّ "فيديل كاسترو"، إلى العمليّات التي قامت بها وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في تشيلي... لقد تعرّض جهاز المخابرات السريّة للتلف أو الدمار، أو كما قال البعض، إلى العجز لسنوات مديدة في أعقاب تحقيقات "لجنة الكنيسة"...

إنّ العمل السريّ هو مسؤوليّة فريدة تقوم بها وكالة المخابرات المركزيّة، وليس ثمّة وكالة أخرى تحظى بحقّ التفويض للقيام بالعمل الخفيّ إبّان زمن السلم إلاّ الوكالة المركزيّة. وقد يغامر ويقامر بعض ضبّاط جهاز المخابرات السريّة التابع للوكالة بخوض غمار عمليّات معيّنة معقّدة بغية كسب الشرف وأمجاد البطولة، إلاّ أنّ النتيجة تكون أحيانًا على غير ما يشتهون.

ليس هنالك أيّ شيء جديد بشأن العمل الخفيّ. ويمكن تتبّع واقتفاء آثاره في الزمن الغابر، بدءًا من الفكر العسكريّ والسياسيّ للجنرال الصينيّ "صن تسو" في سنة ٥٠٠ ق.م. مرورًا بالفكر المكيافيلّي الذي توصّل، في القرن السادس عشر، إلى نتيجة مؤدّاها أنّ ثمّة أسلوبَين للتغلّب على العدو هما: القوّة والخداع.

وفي غضون الحرب العالميّة الثانية، كان العمل الخفيّ سلاحًا في الترسانات السريّة والبوليسيّة للجنرال "دونوفان" ومكتب الخدمات الاستراتيجيّة التابع له. وحين أُنشئت وكالة المخابرات المركزيّة سنة ١٩٤٧، لم يكن واضحًا أنّ الوكالة سوف تضطلّع بالعمل الخفيّ، إلاّ أنّ الميثاق الذي فوّض الوكالة ذلك الحقّ احتوى على إحدى

التعليمات بأنّ الوكالة يجب أن "تؤدّي وظائف أخرى وواجبات تتعلّق بالمخابرات المؤثّرة على الأمن القوميّ". وقد تمّ اختبار مصداقيّة مرونة تلك العبارة حينما سأل مدير المخابرات المركزيّة الأدميرال "روسكر هيلينكويتر"، كبار المسؤولين في حكومة الرئيس الأميركيّ "هاري ترومان" عمّا إذا كانت "الوظائف والواجبات الأخرى" تقع ضمن نطاق العمل السريّ الخفيّ. فقام "هيلينكويتر" بسؤال كبير المستشارين القانونيّين بوكالة المخابرات المركزيّة "لورانس هيوستون" عمّا إذا كانت العبارة تخوّل الوكالة سلطات لذلك، فأجاب "هيوستون" بالنفي. وحينما طلب منه أن يراجع المسألة، قال "هيوستون" إنّ وكالة المخابرات المركزيّة تُجري بصورة شرعيّة العمل الخفيّ إذا أصدر الرئيس الأميركيّ، باعتباره القائد الأعلى، توجيهات خاصّة تفوّض الوكالة القيام بمثل ذلك النشاط، وإذا طلب الكونغرس بتخصيص الاعتمادات الماليّة المطلوبة.

تلك كانت بداية الاستخدام النظاميّ للعمل الخفيّ من جانب الولايات المتّحدة إبّان صراعها في الحرب الباردة مع الاتّحاد السوفياتيّ السابق. وفي عهد الإدارتَين الأميركيّتَين اللتَين ترأسهما الرئيس "دوايت أيزنهاور" قام بتفويض الوكالة بالعمليّات السريّة وذلك تنفيذاً لتوصيات وزير الخارجيّة "جون فوستر دالاس" وتعهّد بإجرائها شقيق دالاس "آلن ويلش دالاس".

كان "جون فوستر دالاس" محاربًا غيورًا ومتحمّسًا إبّان الحرب الباردة، وكان مصمّمًا على دحر التوسّع السوفياتيّ. وأوشك على الوصول إلى حافّة المواجهة مع الروس أكثر من مرّة، حتّى أنّ سياسته الخارجيّة تُعرف باسم "الصمود على حافّة المواجهة". وحينما قرّر أن يزيد من برامجه العلنيّة في إطار العمل السريّ كان كلّ ما يتوجّب عليه عمله هو اللجوء إلى شقيقه...

قام "آلن ويلش دالاس" بإجراء مجموعة من العمليّات السريّة الباهرة في أوروبّا لمصلحة مكتب الخدمات الاستراتيجيّة إبّان الحرب العالميّة الثانية. وقبيل أن يصبح مديرًا لجهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، كان قد خدم فترة من الزمن رئيسًا لجهاز المخابرات السريّة، وكان دائمًا توّاقًا إلى الإشتباك مع العدوّ الروسيّ في الأزقّة المظلمة في أرجاء العالم.

كان الأخوان "دالاس" يفتقدان إلى التفويض للقيام بالعمل السريّ في الخارج لحسابهما، إلاّ أنّهما تشجّعا على فعل ذلك على أيدي الرئيس "أزنهاور"...

إكتشف المؤرّخون، في السنوات الأخيرة فقط، أنّ الرئيس "أيزنهاور" كان نصيرًا متحمّسًا للأنشطة السياسيّة وشبه العسكريّة السريّة. ولم ينسَ "أيزنهاور" كيف أنّ عمليّات المخابرات فعّالة دائمًا، وخاصّة حينما تقترن بالحرب النفسيّة وعمليّات التخريب التي يقوم بها رجال حرب العصابات. وكلّها أسدت له خير المعونة حينما كان القائد الأعلى للقوّات المسلّحة إبّان الحرب العالميّة الثانية. وشرع أحد المؤرّخين في كتابة السيرة الذاتيّة للرئيس "أيزنهاور" على مدة عشرة سنوات في أعقاب تنحّيه عن منصبه، وكان المؤرّخ يعتقد أنّ الجنرال السابق أضحى هادئًا وحالمًا ومسالمًا داخل جدران البيت الأبيض. إلاّ أنّ هذا المؤرّخ كتب بعد ذلك بعدّة سنوات يقول: "إنّ البحث في الأوراق المصنّفة للرئيس "أيزنهاور" أبرزت لي الدور المحوريّ الذي لعبته العمليّات السريّة والخفاء والحيل القذرة والعصيان والتمرّد المضادّ. إنّ مسألة ما، إذا كان يتعيّن على بلادنا ـ أميركا ـ أن تقوم بالعمل الخفيّ أم لا، لهي جديرة بالمناقشة. إلاّ أنّ معظم رؤساء الولايات المتّحدة الأميركيّة لم يُبدوا تردّدًا في استخدامه. وجدير بالذكر أنّ الرئيس الكوبي "فيديل كاسترو" كان نقمة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لأكثر من ٢٥ سنة، ولقد باءت عمليّات الوكالة كلّها ضدّ كاسترو بالفشل".

الجاسوسيّة المضادّة: حماية مجوهرات أسرة الـCIA

جرت العادة على الاعتقاد بأنّ المخابرات المضادّة هي غالبًا نشاط منفصل وبعيد عن جمع الاستخبارات والمعلومات. والفرق هو أنّ المعلومات المجمّعة تُحشد، ليس بغرض مساعدة صانعي القرار السياسيّ فقط، لكن أيضًا لكي يتمّ تحذير وكالة المخابرات المركزيّة من المحاولات المعادية لإضعاف الوكالة أو تدميرها.

إنّ عمليّات المخابرات المركزيّة، كما يُطلق عليها، تهتمّ أساسًا بكشف عمليّات الاختراق المعادية. وعمليّات الاختراق البشريّة يُطلق عليها اسم "العمل في الظلام"، وهي بمثابة أحد المناهج المستخدمة لكشف أسرار أحد أجهزة المخابرات المعادية. ومن بين الأشياء الأخرى، ربّما يكون الاختراق عبارة عن أداة تنصّت أو عمليّة يقوم خلالها رجال الشفرة بترميز الرسائل...

وبحسب باحثين أميركيّين، فبينما كانت أجهزة المخابرات البريطانيّة والفرنسيّة والروسيّة وغيرها قد تمّ اختراقها مرّات عدّة تكرارًا ومرارًا، نجد أنّ لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة سجلاً طيّبًا من الحماية لأسرارها ضدّ الأعداء. إلاّ أنّه حينما نتحدّث عن اختراق الصحافة والصحافيّين الأميركيّين لجهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، نجد أنّ ذلك السجلّ ملطّخ بسبب الفشل في إخفاء أسرار الوكالة عن الصحافة.

وفضلاً عن الجاسوسيّة والجاسوسيّة المضادّة، نجد أنّ ضبّاط الجهاز السريّ الاستخباريّ في الخارج له مجموعة متنوّعة من المسؤوليّات. وبعض من المهام يتمّ أداؤها يوميًّا وتتّصف في غالبيّتها بأنّها ذات طبيعة رتيبة مملّة. وحينما يقوم ضبّاط المخابرات بهذه الأعمال النظاميّة، نراهم يشتكون من أنّ رمز عملهم يجب أن يتغيّر من الأسلوب السريّ البوليسيّ إلى طابع الحاسب الآليّ أو المخبر الخاصّ. ومهام

جهاز المخابرات السريّة في الخارج وفي ما وراء البحار يتّصف بعضها بالتعقيد، وأحيانًا تكون مهلكة ومحفوفة بالمخاطر، وتتّخذ طابع الإثارة التي تميّزت به مغامرات "جيمس بوند".

كانت عمليّات الـ KGB قد تفاقمت ضدّ الولايات المتّحدة الأميركيّة خاصّة في المجال الإلكترونيّ، حيث تمكّن رجال المخابرات الروسيّة من زرع أجهزة مراقبة وترصّد في أحد أبراج السفارة الأميركيّة في موسكو. وكان موقع ذلك البرج الجويّ مجاورًا لمبنى شقق سكنيّة سوفياتيّة مزوّد بنفق يؤدّي من إحدى غرف المراقبة إلى البرج الجويّ للسفارة الأميركيّة، وقد تمكّن رجال أمن المخابرات المركزيّة الأميركيّة من اكتشاف جهاز التنصّت.

وأكثر المهام حرجًا لجهاز المخابرات السريّة في الخارج تلك التي تتطلّب براعة وحذرًا، وهي التي يحتاج فيها المخبر أو المخبرة إلى استخدام الغطاء غير الرسميّ أو القنوات غير المعتمدة في الإرسال والاستقبال.

ويتمتّع بعض ضبّاط جهاز المخابرات السريّة بالغطاء السريّ مثل الموظّفين في بعض مؤسّسات الولايات المتّحدة الأميركيّة في الخارج. فإذا ألفوا أنفسهم قد وقعوا في الاضطرابات بسبب التصرّف غير المحسوب أو سوء الحظّ فإنّ جوازات سفرهم الرسميّة تحميهم. وفي أسوأ الظروف، في حال ضبطهم، فإنّهم يُعتبرون أشخاصًا غير مرغوب فيهم ويتمّ ترحيلهم إلى بلادهم. أمّا الضبّاط السريّون غير الموظّفين رسميًّا في إحدى المؤسّسات الأميركيّة في الخارج فلا يتمتّعون بمثل هذه الحماية. فإذا ألقي القبض على أحدهم يصبح عرضة للإعدام وفقًا للقوانين المحليّة المعمول بها في البلد الذي يُقبض عليه فيه. وحينذاك لا تستطيع الحكومة الأميركيّه نجدته، وكذا السفارة الأميركيّة لا تستطيع إنقاذه، لأنّهما، لو فعلا، لكان ذلك دليلاً يؤكّد على أنّ ذلك

الأميركيّ المقبوض عليه، إنّما هو، في الواقع، عميل لجهاز المخابرات السريّة الأميركيّة.

وفي بعض المواقف يتعيّن على العاملين بالجهاز السريّ الاستخباريّ في ما وراء البحار أن يتفاعلوا مع التطوّرات غير العاديّة وغير المتوقّعة التي تستدعي اتّخاذ القرار السريع والبراعة المعصومة من الخطأ أو العيوب. وإليك ثلاثة أمثلة على نشاط ضبّاط الحالة التابعين لجهاز المخابرات السريّة الأميركيّة في ما وراء البحار، وكلّها وقعت في أميركا اللاتينيّة.

عُلم، في إحدى محطّات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة أنّ اجتماعًا على وشك أن يُعقد بين أحد ضبّاط جهاز المخابرات السوفياتيّة أو لجنة أمن الدولة السوفياتيّة، وهو من السفارة السوفياتيّة المحليّة في تلك الدولة، وبين أحد جواسيس الـKGB، وتقرّر أن يتمّ اعتراض ذلك اللقاء. وقام أحد ضبّاط المخابرات المركزيّة الأميركيّة بالتنكّر في زيّ أحد الرعايا الروس للقاء العميل المحليّ والتعرّف منه على تفصيلات العلاقات بين السفارة السوفياتيّة والحزب السياسيّ للعميل. واقترب رجل المخابرات المركزيّة الأميركيّة من العميل شارحًا له، باللغة الروسيّة، أنّ اتّصالاته المعتادة والدوريّة بالـKGB سيّئة الإجراء. وليكتمل الإيهام بأنّ السيناريو واقعيّ، قام أحد ضبّاط الحالة التابعين لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بلعب دور السائق الروسيّ المتواجد في كلّ مكان، منتظرًا خلف عجلة إحدى السيّارات المجاورة. وكان ثمّة تبادل للمال والوثائق ومحادثة طويلة. وحينما انتهى اللقاء قال العميل لضابط وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة: "لقد عملت لصالح الـ KGB لمدّة ستّ سنوات، وأنت تُعتبر أكثر ضبّاط هذا الجهاز كفاءة من بين الذين حدث لي أن قابلتهم"...

وفي إحدى دول أميركا اللاتينيّة الأخرى، كان من الضروريّ لفريق مكوّن من أربعة أشخاص تابع لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وكلّهم ضبّاط حالات، أن يقوموا باختراق سريّ للحصول على فرصة للاطّلاع على مكاتب إحدى الدول الأجنبيّة المعادية. وتقرّر أن يتخفّى أعضاء الفريق في زيّ فنّيّين كهربائيّين. وقد أدّى ذلك إلى ظهور مشكلة حيث أنّ إحدى الضبّاط بالفريق التابع للوكالة المركزيّة كانت امرأة، وليس هناك نساء يقمن بالعمل كفنيّ كهربائيّ في أميركا اللاتينيّة. وبناء عليه، تمّ التمويه وتنكّرت امرأة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في هيئة رجل فأضحت كالرجال تمامًا خاصّة وأنّها أثبتت شاربًا كثيفًا على وجهها.

ولقد زعمت صحيفة "إزفستيا" السوفياتيّة عام ١٩٨٠ أنّ اثنين من الدبلوماسيّين الأميركيّين اللذّين كانا بالفعل من ضبّاط المخابرات المركزيّة الأميركيّة قاما بزرع جذع الشجرة الوهميّة بالقرب من إحدى المؤسّسات العسكريّة السوفياتيّة. ويُفترض أنّ جذع الشجرة يحتوي على جهاز للتجسّس الإلكترونيّ. ولم تذكر الصحيفة أيّ تاريخ للحادث، إلاّ أنّها أوردت اسم الدبلوماسيّين وهما "ويثربي" و"كوربين".

وفي سنة ١٩٧٥ عثر "جورج ماثيو" من الحزب الشيوعيّ البريطانيّ على جهاز للتنصّت وقطعة خشب مصنّعة على شكل علبة تحتوي على الجهاز. وقد تعرّضت كلّ من وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وجهاز المخابرات البريطانيّة للّوم والاتّهام بأنّهما وراء ذلك. وكان "ماثيو" يعتقد أنّ الجهاز تمّ تركيبه عام ١٩٤٨، وهي آخر مرّة تمّ فيها تجديد المبنى. ويتكوّن الجهاز من بطّاريّة صغيرة وحقيبة معدنيّة، وكان لا يزال يعمل حينما تمّ اكتشافه.

ثلاثة نجاحات كبرى للعمل السريّ

في سنة ١٩٥٣ وافق الرئيس الأميركيّ "أيزنهاور" على عمليّة لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة للقضاء على رئيس وزراء إيران محمّد مصدق وإبعاده عن السلطة بسبب عدائه الذي هدّد المصالح الأميركيّة والبريطانيّة على الرغم من حقيقة أنّ الشاه الصغير كان مؤيّدًا لأميركا. وأثناء فترة من الشغب استخدم أحد ضبّاط وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وكان يُسمّى "كيرميت روزفلت" وضبّاط الحالات من مرؤوسيه التابعين لجهاز المخابرات السريّة بالإضافة إلى عملائهم الإيرانيّين، استخدموا المكر والمكيدة وقوّة الأعصاب والمال للشروع في بداية النهاية، إذ قاموا بإثارة أعمال الشغب وتنظيمها. فقام المتظاهرون المأجورون بالمال، يتقدّمهم في الطليعة عدد ضخم من رافعي الأثقال الإيرانيّين، بالسيطرة على الجلبة والهرج والشغب، وحوّلوه إلى تظاهرة سياسيّة ونصّبوا رئيس وزراء جديد. فهرب محمّد مصدق فارًّا وعاد الشاه إلى عرشه، ما حدا بالرئيس الأميركيّ "أيزنهاور" إلى الاعتقاد بأنّ العمليّة كلّها ما هي إلاّ خيال أو براعة من الطراز الأوّل.

وفي سنة ١٩٥٤ أصبح الرئيس "أيزنهاور" مهتمًّا بالنموّ المتزايد للاتّحاد السوفاتيّ في أميركا اللاتينيّة، وبخاصّة في غواتيمالا. فكان لا بدّ من عمليّة للوكالة المركزيّة على العمل الخفيّ السريّ. وكانت تلك العمليّة تقوم على أساس من سيناريو يستهدف جعل القوم يصدّقون ويؤمنون بما يُبثّ لهم، وذلك عن طريق الحرب النفسيّة والدعاية، إلاّ أنّها نجحت في جعل رئيس البلاد يؤمن بأنّه أصبح على قاب قوسَين من الإطاحة به. فقدّم استقالته فجأة وطلب حقّ اللجوء السياسيّ إلى السفارة المكسيكيّة ومعه مئات عديدة من مستشاريه الذين كان بينهم شاب أرجنتينيّ يدعى "غيفارا". وفي اجتماع

لاحق للبيت الأبيض التفت الرئيس "أيزنهاور" إلى "آلن دالاس" قائلاً: "أشكرك يا مستر آلن، لقد خلّصتنا من رأس الحربة السوفياتيّة في وسط أميركا".

ولعبت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة عل مدى عقد ستّينات القرن العشرين دورًا كبيرًا في إعاقة جهود "فيديل كاسترو" عن تصدير ثورته عن طريق تحريك القوّات الكوبيّة إلى أميركا اللاتينيّة وأفريقيا والشرق الأوسط. ويرجع الفضل، أساسًا، إلى برنامج وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في إفشال مساعي "كاسترو" في كلّ مكان بدءًا من الكونغو حتّى بوليفيا.

أمّا في حالة رئيس تشيلي الأسبق "سلفادور ألليندي" فإنّه على الرغم من الاعتقاد بأنّ الإطاحة به كانت عمليّة نفّذتها وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، إلاّ أنّ الدلائل الحاليّة وآخر البراهين تثبت أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لم تتورّط في هذه الإطاحة.

ثلاث عمليّات كبرى فاشلة للعمل الخفيّ

عام ١٩٥٦، وصل إلى الرئاسة في أندونيسيا الرئيس "سوكارنو" الذي تضخّمت سلطاته وحكمه الشموليّ ونفوذه في أعقاب تأسيسه لسياسة أسماها "الديمقراطيّة الموجّهة". وانزلق "سوكارنو" نحو اليسار السياسيّ وأقام علاقات مع الشيوعيّين في الداخل والخارج. ووقعت عمليّة كبرى للعمل السريّ عام ١٩٥٧ حينما ساندت الوكالة المركزيّة مجموعة من الضبّاط المنشقّين برتبة كولونيل، وكانت تلك العمليّة أوّل عمليّة كبرى للعمل الخفيّ تؤول إلى الفشل وتنهار إذ تمّ إسقاط طائرة أميركيّة وسجن طيّارها بأمر من "سوكارنو". إلاّ أنّ وكالة المخابرات المركزيّة

الأميركيّة لم تتعرّض لانتقادات الصحافة ولا الكونغرس لأنّ تلك العمليّة بقيت طيّ الكتمان ونُفّذت بسريّة تامّة.

وكان ثمّة سرّ ضئيل عام ١٩٦١ حول خليج الخنازير، وكانت العمليّة الأسواء من حيث الفشل والإخفاق التامّ في تاريخ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. وكانت الخطّة الأصليّة التي أقرّها الرئيس أيزنهاور ونفّذتها المخابرات المركزيّة على عهد الرئيس كينيدي، تدعو إلى تدريب حوالي مئة كوبيّ تقرّر أن يعودوا إلى الجبال الكوبيّة وهم يحملون أسلحتهم الخاصّة. وتمّ تنفيذ وإجراء هذه العمليّة لصالح المجهود العسكريّ الكبير الداعي إلى تكوين لواء قوامه ١,٤٠٠ رجل وفصيلة من الدبّابات. وقد تحوّلت الوكالة إلى كارثة في أعقاب قرار الرئيس كينيدي، لأسباب سياسيّة، بضرورة إلغاء الخطط الخاصّة بتزويد الرجال بالغطاء الجويّ ليتمكّنوا من تنفيذ عمليّة الغزو.

وفي عام ١٩٧٠ عانت أجهزة المخابرات السريّة من الهزيمة المنكرة حينما تعرّضت للفشل إحدى المحاولات لإعاقة تنصيب الرئيس الماركسيّ "سلفادور أللييندي" في تشيلي. وكانت فكرة الإطاحة بالزعيم التشيلي من تصميم الرئيس الأميركيّ "ريتشارد نيكسون" حيث قام باستدعاء "ريتشارد هيلمز[١]" رئيس وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وفاجأه بأمر تنفيذ العمل السريّ. ولقد امتدّ هذا الفشل أيضًا، إلى

---

١ ـ **ريتشارد هيلمز:** صحفيّ، وُلد ١٩١٣ بمدينة "سانت ديفيدز" بولاية بنسلفانيا، تمّ تكليفه بالعمل باحتياطي البحريّة التابعة للولايات المتّحدة الأميركيّة ١٩٤٢، خدم مع رجال مكتب الخدمات الاستراتيجيّة ورؤساء المكتب وخلفاء رؤساء المكتب ١٩٤٣ ـ ١٩٤٦، نائب المدير للتخطيط ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥، نائب مدير المخابرات المركزيّة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦، مدير المخابرات المركزيّة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٣، سفير الولايات المتّحدة الأميركيّة في إيران ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧، عضو اللجنة الرئاسيّة الخاصّة بالقوّات الاستراتيجيّة ١٩٨٣.

مجال العلاقات العامّة عام ١٩٧٣، إذ استطاعت العسكريّة التشيليّة خلع الرئيس "ألليندي" الذي توفّي في خلال الهجوم على مبنى الكابيتول في العاصمة سانتياغو. وعلى الرغم من استنتاج "لجنة الكنيسة" بأنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لم تكن المسؤولة عن ذلك الانقلاب العسكريّ الذي وقع عام ١٩٧٣، وبالرغم من أنّ معظم الناس حول العالم مقتنعون بأنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة غير مسؤولة عن هذه العمليّة، إلاّ أنّ الكثير من الأميركيّين يؤكّدون على مسؤوليّة الوكالة عن هذه الإطاحة. وساهم جهاز مخابرات الـ KGB في نشر ما من شأنه أن يسيء إلى وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة أو يضرّ بها.

العمليّات شبه العسكريّة

لقد واكبت عمليّة "خليج الخنازير" ذات الإخفاق التامّ نهاية المواجهات المرئيّة العلنيّة للحرب الباردة بين كلّ من المصالح الأميركيّة والسوفياتيّة. وعلى الرغم من امتدادها لحقبة طويلة من الزمن، إلاّ أنّ شمسها قد غربت وأفل نجمها إلى غير رجعة، وصارت من التاريخ.

وفي أحيان أخرى اتّخذ العمل الخفيّ لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة شكل المساندة العسكريّة "للجيوش السريّة" كما هي الحال في "لاوس" إبّان عهد حروب الولايات المتّحدة مع دولة فييتنام المجاورة.

إنّ مثل هذه العمليّة شبه العسكريّة يمكن أن تُعتبر "حربًا سريّة" بالنظر إلى تنفيذ الأهداف. وفي الوقت الذي يستحيل فيه على الحروب أن تكون سريّة، نجد أنّ تورّط

وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة فيها غالبًا ما يكون مكشوفًا، بالرغم من أنّه، في في بعض الأحيان، كانت ثمّة دلائل وبراهين ضئيلة تكفل دعم هذه القناعة.

وعلى سبيل المثال نجد، في أميركا الوسطى، أنّ الجيش السريّ لإدارة الرئيس "رونالد ريغن" المكوّن من قوّات الكونترا في نيكاراغوا، قد احتلّت عناوينه وأخباره أبرز المساحات في الصحافة ووسائل الإعلام بصفة مستمرّة.

وبالرغم من أنّ المناقشة بشأن العمل السريّ أو الخفيّ لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة تتّصف بالخلاف وتباين وجهات النظر، يبقى ثمّة دليل على أنّ الرؤساء الأميركيّين لن يستمرّوا في الاعتماد عليه عبر وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة طالما أنّ الصراع مع الاتّحاد السوفياتيّ قد تحوّل إلى انعطافة مغايرة عن سالف عهده. وهكذا نجد أنّه من غير المحتمل أن تتخلّى وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، في المستقبل، عن جهاز العمل السريّ والخفيّ في جمع الاستخبارات والمعلومات طوال الوقت، ثمّ القيام بتنفيذ العمل السريّ وبنوده في بعض الوقت.

وعلى صعيد آخر، فإنّ قائمة تحصر عمليّات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة يجب أن تشتمل على الدعاية والمساندة والدعم للأحزاب السياسيّة، وبعض الدول مثل غواتيمالا، وكوبا، وفييتنام، وسانتو دومينغو، وهكذا هلمّ جرّا.

على أيّ حال، ثمّة عمليّة تأمل وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بألاّ يتمّ تضمينها في ذلك الحصر بالقائمة، ففي السنوات المبكرة من عقد ثمانينات القرن العشرين، وضعت كلّ من الأجهزة الاستخباريّة في بريطانيا وفرنسا وأميركا، الخطط الكفيلة بالإطاحة بالعقيد الليبيّ معمّر القذّافي، لكنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة تراجعت وأصدرت أوامرها بعدم المضيّ قدمًا في التنفيذ.

وبإيعاز من الوكالة، نجد أنّ الصحافة الأميركيّة والأوروبيّة نشرت إعلانات باللغتَين الفرنسيّة والأميركيّة تحت عنوان "مطلوب الإرهابيّ الدوليّ كارلوس" ونشرت معلومات عنه كسنّه حيث قالت بأنّه من مواليد تشرين الأوّل ـ أكتوبر ١٩٤٩، في دولة فنزويلاّ بأميركا اللاتينيّة، وطوله يبلغ ٥,٩ أقدام، شعره بنيّ اللون، أجعد وكثيف وقصير. ثمّ استطردت معلومات الإعلانات قائلة إنّ جسمه ممتلئ بعض الشيء، ويتحدّث اللغات الإسبانيّة والعربيّة والروسيّة، ويحمل جواز سفر فنزويليًّا رقمه ٥٦ ـ ٤٩٨. أمّا الأسباب التي سيقت لكي تبرّر طلبه والقبض عليه فهي الشكوك القويّة في تورّطه، جزئيًّا، في محاولة اغتيال، وجريمة قتل، والابتزاز، والاختطاف، وانتهاك الحرمات، والتعدّي على أملاك الغير، والتجاوز إلى إيذاء الآخرين. والجهة الطالبة للإرهابيّ كارلوس هي المحكمة الإقليميّة في فيينّا، التي كانت قد صدرت تفويضًا وصلاحية تمكّنها من القيام بذلك والمحاكمة. كما طلبت الإعلانات إرشاد السلطات الفرنسيّة إلى مقرّ إقامته وموقعه. وحذّرت القوم من أن يكونوا حذرين في التعامل معه لأنّه خطير للغاية ولن يتردّد في إطلاق النار على من يشاء. وحثّ الإعلان أيّ شخص يصادف أن يعرف موقعه على أن يلقي القبض عليه فورًا، ومن ثمّ يبلغ المسؤولين والسلطات ليتّخذوا اللازم ضدّه. وتُثار أسئلة كثيرة عن اشتغال كارلوس بالعمل مع أجهزة المخابرات حول العالم. أمّا هالة الغموض التي أُحيط بها كارلوس فمردّها إلى الصحافة ووسائل الإعلام الغربيّة التي اعتُبرت المسؤولة عن تكوينها. كما أنّ ارتباط اسمه بالإرهاب الدوليّ جعل منه شخصيّة أسطوريّة، إلاّ أنّ الكثير من الحقائق التي تحيط به والغموض الذي يكتنف حياته سيتمّ الكشف عن ستارها في السنوات المقبلة.

"ديفيد آتلي فيليبس" وربع قرن من الخفاء

خدم "ديفيد آتلي فيليبس" في وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لمدّة خمسة وعشرين عامًا، وظلّ يرتقي وظائفها ومناصبها رويدًا رويدًا حتّى أضحى رئيسًا لعمليّات عموم أميركا اللاتينيّة. أسّس رابطة ضبّاط المخابرات السابقين في عام ١٩٧٥. حاضر بصفة دوريّة في عدد من المؤسّسات العلميّة والأكّاديميّات. له أربعة مؤلّفات في مواضيع مختلفة، ومؤلّف خامس عن المخابرات.

يقول "ديفيد آتلي فيليبس" إنّ الشروع في إحدى العمليّات الاستخباريّة يتمّ وفقًا لعدد من الأسباب، يبدأ الشطر الأعظم منها استجابة إلى ضرورة الوفاء بالمتطلّبات التي قد ينهض إليها رئيس الولايات المتّحدة الأميركيّة بنفسه، أو وزير الخارجيّة، أو ربّما أحد السفراء الأميركيّين الذين يعملون في نفس الحقل أو الوسط.

أمّا عن ضرورة أن يأتي التنفيذ وفقًا للتسلسل الهرميّ للقيادة، فإنّه يقول إنّ ذلك يعتمد على نوع المتطلّبات وطبيعتها، كالعمليّات الصغيرة التي تلائم وتناسب أحد البرامج المقرّرة، من مثل محاولة التصدّي لتدفّق المخدرات الصلبة إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة، وتعلّم ما يجب تعلّمه عن أجهزة المخابرات السريّة الأجنبيّة والمعادية. ومثل هذه الأشياء غالبًا ما يتمّ الشروع والبدء بها واتّخاذ المبادرة إليها في إطار الموافقة العامّة أو دولاب العمل الجاري في وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة نفسها.

أمّا في ما يتعلّق بالعمليّات الكبرى من النوع الذي نقرأ عنه في كتب التاريخ، فتنشأ أصلاً لأنّ رئيس الولايات المتّحدة الأميركيّة أو وزير الخارجيّة أو ربّما سفير

الولايات المتّحدة الأميركيّة في دولة معيّنة يُصدر أوامره للوكالة معلنًا أنّ الوقت قد حان لتنفيذ المهمّة المعيّنة...

ويقول "فيليبّس" إنّ العمليّات التي تضطلّع بها الوكالة ما هي إلاّ جزء وشطر من سائر عموم العمليّات الخفيّة التي تقوم بها المخابرات المركزيّة، إلاّ أنّ الإسم العامّ لمثل هذه العمليّات هو الأنشطة السريّة مهما كان نوع تلك الأنشطة.

ويضيف "فيليبّس" إنّ الغالبيّة الشاسعة من العمليّات تتعلّق بالمحاولات المبذولة من أجل تجنيد الناس لتزويد الوكالة بالمعلومات، وهي المحاولات التي تستهدف حماية مؤسّستنا الخاصّة ضدّ التسلّل والاختراق من جانب القوى الأجنبيّة. ونحن نقوم، كما يقول المدير السابق لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة "فيليبّس"، بالوفاء بالمتطلّبات والتكليفات التي يطالبنا بها الزعماء السياسيّون والقادة العسكريّون، ثمّ الإجابة عن عدد وافر ولا يُحصى من الأسئلة والاستجوابات وطلبات الإحاطة.

ويجب العلم أنّ معظم الاستخبارات المجموعة هي عديمة النفع والجدوى ذلك أنّ مرور الوقت وتطوّرات الأحداث تطوي أهميّتها ومغزاها فتصبح متقادمة غير ذات خطر. ومع ذلك يتمّ جمعها، لا لشيء، إلاّ لأنّها ربّما تكون ذات خدمة جليلة متى احتجنا إليها، كما أنّ الافتقاد إليها، في حينها، يمثّل أمرًا عظيمًا وخللاً كبيرًا.

ويقول "فيليبّس" إنّه، باستثناء العمل الخفيّ، نجد أنّ سائر أعمال المخابرات ربّما تكون أقلّ منه أهميّة شيئًا طفيفًا. إنّ العمل الخفيّ هو مفخرة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، لكنّه مع ذلك غير مأمون العواقب لأنّ المخاطر والمهالك تكتنفه وتحيط به. وفي زمن السلم، هذه هي الوكالة المركزيّة الوحيدة المفوّضة للقيام بإجراء العمل الخفيّ. أمّا في زمن الحرب، فإنّ أيّ شيء يمكن أن يضطلّع به أيّ فرد، أي أنّ سائر

العاملين وهيئاتهم بأجهزة المخابرات وفروعها، مكلّفون العمل لصالح أيّ جهاز من تلك الأجهزة جميعًا أو فرادى.

ويضيف "فيليبّس" إنّ من بين سائر الوكالات الاستخباريّة السريّة حول العالم، نجد أنّ جهاز المخابرات الإسرائيليّة "الموسّاد" الأكثر عدوانيّة... ويقول: "نحن نذكر عمليّات "الموسّاد" والانقلابات مثل الغارة على "عنتيبى" حينما استعادوا أهلهم من حالة الاختطاف في أفريقيا. وهم جيّدون، وهم يشعرون بضرورة الإجادة في عملهم لأنّهم بحاجة ليكونوا خشنين كأمر للبقاء والحياة"... ولا يأتي فيليبس على ذكر إرهاب الدولة الذي تقوم به الموساد..

أمّا بشأن المخابرات البريطانيّة، فيقول إنّه من وجهة النظر الأدائيّة، يجب أن تُعطى أسوأ الدرجات بسبب سوء الحظّ الذي عانوه حينما اخترق جهازهم العاملون في الظلام والجاسوسيّة المضادّة. ومهما يكن نجد أنّ المخابرات البريطانيّة جيّدة جدًّا في ما يتعلّق بالاستخبارات الاقتصاديّة، التي هي أمر هامّ للغاية في بعض الدول دون البعض الآخر.

أمّا المخابرات السوفياتيّة فلديها جهاز جيّد نوعًا ما للاستخبارات، وبذلك تُعدّ واحدة من أفضل أربعة أجهزة تعمل في العالم الآن. (ذلك كان قبل انهيار الاتّحاد السوفياتيّ وتفكّكه). ثمّة قوم كثيرون يعملون لصالح جهاز المخابرات السوفياتيّة المعروفة باسم الـ KGB، أو لجنة أمن الدولة ـ وهي بمثابة جهاز واحد من أجهزة المخابرات السوفياتيّة ـ عن هيئات العاملين في باقي أجهزة المخابرات حول العالم.

وأعتقد، كما يقول "فيليبّس"، أنّ جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة يأتي في المرتبة الأولى أي أنّه الأفضل حتّى أواسط سبعينات القرن العشرين في العالم قاطبة. وبالتأكيد فهو، حتّى الآن، يحظى بأطيب تاريخ من الحماية لنفسه ضدّ

الاختراقات والتسلّلات المعادية. وعلى الرغم من شتّى القصص التي نراها أو نسمعها مؤخرًا، إلاّ أنّها لا تزال تعتبر اختراقات وعمليّات تسلّل ذات مستوى منخفض نسبيًا. أمّا جهاز المخابرات الكونيّة الذي يبلغ ٢٥ عامًا تقريبًا، فهو يرقى باضطراد وسريعًا، ولقد تحسّن بدرجة عظمى منذ الأيّام الأولى له حيث كان عملاؤه ومشغلوه موضع السخرية والاستهزاء من جانب الجاليات الأجنبيّة بالخارج، حيث كانوا يحرصون على أن يظهروا في الحفلات والمحافل الدبلوماسيّة وهم يضعون في جيوبهم الخلفيّة المسدّسات من عيار ٤٥.

وثمّة صلات تحت الأرض بين تلك الأجهزة وبعضها البعض حول العالم، وكلّها تحاول أن تنتزع من غيرها ما تستطيع من أمجاد ومن إنجازات أو الاستيلاء على ما بيدها من تقنيات ووسائل متقدّمة أو معقّدة للحصول على المعلومات، ثمّ تصويب السلاح المسلوب في صدرها، مرّة ثانية، متى اقتضت الحاجة والظروف والمصالح ذلك، وبلا تردّد أو إحساس بالتألّم أو الذنب أو تأنيب الضمير.

دورة المخابرات

وفقًا لمصطلحات اللغة المهنيّة، هناك إجراء باسم "دورة المخابرات". تبدأ هذه الدورة مع مجرّد الحصول على المعلومات. وهذا يتمّ إنجازه عبر الوسائل التقنيّة التي تتراوح بين الصناديق السوداء الصغيرة، وبين الكاميرات ذات الارتفاع العالي، إلى استخدام العملاء البشريّين. وفي خلال هذه الدورة، ثمّة شيئان هامّان وأساسيّان، هما معرفة أيّ شيء عن النوايا والقدرات، وهذان الشيئان هما ما تتطلّبهما أيّ عمليّة استخباريّة تستهدف الحصول على المعلومات، كما يقول السيّد "فيليبّس. أمّا عن القدرات فهي، على سبيل المثال، معرفة عدد الصواريخ التي يملكها الفرنسيّون. أمّا النوايا فهي معرفة الشخص الذي يعتزم استخدامها. ولو عكف العميل على تدبّر هذَين الأمرَين لاكتشف أنّ أيّ شيء للاستخبارات ينتهي في آخر الأمر إلى القدرات والنوايا. وفي حقل العمل في ما وراء البحار، يتمّ عادة صياغتهما إلى نوع ما من الشكل ذي المعنى، أي أنّه، في حال إذا كانت المعلومات تتعلّق بمعلومات أخرى حصل عليها أيّ فرد آخر، فماذا تكون الحال عليه. ويُطلق على هذا الفرد اسم "ضابط التقارير"، الذي يقوم بإعداد المادّة.

في واشنطن تتطلّب "دورة المخابرات" نشر ونثر هذه المعلومات على كافّة المهنيّين الذين ربّما يكونون قادرين على المساهمة قدرًا معيّنًا في المنتج النهائيّ. وهذه المعلومات تتطلّب أوّلاً مشاركة أو الاستعانة بالمحلّلين وبخبراء المناطق المحنّكين في مناطقهم الجغرافيّة أو في مناطق العمل الطارئة، والذين بوسعهم أن يتناولوا هذه

المعلومات وينقّحوها أكثر فأكثر. والخطوة التالية هي توزيع هذه المـادّة علـى الزبـائن الذين ربّما يكونون رجالاً عسـكريّين فـي وزارة الدفـاع الأميركيّـة، أو رجـال السياسـة سواء في البيت الأبيض أو مجلس الأمن القوميّ. وربّما كانت هذه المعلومـات مطلوبـة بإلحاح رهيب، وتتعلّق بحرب محتملة أو شـيء مـا مـن هذا القبيـل والخطـورة. وهـي تعني أنّ الرئيس الأميركيّ سوف يتمّ إيقاظه من النوم في وسط الليـل مـن جـانب أحد مدراء وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الذي يطرق الباب الأماميّ للبيت الأبيـض. أو ربّما تتّخذ شكل التوزيع في أحد منشورات وكالـة المخـابرات المركزيّـة الأميركيّـة مثل "جريدة المخابرات القوميّة اليوميّة" التي هي جريدة صغيرة، إلاّ أنّ كافّة القصـص الإخباريّة التي تتضمّنها سريّة، كما أنّ جميع الصور الفوتوغرافيّة غير عاديّة.

ويضيف "فيليبّس" أنّ أداء وكالة المخـابرات المركزيّـة الأميركيّـة قبيـل السـبعينات كان رائعًا. أمّا في المرحلة التي أعقبت الاضطرابات التي أصابت مجتمـع المخـابرات في أواسط السبعينات، حيث كانت هناك ثمانية لجان إشرافيّة للمراقبة علـى المخـابرات الأميركيّة داخل الكونغرس. لكنّ كثرة عدد اللجان لم تُصلـح شيئًا ممّـا كـانوا يعتقـدون أنّهم بصدد إصلاحـه، حيث أنّ كثرة تلك اللجـان استتبعتها كثرة الأعضـاء والأفـراد العـاملين فيهـا. أمّـا الآن فهنـاك لجنتـان إشـرافيّتان فقط فـي الكونغـرس علـى وكالـة المخـابرات المركزيّـة الأميركيّـة، إحداهمـا تابعـة لمجلس الشـيوخ والأخـرى لمجلـس النوّاب، وهما المجلسـان اللذان يتكوّن منهمـا الكونغرس، وبنـاء عليـه أصبحت إدارة شؤون المخابرات جيّدة وناجحة.

وحتّـى الآن، هنـاك مشكلات لجهاز المخـابرات المركزيّـة الأميركيّـة تتجسّد فـي عمليّات التسريب، الذي يبدو أنّه تمّ عن طريق الكونغرس الأمـيركيّ مـن خـلال لجـان الإشـراف السـالف الإشـارة إليهـا، أو مـن البيـت الأبيض أو مـن أجهـزة المخـابرات

الأميركيّة نفسها. ويستطرد السيّد "فيليبّس" قائلاً إنّه يبدو أنّ القوم يعتقدون بوجود أسباب سياسيّة وراء عمليّات التسريب هذه. وهذا هو السبب في أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لا يمكن أن تكون في نفس قوّتها السابقة...

هذا الموقف من الحوادث المستمرّة حيث تضيع الأسرار والعمليّات يؤدّي إلى معنى هو في المقام أو الشقّ الأوّل: تردّد الحلفاء في العمل مع وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة خشية ضياع أسرارهم ومعلوماتهم التي جمعوها بالمشقّة؛ والشقّ الثاني يتجسّد في أنّ العملاء المحتملين في المستقبل يتردّدون في العمل لصالح الوكالة المركزيّة، لأنّ ثمّة مخاوف متفاقمة تنتابهم بشأن كشف هويّاتهم وشخصيّاتهم على الملأ. والشقّ الثالث هو المخاوف التي تسيطر على المسؤولين الأميركيّين الذين يعملون في إطار الوكالة، وتلك المخاوف تثير لهم مشكلات تتعلّق بالأخلاقيّات. ولك أن تتصوّر ذلك حيث يعملون بمشقّة وجهد لإنجاح إحدى العمليّات ثمّ يجدون أنّها تسرّبت للجمهور أو للصحافة أو لأجهزة الدولة الأخرى، أو لوسائل الإعلام، بصفة عامّة، ما يؤدّي إلى شعورهم بأنّ ثمّة فشلاً قد تمّ على الصعيد الداخليّ للوكالة، قوامه تسرّب المعلومات لأسباب ضعف الأمن فيها.

وعلى سبيل المثال، هناك عمليّة اشتركتُ فيها شخصيًّا ـ أي فيليبّس ـ وكانت تتعلّق بتسلّم أحد المنشقّين. والقوم يُدهشون عندما نخبرهم بأنّ المنشقّين والغالبيّة العظمى منهم يعودون إلى بلادهم عاجلاً أم آجلاً. وفي مدينة "ميكسيكو" في أوائل ستّينات القرن العشرين، دخل أحد المنشقّين على جهاز المخابرات الكوبيّ، وهو المدير العام له، إلى السفارة الأميركيّة حيث كنت أعمل هناك. وعهد المسؤولون لي ولأحد الضبّاط الآخرين بالقيام بالمهمّة. منذ أوّل وهلة تأكّد لنا فيها أنّه ضابط مخابرات كوبيّ. لذلك جلسنا طوال الليل نتحدّث مع هذا الرجل ونوجّه له الأسئلة، وكان ذلك أمرًا ضروريًّا

لأنّه كان أوّل منشقّ على جهاز المخابرات الكوبيّة، وهي الخدمات الاستخباريّة العجيبة التي لا نعلم عنها شيئًا. ولكن، في أثناء تلك الليلة، تذكّرت الكلمات التي قالها لي رئيسي حينما ذهبت للقاء ذلك المنشقّ، قال: تذكّر أنّ المنشقّ ما هو إلاّ شخص ارتكب من فوره عمليّة انتحار عاطفيّ ويجب التعامل معه بعناية فائقة. وبتدبّر هذه النصيحة قرّرت إخراج هذا المنشقّ من "ميكسيكو سيتي" إلى الولايات المتّحدة على أوّل طائرة متوافرة. وكان هذا في وقت مبكر جدًّا من الصباح، وبناء عليه ذهبت، أنا وضابط آخر مع ذلك الرجل في سيّارة أقلّتنا إلى المطار للحاق بالطائرة. وفجأة وعلى حين غرّة، صرخ الرجل في أواسط المدينة "أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك، لا أستطيع أن أفعل ذلك". ثمّ قفز من السيّارة وهرب في الشوارع متّجهًا إلى السفارة الكوبيّة، التي كان قد زارها سابقًا، إلاّ أنّه هرب من دون حقائب أمتعته التي كان قد جلبها معه حينما انشقّ.

لقد تمكّنا من إرسال رسالة إليه داخل إحدى الحقائب الجديدة التي أرسلناها إليه في السفارة. وكانت تلك الرسالة تقول: "لماذا تفعل ذلك؟ أنت لن تعيش لو عدت أدراجك إلى كوبا. يتعيّن عليك ألاّ تفعل ذلك، وعندما تذهب إلى المطار ستكون لك فرصة أخرى للانشقاق والفرار".

بعد يومَين، رافقه إلى المطار كلّ من السفير الكوبيّ ورئيس محطّة المخابرات الكوبيّة، وكنت واقفًا هناك حينما مرّوا أمامي ونظر إليّ وتعرّف عليّ، فهزّ رأسه ومشى وركب الطائرة المتّجهة إلى كوبا. وبعد أسبوعَين، قرأنا نبأ موته في صحيفة كوبيّة. وساقت الصحيفة أخبارًا عن أنّه كان متواجدًا في ساحة قتال بالأسلحة الناريّة بين أحد رجال الشرطة وأحد المسلّحين في أثناء عمليّة سطو على أحد المصارف، وكان قد أُصيب بطلق ناريّ في رأسه أودى بحياته. ويستطرد "فيليبّس" المدير الأسبق لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة قائلاً إنّ موت ذلك المنشقّ كان، بكلّ بساطة،

عمليّة اغتيال ينبغي تنفيذها بأحد المنشقّين الخونة... وبناء عليه، كان هـذا أحد الأمثلـة على عمليّة استخباريّة قامت بها وكالة المخابرات المركزيّـة الأميركيّـة وبـاءت بالفشل لأنّ الكوبيّ رفض أن يبقى منشقًّا. ومع ذلك، عرفنا في ليلـة واحـدة الكثـير عـن جهـاز المخابرات الكوبيّ، أكثر ممّا كنّا نعلم طيلة السنوات الماضية. إنّنا نتحدّث عن العمليّات والأساليب التي بمقتضـاها نحصل على المعلومات، وكذلك تجنيد الجواسيس والمنشـقّين والمنشقّين المعادين، والعمل السريّ.

مجتمع المخابرات

يُعد مدير وكالة المخابرات المركزيّة مسؤولاً عن تنسيق الاستخبارات الواردة من شتّى الأجهزة والأقسام، وهي التي تشكّل، في مجموعها، "مجتمع المخابرات". كما يُعدّ المدير كذلك، مستشارًا للرئيس الأميركيّ ومجلس الأمن القوميّ في كافّة الشؤون والمواضيع المتعلّقة بالأمن القوميّ. فهو رئيس وكالة المخابرات المركزيّة وباقي أجهزة وأقسام وفروع المخابرات داخل "مجتمع المخابرات".

وكالة مخابرات وزارة الدفاع الأميركيّة

تقوم وكالة مخابرات وزارة الدفاع الأميركيّة بإعداد الاستخبارات الأجنبيّة الخارجيّة والمخابرات المضادّة من أجل وزارة الدفاع أو البنتاغون، وأركان الحرب المشتركة، والقيادات العسكريّة الموحّدة والنوعيّة، فضلاً عن الوكالات الأخرى المزوّدة بالسلطات. وتُعتبر جميع أجهزة المخابرات العسكريّة مسؤوليّة بشكل مباشر أمام هذه الوكالة. وكلّ من الأجهزة الأربعة له سلاح المخابرات الخاصّ به. ولكلّ منها احتياجاته ومتطلّباته من الاستخبارات. وتقوم وكالة مخابرات وزارة الدفاع الأميركيّة بالتنسيق بين كافّة إسهاماتها.

ومن بين مسؤوليّات وكالة مخابرات وزارة الدفاع الأميركيّة تكليف وتعيين الملحقين العسكريّين في سفارات الولايات المتّحدة حول العالم. ويُعتبر الملحقون العسكريّون لوزارة الدفاع، وهم عبارة عن كبار الضبّاط بأيّ جهاز من أجهزة المخابرات الأربعة، دبلوماسيّين عسكريّين. أي أنّ الاشتراط الأساسيّ في اختيار

الملحق العسكريّ الأميركيّ بالسفارة الأميركيّة في الدولة الأجنبيّة هو أن يكون أحد كبار ضبّاط مخابرات الجيش الأميركيّ.

وفي الوقت الذي لا يتورّطون فيه في أيّ أعمال غير قانونيّة أو غير مشروعة، فإنّ لهؤلاء الدبلوماسيّين العسكريّين هدف رئيسيّ هو استكشاف القدر الأعظم، كلّما أمكن، من المعلومات التفصيليّة عن المؤسّسات العسكريّة في الدولة التي يقيمون فيها. ويقومون بإجراء الاتّصالات مع الوحدات العسكريّة المحليّة والحصول على جميع المعلومات التي تفيد، في حالات نشوب الحرب، عن الجيوش الأجنبيّة.

كما تتّضح طبيعة دورهم، وضوحًا تامًّا، في أوقات الحروب، أو إبّان المواقف الحرجة المصاحبة لزمن السلم. عندئذ يخلع الملحقون العسكريّون دورهم السلبيّ ويُصبحون نشطين ومستغرقين في أنشطة الاستخبارات الخفيّة لأجهزتهم من وكالات المخابرات الأميركيّة.

وفي نفس الوقت نجد أنّ الملحقين العسكريّين الذين ينتمون إلى شتّى الدول يفضّلون أن يقلّصوا ويقلّلوا، إلى الحدّ الأدنى، أنشطتهم في أعمال المخابرات، إلاّ أنّ أنشطتهم السريّة في الاستخبارات معروفة على نطاق واسع. ومن الشائع قبول، على سبيل المثال، فكرة وحقيقة أنّ الاتّحاد السوفياتيّ، قبيل تفكيكه وجهاز مخابراته العسكريّ، كان يستخدم بصفة عامّة وظيفة الملحقين العسكريّين كستار وغطاء يموّه هويّة وحقيقة أمر العملاء السريّين.

وهكذا، ما أكثر ما يُرتكب في حقّ البلدان من تجاوزات متعلّقة بالمخابرات، تحت حجج ووظائف ذات تسميات برّاقة مثل "الملحق العسكريّ لدولة كذا بسفارتها في بلد كذا...".

وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة

أقلّ القليل من بين سائر المنظّمات السريّة المعروفة عن وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة، إلاّ أنّها، مع ذلك، أقواهم جميعًا وأشدّهم بأسًا، حيث تتمتّع بالمسؤوليّة الكاملة عن سائر أنشطة أمن اتّصالات الولايات المتّحدة قاطبة، وكذا عن تطوير وتطوّر تقنيّات معلومات المخابرات الخارجيّة.

أمّا برنامج الوكالة للأبحاث والتطوير فقد أحرز تقدّمًا هامًّا في حقل أدوات وأجهزة الاتّصالات المتخصّصة. ولقد مثّل بعض هذه الإنجازات فتوحات ذات شأن في العالم التجاريّ برمّته، وكذلك في الحقول والمجالات المتخصّصة في أمن وتأمين الاتّصالات والاستخبارات.

أمّا معامل وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة، بالقرب من مدينة "بالتيمور" في ولاية "مريلاند" الأميركيّة بالشمال الشرقيّ، فقد قامت بإنتاج أوّل جهاز كومبيوتر على نطاق واسع، وأوّل كومبيوتر للأجسام الصلبة ـ الجوامد ـ أو المجسّمات. كما يُعتبر مركز معالجة البيانات والحواسب التابع لها، واحدًا من أوسع المراكز وأكبرها حول العالم. أمّا فنّ الشيفرة أو الكتابة بالشفرة وتنمية الشفرات والأكواد والترميز فهو وظيفة رئيسيّة من بين وظائف وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة. فضلاً عن أنّ أنظمة الشيفرة المعقّدة على نحو متزايد التي يتمّ اختراعها وابتكارها واختبارها علميًّا من أجل بثّ الاستخبارات والمعلومات الحسّاسة، فهي كذلك من بين المهام التي تضطلّع بها الوكالة الأميركيّة المذكورة.

تشمل الأنشطة السريّة لوكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة في حقل المخابرات الخارجيّة جمع المعلومات والاستخبارات ثمّ معالجتها، وبثّ وإرسال المعلومات المأخوذة من الشيفرات إلى الرئيس الأميركيّ وصانعي القرار السياسيّ

المعتمدين في الحكومة الفدرالية، بما في ذلك أجهزة المخابرات العسكريّة. وتقوم أيضاً بمعالجة المعلومات الخاصّة بأغراض المخابرات المضادّة، وتزوّد العمليّات العسكريّة بالدعم المتمثّل في الاستخبارات والمعلومات المأخوذة من فكّ رموز الشيفرات، وتقوم ببناء العلاقات القائمة على الاتّصالات السريّة بالشيفرات الخارجيّة، لأغراض أجهزة المخابرات بالداخل.

وفي حقل المخابرات الخارجيّة، تلتزم وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة بالسياسات التي يصوغها مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. وعلى الرغم من أنّها تعمل بالتعاون الوثيق مع جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، إلاّ أنّها عبارة عن وكالة أو جهاز للمخابرات، يتبع وزارة الدفاع الأميركيّة أو البنتاغون الأميركيّ.

إنّ وكالة الأمن القوميّ التي تحاط بالسريّة التامّة والخفاء البالغ تختلط في اسمها مع مجلس الأمن القوميّ الأميركيّ، حيث ينصرف الذهن إلى الاعتقاد بأنّها جزء من مخابرات الجيش. وتُعتبر وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة أكثر أجهزة وكالات مخابرات الولايات المتّحدة سريّة ومبالغة في التخفّي لأسباب هي، أنّه على مدار السنوات الطويلة، تمّ تحقيق الكثير من الاختراقات للمخابرات الخارجيّة قامت بها الأجهزة المعادية عن طريق فكّ الأكواد والرموز والشيفرات، وليس عن طريق اختراق العملاء البشريّين.

إنّ وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة تقوم بتطوير وتنمية حركة الاتّصالات الخطيّة واتّصالات الشيفرات والأكواد، وهي في نفس الوقت مسؤولة عن أمن وأمان وسلامة كلّ هؤلاء، كما تقوم باعتراض ومحاولة فكّ وتكسير شيفرات وأكواد أجهزة المخابرات الأخرى.

فضلاً عن ذلك تضطّلع وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة بتطوير بعض أجهزة الحواسب الآليّة في أطوارها الأولى. وتقوم بتشغيل وتكليف كبار العلماء الأميركيّين في الرياضيّات والفيزياء واللغات والرجال المتخصّصين في "المهارات العقليّة والفكريّة".

وتتعهّد وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة كذلك بصيانة وتشغيل محطّات التنصّت والاستماع حول العالم، وهي لهذه الأسباب، كانت هدفًا هامًّا للغاية تسعى أجهزة المخابرات المعادية إلى اختراقه وكشف أسراره. كما كانت هدفًا للجاسوسيّة السوفياتيّة قبيل انهيار الاتّحاد السوفياتيّ وتفكّكه. ولعلّ خطورة هذا الجهاز بالذات هي التي جعلت تلك الأجهزة الاستخباريّة الأجنبيّة تسعى، بشتّى الوسائل، لاختراقه والتنصّت عليه وكشف غموضه ووضع أيديها على عجلة دولاب العمل بداخله، وعدد العاملين فيه ومؤهّلاتهم وقدراتهم، وهيئة موظّفيه، بأكثر ممّا تحاول أن تفعله مع جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. وهذا لا يعني أنّ جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ليس هدفًا حيويًّا لأجهزة المخابرات الأجنبيّة والمعادية، إلاّ أنّ الهدف الأكثر خطورة وأهميّة هو: وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة.

جهاز مخابرات الجيش الأميركيّ

يعمل داخل جهاز مخابرات الجيش الأميركيّ هيئة قوامها ٤٠,٠٠٠ من العاملين. وبينما تكاد تقتصر تكنولوجيا الأقمار الصناعيّة وعلم الشيفرة وفكّ رموز الكود على أجهزة مخابرات سلاح الجوّ والبحريّة التابعين للولايات المتّحدة الأميركيّة، نجد أنّ جهاز مخابرات الجيش الأميركيّ وجهوده في جمع المعلومات والاستخبارات تضع، في أولويّات أنشطتها، كشف المصادر العسكريّة وقدرات وقوّة الأسلحة، وسعة ومدى

وتعداد وأنشطة التسلّح بالجيوش الأخرى، وبخاصّة تلك التي تشكّل هدفًا مطلوبًا وحيويًّا للولايات المتّحدة الأميركيّة. وكانت مخابرات الجيش تقوم بجمع المعلومات عن القدرات التكنولوجيّة السوفياتيّة ومدى تقدّمها في هذا المجال. لكنّ الأكثر أهميّة كان جمع الاستخبارات عن مواقع القوّات السوفياتيّة، وأعداد الدبّابات وتحرّكات القوّات ومناوراتها. وتساعد عمليّات جمع المعلومات في استخدام الأقمار الصناعيّة وأساليب فكّ الرموز وحلّ الشفرات التي تضطلّع بها مختلف أجهزة مخابرات وزارة الدفاع الأميركيّة، في إسداء العون للجيش لدى تخطيطه للاستراتيجيّة.

وقبيل انهيار الأمبراطوريّة السوفياتيّة كان جيش اتّحاد الجمهوريّات السوفياتيّة الاشتراكيّة، وجيوش حلفائه، يُعدّ أضخم وأكبر من جيش الولايات المتّحدة الأميركيّة، ويعتمد اعتمادًا كثيفًا على الدبّابات والمدرّعات. ولكن، إذا أخذنا في الاعتبار قدرات وجيوش وتسلّح وعتاد حلف شمال الأطلسيّ ـ الناتو ـ إلى جانب قدرات التسلّح الأميركيّة، نجد أنّ الغرب كان، بلا ريب، أقوى من الكتلة الشرقيّة.

وتمثّل الحرب الخاطفة أو "القصف الكاسح المفاجئ" والحملات المفاجئة الكاسحة، وشتّى أنواع الحروب، والقوّة القاهرة الغالبة، ودعم قوّات المظلّات الروسيّة، وقوّات الصواريخ الأميركيّة، كلّها تمثّل خصمًا أو عدوًّا تقليديًّا مرعبًا وهائلاً. إنّ رصد ومراقبة الجيش السوفياتيّ كان يُعدّ ذا أهميّة مساوية في القدر أمام جيش الولايات المتّحدة الأميركيّة، وتشمل أنشطته جمع الاستخبارات والمعلومات عن العتاد السوفياتيّ ـ الدبّابات، والمدرّعات، وخطوط الإمداد والتزويد، والأسلحة الصغيرة، والمدفعيّة، وتطوّر الأسلحة الجديدة، فضلاً عن المعلومات والاستخبارات الخاصّة بهيئات وأعداد القوّات، وبخاصّة هيئة القادة العسكريّين السوفيات، وكيف يفكّرون، وعاداتهم، والقوّات التي تحت إمرتهم.

القوّات العسكريّة العاملة سابقًا

على المســـرح السوفيـــاتيّ

تُعدّ أجهزة مخابرات الجيش، دائمًا، أوسع وأضخم فرع في إطار وكالة المخابرات المركزيّة وغير المركزيّة الأميركيّة وفقًا لمعايير أعداد وهيئات العاملين بها، إذ إنّها تشغّل أكثر من ٤٢,٠٠٠ شخص. وكان يتمّ جمع المعلومات واستخبارات وأسرار القوّات السوفياتيّة، حيث تخضع للتحقّق والتوثّق منها وتحليلها من جانب شتّى فروع الجهاز. ولقد كانت مخابرات الجيش مسؤولة عن كلّ شيء يتعلّق بالجيش السوفياتيّ. ويقوم الملحقون العسكريّون حول العالم بجمع هذه المعلومات. أمّا التغيّرات في تحرّكات القوّات، والأعداد الجديدة المضافة إلى القائمة بالفعل، وأيّ تغييرات في القيادة، فكانت تُعدّ بمثابة أولويّة قصوى لدى مخابرات الجيش، وهي التي تمدّ جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وقوّات الولايات المتّحدة، بصفة دائبة، بأحدث المعلومات والاستخبارات. أمّا القوّات العسكريّة العاملة على المسرح السوفياتيّ قبيل تفكّكه فهي كالآتي:

أوّلاً: أسطول البحر البلطيكيّ والمنطقة الغربيّة: ويشمل ٤٢ سفينة حربيّة رئيسيّة تعمل فوق الماء، أي على السطح، ٩٩ سفينة حربيّة أخرى، ٢٤٥ طائرة حربيّة محمولة على ظهر السفن، ١٦٠ سفينة حربيّة مساعدة، ٣٢ غوّاصة، عدد من لواءات مشاة بحريّة، ٣٠ فرقة عسكريّة سوفياتيّة، ٥٥ فرقة عسكريّة تابعة لدول حلف "وارسو"، ٣,٦٠٠ طائرة تكتيكيّة، ٢٤٣ طائرة من طراز (SS-20)، ٢٢٤ طائرة من طراز (SS-4).

ثانيًا: الأسطول الشماليّ: ويشمل ٧٨ سفينة حربيّة رئيسيّة سطحيّة، ٧١ سفينة حربيّة أخرى، ٧٠ طائرة محمولة فوق سفن حربيّة، ٢٠٥ سفن مساعدة، ١٥١

غوّاصة، عدد من لواءات مشاة بحريّة. أمّا الاحتياطيّ الاستراتيجيّ من القوّات العسكريّة والمناطق الحربيّة فيشمل ١٧ فرقة عسكريّة.

ثالثًا: أسطول البحر الأسود وأسطول بحر قزوين الصغير: ويشمل ٧٧ سفينة حربيّة رئيسيّة تعمل فوق الماء، ٨٥ سفينة حربيّة أخرى، ٢١٥ طائرة حربيّة محمولة على ظهر السفن، ١٣٠ سفينة حربيّة مساعدة، ٢٤ غوّاصة وعدد من اللواءات البحريّة ومشاة البحريّة.

رابعًا: منطقة مسرح عمليّات الجنوب وقوّات الجنوب السوفياتيّة: وتشمل ٣٠ فرقة عسكريّة، ٦٥٠ طائرة حربيّة تكتيكيّة، بالإضافة إلى القوّات التي كانت تعمل داخل أفغانستان قبيل انسحاب الاتّحاد السوفياتيّ منها.

خامسًا: مسرح عمليّات الشرق الأقصى: وتشمل ٥٢ فرقة عسكريّة، ١٨٢٠ طائرة تكتيكيّة، ١٣٥ طائرة من طراز (SS-20)، وتشمل القوّات السوفياتيّة العاملة في منغوليا.

سادسًا: أسطول المحيط الهادئ: ويشمل ٨٩ سفينة حربيّة رئيسيّة تعمل فوق الماء، ١١٢ سفينة حربيّة أخرى، ٢٤٦ طائرة محمولة فوق سفن حربيّة، ٢٣٥ سفينة حربيّة أخرى، ١٠٢ غوّاصات، ٤٤٠ فرقة عسكريّة لمشاة البحريّة والبحريّة الجويّة.

وتشمل قوّات **مسرح عمليّات الغرب** ما يصبح في زمن الحرب، أو ما يُطلق عليه في زمن الحرب: مسرح العمليّات العسكريّة الشاملة الشماليّة الغربيّة، والغربيّة، والجنوبيّة الغربيّة. أمّا مسرح العمليّات العسكريّة الجنوبيّة والعاملة في أقصى الغرب فتشكّل ما يُطلق عليه: مسرح العمليّات العسكريّة الشاملة الجنوبيّة والأقصى غربيّة – وكلّ تلك القوّات ومسارح العمليّات الشاملة فيُطلق عليها القوّات الكليّة لمسارح

العمليّات العسكريّة الشاملة العاملة على القارات الخمس. وجدير بالذكر أنّ تلك القوّات لا تشمل الغوّاصات السوفياتيّة من طراز "ديلتا" و"يانكي" و"تايفوون". وكانت تشكّل هذه القوّات الضاربة الهائلة العدد والعتاد، إبّان زمن الأمبراطوريّة السوفياتيّة المترامية الأطراف، تهديدًا هائلاً ضدّ الولايات المتّحدة الأميركيّة ودول حلف شمال الأطلسيّ، وبخاصّة أنشطتها في تصدير الشيوعيّة إلى بلدان العلم قاطبة، والإيديولوجيّة التي كان يسير على نهجها الحزب الشيوعيّ الروسيّ. ولعلّ هذا هو الذي حدا بكافّة أجهزة ووكالات مخابرات الولايات المتّحدة ودول حلف شمال الأطلسيّ إلى أن تجعل من الدبّ الروسيّ موضعًا لأنشطتها وعمليّاتها، وكانت تنفق أبهظ الأموال والتكاليف من أجل الوقوف على كافّة أسراره ومدخلاته ومخرجاته.

جهاز مخابرات البحريّة الأميركيّة

يضطلّع جهاز عمليّات مخابرات البحريّة الأميركيّة بنطاق شاسع من جمع المعلومات على المستوى الجويّ والبحريّ وتحت الماء. كما تقوم المخابرات البحريّة بالاستخبارات المضادّة. وتُعدّ المخابرات البحريّة واحدة من أقدم فروع أجهزة جمع الاستخبارات في الولايات المتّحدة الأميركيّة، وكانت قد تمكّنت من فكّ رموز الشيفرة اليابانيّة إبّان الحرب العالميّة الثانية، وهو ما كان أمرًا أساسيًّا في إحراز النصر الأميركيّ في المحيط الهادئ.

وتستخدم البحريّة الأميركيّة سفن الإلكترونيك، وأجهزة الكومبيوتر والأقمار الصناعيّة (التوابع) و"العملاء الميدانيّين" لجمع المعلومات. ويتلقّى رجال الضفادع البشريّة ونساء الضفادع البشريّة وعجول البحر "الفقمة" أو كلاب البحر، التدريبات على الحروب التخريبيّة، والتقاط الصور الفوتوغرافيّة، وأعمال التخريب، وأساليب الحروب التي تدور رحاها تحت الماء. وتغطّي مهام المخابرات البحريّة شتّى البقاع والمجالات التي تتعلّق بالحرب البحريّة وتوقّع الحروب التي تدور وقائعها في البحار. إنّها قائمة على أساس من الاستخبارات المتعلّقة بالتكنولوجيا السوفياتية في أعالي البحار، وحروب الغوّاصات، واستخدام تقنيّات الشفرة والترميز والأكواد، والمخابرات المضادّة، والإرهاب المضادّ، وأمن وتأمين قواعد البحريّة الأميركيّة، ومقاولي الدفاع، وجمع الاستخبارات عن قوى وطموحات البحريّة السوفياتيّة.

عانت البحريّة الأميركيّة عددًا من عمليّات الجاسوسيّة التي شُنّت ضدّها مثل قضيّة "ولكر" وقضيّة "موريسون" وأخيرًا قضيّة "بولارد". وفي سائر هذه القضايا عمل

الأميركيّون لحساب المصالح السوفياتيّة عن طريق تزويدهم بالموادّ ذات السريّة والتكتّم العالي، وهي كلّها متعلّقة بالحروب البحريّة. أمّا دوافعهم جميعًا فقد كانت دائمًا الحصول على المال، وليس بسبب الإيديولوجيّات السياسيّة.

ومن بين المهام العديدة التي تضطلّع بها أجهزة مخابرات البحريّة الأميركيّة، وربّما أكثرها أهميّة هي الحروب القائمة على استخدام الغوّاصّات، والشيفرة والترميز، وأساليب فكّ الشفرات الرموز. ويحظى بنفس القدر من الأهميّة والاهتمام عمليّات اعتراض وسائل البثّ والإرسال الإلكترونيّة والاتّصالات بين السفن السوفياتيّة ومقار القيادة للقوّات البحريّة، وتُعدّ ذات شأن في ما يختصّ بأمور الاستراتيجيّة البحريّة.

لقد بيّن لنا التاريخ أنّه في العمليّات الخاصّة مثل عمليّات "ألترا" و"ماجيك" وغيرها، وتسريب الشفرات اليابانيّة، أنّ نتيجة المعارك الحاسمة كانت لصالح أولئك الذين يعرفون أسرار الآخرين. وبناء عليه، تعتمد المخابرات البحريّة اعتمادًا مكثّفًا على القدرات التكنولوجيّة الخاصّة بكشف الأسرار والشيفرات وترميز الأكواد والحواسب الآليّة التي تستطيع أن تقوم، بسرعة، بفكّ طلاسم الرموز والشيفرات.

ويحظى بنفس المقدار من الأهميّة والشأن المخابرات البحريّة والاستخبارات المتعلّقة بالغوّاصّات وحروب الغوّاصات، إذ إنّ معرفة مكمن العدوّ ومكامن الغوّاصّات التي من المحتمل أن تهاجم الأهداف يُعتبر واحدًا من قصوى أولويّات سلاح البحريّة للولايات الأميركيّة.

ومن بين مسؤوليّات المخابرات البحريّة أيضًا جمع المعلومات الخاصّة بتشييد وبناء وتخطيط قواعد الغوّاصّات، ومقار أجهزة سلاح البحريّة، ومؤسّسات البحار ذات الصبغة والطامع العسكريّ، ثمّ أساليب التنسيق بين سلاح البحريّة وأسلحة المشاة وسلاح الجوّ والمدفعيّة والدفاع الجويّ والاستطلاع، وغيرها من العمليّات البحريّة.

جهاز مخابرات سلاح مشاة البحريّة الأميركيّة

على الرغم من أنّ مشاة البحريّة الأميركيّة تُعتبر جزءًا من سلاح البحريّة العامّ التابع للولايات المتّحدة الأميركيّة، وعلى الرغم من أنّ جهاز مخابرات سلاح مشاة البحريّة الأميركيّة يُعدّ كذلك جزءًا من جهاز مخابرات سلاح مشاة البحريّة الأميركيّة، إلاّ أنّ مهمّة مخابرات مشاة البحريّة تركّز أساسًا على الحرب البرمائيّة، وهي التي تُعتبر الحقل أو الميدان الرئيسيّ لعمليّات مشاة البحريّة: أي البرمائيّات، الجمع بين البرّ والبحر.

إنّ معرفة الشواطئ والمرافئ والموانئ والثغور وسائر الأهداف المحدّدة لهو أمر ضروريّ لمشاة البحريّة.

وتُعدّ مشاة البحريّة، التي يتمّ تدريبها أساسًا، لتكون الطليعة الأولى ورأس الحربة وجبهة القوّات التي تهبط على الأرض من البحار والمحيطات وتشنّ الهجوم، هي الجديرة بمهام حرجة مثل خوض الغمار في غياهب المحيط الأدرياتيكيّ الشماليّ، أو متاهات الصحارى، أو غيوم الآكام والغابات، والهروع لحروب المحيطات والثلوج والصحارى والآكام...إلخ.

وتتعرّض عمليّة جمع الاستخبارات للتغييرات التي تطرأ على غيرها وعلى ما سواها مثل السياسة العالميّة. وتقع بؤرة التركيز على المناطق التي ربّما يستعرض فيها عضلاتهم العسكريّة. فإذا كانت مشاة البحريّة تلقى تدريباتها في شمال النرويج، بالقرب من الميناء السوفياتيّ المسمّى باسم "ميرمانسك" فإنّهم كانوا يتعلّمون من أين

وكيف سوف تشنّ القوّات السوفياتيّة هجماتها. فإذا كانوا سوف يواجهون قوّات كوبا المعادية في منطقة "غوانتنا ناموا" فسوف يكون لزامًا عليهم أن يجمعوا المعلومات عن قوّات العدوّ هذه. وتجري عمليّات جمع المعلومات والاستخبارات ومتطلّباتها واحتياجاتها على أساس يوميّ يتغيّر من يوم إلى آخر. وتدعم المعلومات المستقاة من الأقمار الصناعيّة "التوابع"، المخابرات البحريّة عبر الفضاء والجوّ، مهام مشاة البحريّة الأميركيّة التي تعمل على البرّ.

ماكينة المخابرات الأميركيّة العملاقة

لو كان لنا أن نتصوّر أو نتخيّل الجهاز العملاق للمخابرات الأميركيّة أو ماكينة المخابرات الأميركيّة العملاقة الهائلة التي تهدر هديرًا مدويًّا في الخفاء يوميًّا وعلى مدى الأربع وعشرين ساعة، لكان لزامًا علينا أن نتخيّل مصنعًا عملاقًا استراتيجيًّا مليئًا بالآلات والماكينات والأجهزة والحواسب الآليّة والأسلاك والاتّصالات والأزرار واللمبات، وكافّة ما يمكن أن يكون في داخل ذلك المصنع من حركة وهرج وضوضاء... إلاّ أنّها تحت الأرض. إذ إنّ جهاز مخابرات الجيش الأميركيّ، وجهاز مخابرات وزارة الخزانة الفدراليّة الأميركيّة، وجهاز مخابرات وزارة الخارجيّة الأميركيّة، وجهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، وجهاز وزارة الطاقة الأميركيّة والمخابرات الخاصّة بها، وجهاز مخابرات سلاح الجوّ الأميركيّ، وجهاز مخابرات البحريّة، وجهاز مخابرات سلاح مشاة البحريّة الأميركيّة، وجهاز مخابرات وكالة الأمن القوميّ، وجهاز المخابرات المضادّة التابع لمكتب الاستخبارات الفدراليّة

الأميركيّة، وكذلك الأجهزة السريّة الخفيّة التي تعمل تحت الأرض، والمحظور الإعلان عنها حظرًا باتًّا ونهائيًّا... كلّها قاطبة تتعاون وتنسّق وتتّصل ببعضها البعض من ساعة لأخرى يوميًّا على مدار الأربع وعشرين ساعة. وبهذا يكون الرجال العاملون بهذه الماكينة على دراية تامّة بكلّ ما يجري حول العالم من أمور في السياسة والحرب والاقتصاد والعلم والكومبيوتر والمعرفة والدبلوماسيّة والنزاعات والصراعات المحليّة الدوليّة منها، وكافّة ما يمكن أن تصل إليه قريحة الإنسان من خيالات وتحليق في آفاق الكون الرحيب. ويكون ذلك الرجل الجالس أمام جهاز الكومبيوتر داخل وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة على علم، مثلاً، بكلّ ما يدور في أجهزة المخابرات الأخرى داخل أميركا، وكذا فروع وأقسام ومحطّات المخابرات حول العالم خارج الولايات المتّحدة الأميركيّة، وكذلك بوسعه مثلاً أن يتّصل بالعميل الأميركيّ الذي يسير في شوارع طهران أو سريلانكا، أو يشرب الشاي في أيّ مقهى في أزقّة كوبا...

جهاز مخابرات سلاح الجوّ الأميركيّ

يضطّلع جهاز مخابرات سلاح الجوّ الأميركيّ بأضخم برنامج للاستخبارات تمييزًا له عن باقي أجهزة المخابرات الأميركيّة، وذلك في ما يختصّ بمجاله ألا هو الفضاء وما يتعلّق به من أسلحة... وخلافه. كما أنّ فرقة التكنولوجيا الخارجيّة التابعة له فلها مجموعة ولفيف من العمليّات المضنية في جمع الاستخبارات وتحليلات نظم الصواريخ والطائرات الحربيّة الأجنبيّة. وتعمل أجهزة المخابرات كوكالة مستقلّة تزوّد مقار قيادة سلاح جوّ الولايات المتّحدة الأميركيّة بالمعلومات المتخصّصة دعمًا وعونًا على

تخطيط العمليّات الحربيّة، وتدبير العمليّات الجويّة وخططها المنفصلة. فضلاً عن ذلك نجد أنّ أنشطتها الواسعة تنقسم إلى وحدات متباينة ومختلفة. أمّا إدارة المخابرات الإجرائيّة فتقوم بإمداد الجهاز بشتّى الاستخبارات الواردة من المصادر والعملاء والمبعوثين. وهي تضمن أنّ صانعي القرار ورجال اتّخاذ ورسم السياسة التابعين لسلاح الجوّ يتلقّون الاستخبارات الدقيقة والشاملة من أجل تقييم المواقف الحرجة. وعلى هذا فهي تتطلّب بحوثًا خاصّة وتحاليل عميقة للاستخبارات والمعلومات ذات الصلة بالعمليّات الجارية، ونشر القوّات، والإنذار المبكر، والمؤشّرات الدالّة على تحرّكات الأعداء...إلخ.

وكثيرًا ما يفيد جهاز مخابرات سلاح الجوّ الأميركيّ من الأقمار الصناعيّة، وتكنولوجيا الفضاء المتطوّرة للغاية في الولايات المتّحدة. ولقد طوّرت الولايات المتّحدة طائرات "إواكس" الشهيرة أو طائرات الإنذار والتحكّم المحمولة جوًّا لكي تكون عونًا لسلاح الجوّ في الاضطّلاع بمهامه في العمل الاستخباريّ. والمعلوم أنّ سلاح الجوّ الأميركيّ يخصّص له أكبر وأضخم اعتمادات لميزانيّته الخاصّة بالعمليّات الاستخباريّة، وذلك بسبب الإنفاق الهائل بصفة رئيسيّة على الأقمار الصناعيّة والطائرات مثل الطائرة المتطوّرة من طراز (SR-71) ذات القدرات الفائقة.

وتقوم أدوات سلاح الجوّ الأميركيّ بالتقاط الصور الفوتوغرافيّة يوميًّا وعلى مدى الأربع وعشرين ساعة، من خلال الطائرات الحربيّة وطائرات الاستطلاع والأقمار الصناعيّة. ويقوم المحلّلون الذين يعملون داخل غرف عمليّات أرضيّة بتفسير الصور وكتابة التقارير عن اكتشافاتهم إلى القادة العسكريّين وجهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. وليست طائرات (SR-71) مجرّد واحدة من أكثر الطائرات الأميركيّة إتقانًا في التصميم والصنع وأكثرها سلاسة في الانسيابيّة والملس، بل تُعدّ كذلك "حمار

الشغل" أي هي التي تنهض بالشاقّ من الأعمال لصالح فرقة الاستطلاعات العسكريّة الجويّة للمخابرات التابعة لسلاح الجوّ الأميركيّ. ولقد قامت طائرات (SR-71) بالتعاون مع الطائرات من طراز (U-2) بتزويد الولايات المتّحدة الأميركيّة بالاستخبارات والمعلومات التي لا تقدّر قيمتها بالمال، على مدار السنين.

إنّ تحرّكات القوّات، والمنشآت الجديدة للصواريخ السوفياتيّة والأسلحة المرسلة إلى كوبا، والتحسينات التي أُجريت وطرأت على مسرح العمليّات الجويّة في "غرينادا"، كلّها إنجازات قامت بالكشف عنها الطلعات الجويّة المتضاعفة للطائرات من طراز (SR-71) والتي شُنّت بصفة مستديمة ودائبة.

مكتب الاستخبارات الاتّحاديّة (الفدراليّة) الأميركيّة

إنّ عميل مكتب الاستخبارات الفدراليّة الأميركيّة هو، أساسًا وقبل أيّ شيء آخر، محقّق جنائيّ حتّى ولو أنفق شطرًا عظيمًا من مهنته في جمع الاستخبارات المضادّة التي تشكّل حلقة حيويّة في إطار نظام الأمن في البلاد.

إنّ الاستخبارات المضادّة عبارة عن نشاط استخباريّ جاسوسيّ مكرّس من أجل حماية الولايات المتّحدة ضدّ الجاسوسيّة والتخريب وأعمال تقويض مقدّرات البلاد. فهي تقوم بإعاقة، أو على أفضل تقدير، تمنع ـ عمليّات المخابرات الأجنبيّة التي تُدار ضدّ الولايات المتّحدة الأميركيّة ومنشآتها في الداخل والخارج. وفي الوقت الذي تهتمّ فيه بالنوايا المعادية والأعمال المعادية التي تنهض بشتّى أجهزة ووكالات المخابرات الأجنبيّة ونظم الأمن المعادية، وكافّة الأفراد وحشود الجماعات التي تشكّل تهديدًا ضدّ الولايات المتّحدة الأميركيّة، فإنّ المبرّر الأساسيّ والأوّل لوجودها كان مناهضة

ومكافحة الشيوعيّة. وتظهر الحاجة ملحّة للتعاون الوثيق بين جهاز مكتب الاستخبارات الاتّحاديّة أو "وكالة المباحث الفدراليّة"، وجهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة التي تعمل خارج الولايات المتّحدة الأميركيّة كلّما تناولت الولايات المتّحدة حالة أحد المنشقّين.

كانت أجهزة مخابرات المباحث الفدراليّة قد ضبطت حلقة تجسّسيّة مكوّنة من ثلاثة وثلاثين جاسوسًا أدانتهم جميعهم وأثبتت أنّهم مذنبون بتهمة التجسّس ضدّ الاتّحاد الفدراليّ الأميركيّ، وأُطلق على هذه المجموعة أو القضيّة اسم قضيّة "حلقة "ديكويزن" الجاسوسيّة. وعندما كان يعترف أحد ضبّاط جهاز المخابرات السوفياتيّ أو "لجنة أمن الدولة" السوفياتيّة بأنّه بريء من الإيديولوجيّة الشيوعيّة السوفياتيّة وينشقّ لاجئًا إلى الجانب الأميركيّ، فإنّ مكتب المباحث الفدراليّة كان يضطلع بعمليّة الاستجواب والتحقيق لإقامة الدليل على عمق إخلاصه وصدقه وقياس أصالة نواياه وسلامتها. وما كان يشكّل تهديدًا خطيرًا داخل البلاد سوى ذلك النفر من الجواسيس السوفيات الذين كانوا ينخرطون في الأنشطة الخفيّة السريّة التي من شأنها أن تهدّد سلامة أسرار الولايات المتّحدة الأميركيّة التكنولوجيّة، وأسرار أجهزة الدفاع عن مقدّرات البلاد. وبينما كانت تبقى هذه المخاطر المحتملة مسألة ذات شأن وتثير عظيم القلق، فإنّ أنشطة المخابرات المضادّة غير المفحوصة وعير الممحّصة تمحيصًا تامًّا كانت تشكّل أيضًا تهديدًا لسلامة البلاد...

إنّ تغييرًا في التوجّهات والاتّجاه لدى الزعماء.والقادة السياسيّين أحدث بحلول عهد "الماكارثيّة" التي اجتاحت بلدان أوروبّا كموجة هادرة من الهلع، جلبت خطوطًا جديدة ذات تراكيب وهياكل خاصّة من العمليّات لكي تضطلع بها أجهزة مكتب المباحث الفدراليّة. ولقد لعبت دورًا سائدًا في تدبير ونشر وبثّ المعلومات التي تتناول

الأنشطة السريّة المعادية، حينًا من الزمن، إلاّ أنّ شخصيتها وطبيعتها في الزمن الحاضر، أضحت أكثر سلبيّة وفرعيّة وثانويّة عمّا كانت عليه في سالف عهدها في الزمن البائد. لقد صارت أنشطتها محدودة أكثر عن ذي قبل. كما تقلّصت مصادر العمليّات الاستخباريّة. وعلى الرغم من أنّ النطاق الشامل لعمل مكتب المباحث الفدراليّة تمّ إعادة تعريف وظائفه وتحديدها، في عهد الرئيس الأميركيّ الأسبق رونالد ريغن، إلاّ أنّ وظائفه الأساسيّة مكثت هي نفسها بسبب أنّ المخابرات المضادّة هي وحدها المنوط بها، وهي دون سواها المؤهّلة لتحتوي تحرّكات جهاز المخابرات السوفياتيّة أو "لجنة أمن الدولة"، وذلك قبيل تفكيك الاتّحاد السوفياتيّ واستقلال جمهوريّاته وانفصالها بعضها عن بعض.

فضلاً عن ذلك، نجد أنّ المخابرات المضادّة هي كذلك التي بوسعها احتواء أيّة عمليّات استخباريّة أجنبيّة أخرى غير المخابرات السوفياتيّة، والتي يمكن وصفها بأنّها عمليّات رئيسيّة أو كبرى. وكان مكتب المباحث الفدراليّة قد نشر في الصحافة الأميركيّة إعلانًا يتضمّن صورة لـ "إدوارد لي هوارد" أحد عملاء جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة السابقين الذي انشقّ وهرب إلى دولة خارج الولايات المتّحدة الأميركيّة، ويُعتقد أنّه يعيش فيها حتّى الآن وهي إمّا فنلندا أو إحدى جمهوريّات الاتّحاد السوفياتيّ السابق. وكانت التهم الموجّهة إليه هي الجاسوسيّة والهروب والفرار بين وداخل ولايات الاتّحاد الفدراليّ الأميركيّ، ثمّ انتهاك القانون الأميركيّ. وتمّ نشر ذلك الإعلان بعد ساعات قليلة من هروبه من وجه العدالة الأميركيّة. وكان له عدد وفير من الأسماء المستعارة، وهي التي كان يعمل تحت ستارها إبّان تنفيذه لمهام وكالة المخابرات المركزيّة. ولقد رصد مكتب المباحث الفدراليّة مكافأة ماليّة لمَن يرشده إليه محذّرًا من خطورته لأنّه مسلّح.

جهاز مخابرات وزارة الخزانة الأميركيّة

يشمل جهاز مخابرات وزارة الخزانة الأميركيّة ثلاثة أقسام تضطلّع بعمليّات استخباريّة منخفضة المستوى هي: الجهاز السريّ، جهاز الجمارك، ومكتب الكحوليّات والتبغ والأسلحة الناريّة. وعلى الرغم من أنّ الوظيفة الكبرى للجهاز السريّ هي حماية الرئيس وكبار رجال الدولة والرؤساء، إلاّ أنّ لها مسؤوليّات تضطلّع بها. وتشمل جمع المعلومات والتعامل مع التحقيقات في جرائم التزوير والتزييف.

إنّ غالبيّة الـ ١,٥٠٠ عميل التابعين للجهاز السريّ قد تمركزوا في مكاتب ميدانيّة حول الولايات المتّحدة، في بورتو ريكو، وباريس. وعلى الرغم من أنّ مكتب المخابرات المحميّة التي تجمع وتقيّم وتخزّن البيانات المحميّة عن الأمن، إلاّ أنّ الجهاز يحتفظ بمراقبته وتعقّبه واقتفائه لأثر الأفراد والجماعات المشبوهة والمشكوك فيها. ويتعامل جهاز جمارك الولايات المتّحدة مع التحقيقات في جرائم النصب والاحتيال، والتهريب وسرقة حمولات السفن أو الطائرات أو العربات. ويرصد خبراء المخابرات إنتاج المخدّرات في ما وراء البحار التي ربّما يتمّ تهريبها إلى داخل الولايات المتّحدة في مراحلها النهائيّة. وينخرط العملاء الخصوصيّون في مكتب مكافحة الكحوليّات والتبغ والأسلحة الناريّة في التحقيقات التي تستهدف، أساسًا، الوقاية من القنابل النوويّة أو إبطال مفعولها، لاكتشاف الحيازة غير القانونيّة للمتفجّرات والأسلحة الناريّة والوقاية من السقوط في أيدي العناصر الإجراميّة وعصابات التهريب.

كانت مخابرات وزارة الخزانة تزوّد وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بالاستخبارات والمعلومات ذات الصلة بالشركات التي تستخدم المال في أغراض غير شرعيّة وخلافه.

جهاز مخابرات وزارة الطاقة الأميركيّة

إنّ جهاز مخابرات وزارة الطاقة الأميركيّة عبارة عن مصدر للمخابرات بشأن شؤون وموضوعات الطاقة الأجنبيّة. ويقوم بجمع المعلومات السياسيّة والاقتصاديّة والتكنولوجيّة، التي يتمّ إنتاج بعضها وبثّه ونشره من أجل عمليّات المخابرات الأخرى. ومن بين المسائل التي كانت تحظى بالاهتمام الخاصّ هو اتّحاد الجمهوريّات السوفياتيّة الاشتراكيّة السابق وذلك قبيل انحطاط وتدهور الأمبراطوريّة السوفياتيّة التي كانت أغنى دولة في العالم، في وقت من الأوقات، في مصادر الطاقة. وتمتلك خارج الخليج العربيّ أضخم احتياطات البترول، وهي كذلك أكبر دول العالم إنتاجًا للغاز الطبيعيّ. ولديها أفخم مناجم ومصادر الفحم بأنواعه. ويحتلّ إنتاجها من الطاقة الكهربائيّة المرتبة الثانية في العالم بعد الولايات المتّحدة الأميركيّة.

وعلى الرغم من أنّ جهاز مخابرات وزارة الطاقة الأميركيّة يقوم بعمل البحوث التقنيّة والتحليليّة، إلاّ أنّه يُعتبر جهازًا استهلاكيًّا بدرجة كبرى لإنتاج أجهزة ووكالات المخابرات الأميركيّة الأخرى. كما يقوم جهاز مخابرات وزارة الطاقة الأميركيّة بجمع المعلومات والبيانات ذات الصلة بالتطوّر النوويّ، وكذلك احتياجات الطاقة وإنتاجها لدى الأمم الأخرى في الكون. إنّ الطاقة كفيلة بالتأثير على اقتصاد الأمّة، وهي مطلب ضروريّ لأمّة معيّنة أو دولة ما تورّطت في الحرب أو تضطلّع بعمليّات توسيع للتطوّر الاقتصاديّ.

جهاز مخابرات وزارة الخارجيّة الأميركيّة

في إطار جهاز مخابرات وزارة الخارجيّة الأميركيّة هناك مكتب المخابرات والأبحاث، الذي يتولّى إدارته مدير هو عادة أحد السفراء الذين خدموا في المكتب كجزء من عملهم الأساسيّ في إطارة وزارة الخارجيّة الأميركيّة.

يُعدّ هذا المكتب صغيرًا ومتخصصًا كوحدة استخباريّة مخصوصة بدون عملاء، ذلك أنّه في الوقت الذي يقوم فيه الضبّاط العاملون بالخارج، بصفة شائعة، بكتابة التقارير عن المخابرات السياسيّة، نجد أنّهم لا يلعبون دورًا في العمليّات السريّة. ويتمّ إنتاج المخابرات السياسيّة والاقتصاديّة في إطار الوكالة لصالح الاحتياجات الخاصّة بوزارة الخارجيّة الأميركيّة.

كما يتناول مكتب المخابرات والأبحاث تنسيق علاقات وزارة الخارجيّة الأميركيّة مع منظّمات وأجهزة المخابرات الخارجيّة للولايات المتّحدة، وتقوم بنشر التقارير الواردة من المواقع الدبلوماسيّة والقنصليّة التابعة للولايات المتّحدة الأميركيّة في الخارج. ويلعب ضابط مكتب المخابرات والأبحاث دورًا كبيرًا في إنتاج تقديرات وتقارير المخابرات القوميّة التي تحلّل معلومات المخابرات الواردة والمتجسّدة في الجهود الموحّدة والمجمّعة من شتّى الوكالات الاستخباريّة. وتُعدّ تقديرات وتقييمات المخابرات للاستقرار السياسيّ والنوايا السياسيّة والعسكريّة للدول الخارجيّة الأجنبيّة إزاء الولايات المتّحدة، بمثابة عامل ذي شأن في عمليّة صنع القرار التي يتعهّد بها الرئيس الأميركيّ وكبار رجال الدولة المنوطة بهم سلطة اتّخاذ وصنع السياسة.

إنّ استخدام الدبلوماسيّين لجمع المعلومات كان بمثابة أقدم أشكال جمع المعلومات لأغراض المخابرات. أمّا اليوم، فإنّ الدبلوماسيّين يمدّون جهاز وكالة المخابرات

المركزيّة الأميركيّة ووزارة الخارجيّة وجهاز مخابرات وزارة الدفاع، وسائر الوكالات الحكوميّة بالمادّة المتعلّقة بالدبلوماسيّة والاتّجاهات السياسيّة والدبلوماسيّة لدولة ما، إزاء الولايات المتّحدة.

في كلّ سفارة أميركيّة في الأمم الأجنبيّة ما يُسمّى بمحطّة استخبارات تضمّ عددًا من ضبّاط الحالات والعملاء ورجال الجاسوسيّة الميدانيّين، ويقوم ضابط الحالة بتنسيق عمليّات هؤلاء القوم، ثمّ يرسل بتقاريره إلى مقار قيادة وكالة المخابرات المركزيّة رأسًا في الولايات المتّحدة، وثمّة ضمانات وُضعت تكفل حماية هؤلاء العملاء في الأمم الأجنبيّة في حالة القبض عليهم، مثل جوازات السفر الدبلوماسيّة وخلافه، وإنّ أقصى ضرر من الممكن أن يقع على هؤلاء هو طردهم وترحيلهم خارج البلاد واعتبارهم أشخاصًا غير مرغوب فيهم.

العلاقات بين جهاز مخابرات وزارة الدفاع الأميركيّة والـ CIA

كان الليوتنانت "يوجين تاي" المتقاعد من سلاح جوّ الولايات المتّحدة، مديرًا لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في ما بين ١٩٧٧ وسنة ١٩٨١. وكان قد بدأ عمله العسكريّ في جيش الولايات المتّحدة الأميركيّة عام ١٩٤٢، حيث خدم حتّى عام ١٩٤٦. وفي سنة ١٩٥٠ التحق بسلاح جوّ الولايات المتّحدة الأميركيّة كضابط مخابرات. وهو حائز على العديد من الجوائز والأوسمة بما في ذلك ميداليّة الخدمة المتميّزة، وميداليّة النجم البرونزيّ. فضلاً عن ذلك كان له فضل الحصول على الرتبة العالية عندما كان يخدم كضابط مخابرات، وهو إنجاز نادر التحقيق داخل المؤسّسة

العسكريّة الأميركيّة. ويحدّثنا الليوتنانت "يوجين تاي" عن علاقات تنسيق الوظائف بين جهاز مخابرات وزارة الدفاع الأميركيّة ووكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة فيقول إنّه ينبغي الحديث عن مجتمع المخابرات أو "كوكبة" المخابرات أوّلاً، وعلاقاتها بوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

إنّ علاقات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بمجتمع المخابرات لم تكن ملائمة، لأنّه، في فترة من الفترات، كان مصطلح "مجتمع المخابرات" يثير السخرية والتهكّم والضحك، ذلك أنّ هذا "المجتمع" كان عبارة عن غابة مخابرات، تسودها المنافسات والنزاعات، واعتقاد كلّ جهاز بأنّه الأهمّ والأجدر بالزعامة والتقدير، ومن ثمّ ثارت الشكوك والريبة بين أعضاء تلك الوكالات، وضاعت الثقة في ما بينهم ما أدّى إلى ضياع نظام العمل اليوميّ. إلاّ أنّ كلّ ذلك بدأ يتغيّر إبّان سبعينات القرن العشرين عندما هدّدت الولايات المتّحدة مخاطر داخليّة وخارجيّة كادت تضربها في الصميم. ولقد جسّدت فترة حروب فييتنام التعاون المتنامي بين أجهزة ووكالات المخابرات الأميركيّة. وأعتقد ـ والكلام لليوتنانت "يوجين تاي" ـ أنّ كثيرًا من أوجه التعاون كانت دوافعها شخصيّة. فعلى سبيل المثال نجد أنّ المستر "ويليام إيجان كولبي" و"جورج بوش" الأب[1] وخلفائهما كانوا مدفوعين صوب مدخل التعاون الجماعيّ بأكثر ممّا كان عليه أسلافهم. وبطبيعة الحال راحت الموارد والمصادر تدفع بشدّة قدرات

---

١ ـ **جورج بوش الأب:** وُلد ١٩٢٤ بمدينة "ميلتون" بولاية "ماساتشوستس"، حصل على درجة بكالوريوس من جامعة "يال" ١٩٤٨، طيّار بحريّ في الباسيفيك في الحرب العالميّة الثانية، عضو الكونغرس عن المقاطعة السابعة بولاية تكساس ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠، سفير الولايات المتّحدة الأميركيّة لدى الأمم المتّحدة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢، رئيس اللجنة القوميّة للحزب الديمقراطيّ ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤، رئيس مكتب اتّصالات الولايات المتّحدة الأميركيّة بجمهوريّة الصين الشعبيّة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥، مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧، رئيس الولايات المتّحدة الأميركيّة ١٩٨١.

جميع منظّمات وزارة الدفاع الأميركيّة إلى العهد الذي صقلته الحرب وشحذته، ما أدّى إلى أن تصبح تلك السنوات عبارة عن قوّة كامنة داخل مجتمع المخابرات سوف تدفعه، في المستقبل، إلى الأمام صوب الانسجام والتنسيق...

ويستطرد الليوتنانت "يوجين تاي" قائلاً إنّه بحلول العام ١٩٧٤، حينما وصل إلى ذروة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، كان الاعتماد المتنامي من جانب أحد الأجهزة أو الوكالات الأخرى واضحًا تمامًا، وظلّ ذلك الاعتماد أو التكافل مضطردًا ومواظبًا عليه حتّى يومنا هذا، وكان هذا تحسّنًا بدرجة كبرى.

ويضيف الليوتنانت "يوجين تاي" أنّه، ووفقًا لمعايير التنسيق، نجد أنّ تأسيس وإقامة هيئة عاملين في منطقة الوسط بين عناصر وزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزيّة كان مقصودًا به سدّ الفجوة بطريقة أو بأخرى لضمان التعاون في أمور الميزانيّة والكثير من الموضوعات الأخرى ذات الشأن والأهميّة بالنسبة إلى كافّة قدرات مخابرات الولايات المتّحدة.

ويمضي الليوتنانت "يوجين تاي" قائلاً إنّ مجتمع المخابرات هو بمثابة كائن حيّ عظيم ويتمتّع بقدر هائل من الخبرة، وعايش الكثير من الرجال الذين تولّوا إدارة ورئاسة وكالة المخابرات المركزيّة وغيرها من الأجهزة. غير أنّ الرجل الذي يضطلع بقيادة أنشطة الوكالة المركزيّة فقمين بأن يسوق الجهاز ومجتمع المخابرات في أحد الطريقَين: إمّا التعاون والتقدّم أو المنازعة والتأخّر. ولو حدث أن أُقيمت مراكز قوى متنازعة في داخل مجتمع المخابرات، فمن شأن ذلك أن يبدّد القدر الهائل والوافر من أعمالهم في الحروب الجانبيّة ومنازلة بعض أجهزة المخابرات لبعضها الآخر. وتتلاشى الطاقات في مناهضة المدير الذي يحابي فريقًا دون الآخر أو على الأقلّ تصنيع الجهود في تحاشيه ومقاومته وتلافي سياساته. ومن شأن هذا كلّه أن يصيب

البلاد بالضرر ويتلف مصالحها على المدى الطويل. إنّه لمن العسير تغيير طقوس وممارسات مجتمع في مثل ضخامة وعراقة مجتمع مخابرات الولايات المتّحدة الأميركيّة. ويكمن السبب أساسًا في أنّ معظم القوم في البلاد يعتقدون بأنّ تنظيمات المخابرات لا تفعل سوى الغلول واغتيال الناس، وتنفيذ الأعمال القذرة حول العالم، في حين أنّ ٩٩٪ من أنشطة مجتمع المخابرات تقوم على إنتاج المعلومات وتقارير الاستخبارات الخارجيّة، وجمع وتحليل كافّة البيانات من أجل الهدف الرئيسيّ والكبير، ألا هو صنع القرار ورسم السياسة داخل البيت الأبيض ووزارة الخارجيّة الأميركيّة.

ويمضي الليوتنانت "يوجين تاي" متسائلاً: هل هذا يعني أنّ نسبة ضئيلة للغاية هي التي تتورّط في الأعمال الخفيّة أي في الاغتيالات؟ ويجيب قائلاً: حسنًا، ليس شيئًا من أعمال ووكالات المخابرات يتورّط في الاغتيالات، فذلك أمر غير قانونيّ. إلاّ أنّ النشاط السريّ والخفيّ محدود وضئيل للغاية لا يكاد يُذكر من بين الأنشطة الكبرى لمجتمع المخابرات.

أمّا في ما يتعلّق بشخصيّات الرجال الذين تولّوا قيادة المجتمع الاستخباريّ فيقول الليوتنانت "يوجين تاي" إنّ كلّ رجل منهم كانت له شخصيّته المستقلّة، كما أنّ التحدّيات التي كانت مفروضة عليهم أو تواجههم كانت متباينة، وعليه ما يجب التوقّف عنده هو مقدار إسهاماتهم وعطائهم لمجتمع المخابرات الأميركيّ الشامل، والمدّة الزمنيّة التي أمضوها على قمّة رئاسة وكالة المخابرات المركزيّة.

هيئات إشراف أو "كلاب حراسة" الـ CIA

في الماضي ساد الاعتقاد بأنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة تقوم بكافّة وظائفها انطلاقًا من حافزها الذاتيّ بدون إشراف ما على أنشطتها. وربّما كبر ونما هذا الاتّجاه من حقيقة أنّ معظم عمل الوكالة يجب أن يبقى سرًّا دفينًا، وبذلك يصبح الإشراف من جانب العامّة أو الجمهور مسألة من قبيل التعذّر أو الاستحالة. وعلى الرغم من أنّ الإشراف التامّ للجمهور على المخابرات هو في حقيقة الأمر عبارة عن استحالة، إلاّ أنّ هناك حرّاسًا متعدّدين يوجدون ويسيطرون على وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وأفعالها، ويقومون بتزويد كلّ مواطن أو عضو من أعضاء مجتمع المخابرات بالسبيل أو المسلك الذي، عن طريقه، يمكنهم التعبير والإفصاح عن قلقهم أو مخاوفهم أو انزعاجهم أو شكاواهم أو أسئلتهم، وذلك حتّى يمكن دراستها وفحصها. من هنا نجد، وخلافًا لسائر وكالات المخابرات الأجنبيّة، أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة عرضة لنفوذ عدد من القوى الخارجيّة التي تراقب الوكالة وتكلّفها بالقيام بمهام معيّنة لا بدّ من إنجازها خارج البلاد.

وتُعدّ الولايات المتّحدة الأميركيّة دولة ديمقراطيّة قائمة على نظام من التوازن بين السلطات. وتعمل السلطة التنفيذيّة والسلطة التشريعيّة والسلطة القضائيّة بالتعاون مع بعضها البعض وتتكامل جهود كلّ منها مع جهود السلطتَين الأخريَين، وفي نفس الوقت تراقب هذه السلطات بعضها بعض. وفي إطار هذا الخليط الديمقراطيّ الحرج والمعقّد، نجد أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة عرضة لتدخّلات وإشراف ومراقبة كلّ من هذه السلطات. وتعمل الوكالة في ظلّ نفوذ السلطة التنفيذيّة وإشرافها، وبالتالي فهي مسؤولة عن الرئيس وعن أيّ قرارات يتّخذها الرئيس التنفيذيّ بشأن تعيين مستشارين

رئاسيّين من أجل التدخّل في أعمال وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. وبالإضافة إلى الرئيس، ثمّة بعض نوّاب الرئيس الأميركيّ يضطّلعون بدور هامّ ونشيط، يوميًّا، يتعلّق بأمور الوكالة، وإلى جانب الرئيس الأميركيّ ونوّابه هناك: ١) مجلس الأمن القوميّ. ٢) هيئة مستشاري المخابرات الخارجيّة التابعة للرئيس الأميركيّ. ٣) هيئة الإشراف على المخابرات. ٤) لجنة مجلس الشيوخ الأميركيّ الخاصّة باختيار العاملين بالمخابرات. ٥) لجنة مجلس النوّاب الدائمة عن المخابرات. ٦) لجنة الاعتمادات التابعة لمجلس النوّاب ومجلس الشيوخ. ٧) مكتب الإدارة والميزانيّة. وكلّ هاتيك اللجان والهيئات وخلافه، بالإضافة إلى سائر عمليّات الكونغرس الرسميّة ذات الصلة بالمخابرات تخضع، تمامًا، لنظام المحكمة الفدراليّة الاتّحاديّة.

وفي ما يتعلّق بالنظام السياسيّ، ثمّة "كلاب حراسة" غير تابعين للحكومة أيضًا. هناك في المقام الأوّل الشعب الأميركيّ، والصحافة الأميركيّة، والجمع الغفير من فيالق الصحف ومحطّات الإذاعة والتلفزة، وشبكات الراديو والتلفزة، ودور النشر، والآلاف المؤلّفة من المراسلين والمحرّرين. فضلاً عن ذلك، نجد أنّ جهاز المخابرات السوفياتيّ الـKGB كان يهتمّ دائمًا، ويدسّ أنفه في أمور وشؤون المخابرات الأميركيّة، وذلك قبيل انهيار الأميرطوريّة السوفياتيّة.

كانت شركة "هاريسون وأبراموفيتز" الأميركيّة، التي تتّخذ من نيويورك مقرًّا لها، قد اضطّلعت بتصميم وتشييد مقرّ قيادة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في أواسط الخمسينات من القرن العشرين، وكان مدير الوكالة في ذلك الحين، "آلن دالاس" قد وضع تصوّره وتخيّله لمبنى الوكالة الجديد بحيث يصبح شبيهًا للحرم الجامعيّ أو حرم إحدى الكليّات الجامعيّة، لكي يعكس جوّ وهيبة العلم والوقار الأكّاديميّ الجامعيّ. وجدير بالذكر أنّ مبنى "الكابيتول" الواقع في العاصمة واشنطن دي. سي. يرمز إلى

عدد من "كلاب الحراسة" أو هيئات الإشراف والمراقبة على أنشطة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وكذلك هيئات العاملين بها، والعمليّات الخفيّة، والميزانيّة والاعتمادات، وتعيين كبار رجال الأجهزة العاملة في إطار مجتمع المخابرات الأميركيّ الهائل. وكان الرئيس الأميركيّ الأسبق "رونالد ريغن" قد وضع الحجر الأساس لملحق مبنى مقرّ قيادة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في شهر أيّار – مايو عام ١٩٨٤. والمعروف أنّ كلاًّ من الرئيس الأميركيّ ونائبه يجتمعان، بصفة دوريّة، مع مدير وكالة المخابرات المركزيّة لمناقشة مجموعة متنوّعة من شؤون الاستخبارات وأمورها. أمّا الرئيس الأميركيّ "جورج بوش" الأب فكان ذا بصيرة وإشراف خاصّ في ما يتعلّق بشؤون المخابرات وأمورها، وذلك حينما كان مديرًا لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. أمّا حين تولّى منصب نائب الرئيس فكان دوره مزدوجًا يشمل "الإشراف والمراقبة" أي القيام بدور "كلب الحراسة" وكذا الزعيم الحكوميّ الذي يضطلّع بممارسة رموز سيادة الدولة على ذلك الجهاز العملاق. ونعرض الآن، في ما يأتي من صفحات، لنماذج تبيّن كيفيّة عمل هذه اللجان والهيئات الإشرافيّة وغيرها ذات الصلة بالوكالة.

١ ـ **الرئيس الأميركيّ ونائبه:** يجتمع الرئيس الأميركيّ بمدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بصفة دوريّة. فما هي طبيعة الأمور التي يناقشانها؟. ويطلع مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الرئيس الأميركيّ، أوّلاً بأوّل، على شتّى أنشطة الوكالة والمخابرات ذات الشأن، وكذلك على أيّ اكتشافات تأتي نتيجة لأنشطة وجهود وكالة المخابرات المركزيّة أو أيّ جهاز آخر من أجهزة مجتمع المخابرات الأميركيّة الكبرى. بصرف النظر عن ذلك، نجد أنّ مدير الوكالة يطلع الرئيس على أيّ استخبارات مستقاة من الصور الفوتوغرافيّة وتؤثّر على أمن الولايات المتّحدة. وقد

يتسرّب بعض أسرار استخبارات أجهزة المخابرات المركزيّة وبعض أسرار أجهزة مجتمع المخابرات، بصفة عامّة في النهاية، إلى الجمهور فتصبح معروفة علانية. ومن الأمثلة على ذلك أزمة الصواريخ الكوبيّة إبّان عهد الرئيس "كينيدي"، وكذلك الاكتشافات المتعلّقة بالتحرّكات العسكريّة الكوبيّة السوفياتيّة التي تمّت على عجل وبسرعة في "غرينادا" إبّان عهد الرئيس "ريغن"... أو التقارير المرفوعة إلى الرئيس جورج دبليو بوش حول نشاطات القاعدة قبل أحداث ١١ أيلول ـ سبتمبر ٢٠٠١.

ناهيك عن ذلك، فللرئيس الأميركيّ الحقّ في أن يطلب من مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة أن يضطلّع أو يشرع أو يتّخذ المبادرة في القيام بأنشطة استخباريّة معيّنة. أمّا الرؤساء الحاليّون فقد وضعوا القيود وضيّقوا على مثل هذه الأنشطة، على الرغم من أنّ الرئيس "ريغن" يُعتبر استثناء عن هذه القاعدة. وفي خلال إدارة الرؤساء "أيزنهاور وكينيدي وجونسون" كانت هذه الأنشطة، في الغالب، جزءًا لا يتجزّأ من السياسة الخارجيّة الأميركيّة.

بغضّ النظر عن القول بأنّ الأنشطة السريّة، في عالم اليوم، لا يتمّ إجراؤها تحت السيطرة التامّة أو التحكّم الوثيق.

وكان الرؤساء "أيزنهاور وكينيدي وجونسون" قد استخدموا أجهزة ووكالات المخابرات كأداة وجزء من سياساتهم الخارجيّة. وكان لكلّ منهم النجاحات الباهرة بالرغم من اقترانها بالأخطاء والارتباكات، حيث ارتبط اسم "أيزنهاور" بحادث الطائرة U-2، واسم كينيدي بحادث خليج الخنازير، واسم جونسون بحادث خليج تونكين. وكان كلّ منهم يعتقد، اعتقادًا راسخًا، في الاستخدام الكبير للسلاح السريّ لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. ولقد كفّ وأقلع معظم الرؤساء الأميركيّين عن الاستخدام المبالغ فيه للأنشطة الخفيّة، أي الاغتيالات، وذلك بعد إدارة الرئيس الأسبق "جونسون".

٢ ـ **الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة:** تعمل الهيئة الاستشاريّة للرئيس الأميركيّ لشؤون المخابرات الخارجيّة في إطار المكتب التنفيذيّ للرئيس. ويخدم أعضاؤها المتعدّدون وفقًا لما يحلو للرئيس، ويتمّ تعيينهم بالاختيار من بين المواطنين الأميركيّين الموثوق فيهم والمتميّزين، ومن خارج الحكومة الأميركيّة، وهم المؤهّلون بمعايير وأسس الإنجاز والخبرة والاستقلال. وهم يقدّمون خدماتهم بدون تعويضات. ويضطلّعون، أي أعضاء الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة، بمراجعة أداء الوكالات الحكوميّة المكلّفة بجمع أو تقييم أو إنتاج الاستخبارات أو تنفيذ سياسة المخابرات. أمّا الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة فهي مكلّفة، تكليفًا محدّدًا، بتقديم التوصيات الملائمة للأعمال الخاصّة بتحسين وتعزيز أداء جهود مدير مخابرات الولايات المتّحدة الأميركيّة، وربّما تقدّم هذه النصيحة مباشرة إلى مدير وكالة المخابرات المركزيّة، أو أجهزة وفروع وأقسام وكالة المخابرات المركزيّة، أو الرؤساء الآخرين للأجهزة والوكالات المكلّفة بالقيام بالأنشطة الاستخباريّة. ولقد كان كلّ من "روبرت مورفي" و"ستيفن إيبلز" وزيرا الدفاع السابقان، أوّل عضوَين في الهيئة الاستشاريّة للإشراف على المخابرات الأميركيّة. وخدم الدكتور "ألبرت ويلون" كعضو في الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة على عهد الرئيس "ريغن". أمّا دوره كأحد "كلاب الحراسة" فهو يتجسّد في تأييد ومساندة أو انتقاد أو التوصية بالتغييرات من أجل تقوية مجتمع المخابرات.

لقد بيّنت التغييرات التي أُخذت من الصور الفوتوغرافيّة على وجود تهديد للأمن القوميّ الأميركيّ حينما عُلم وتردّد أنّ السوفيات والكوبيّين كانوا يضاعفون من القدرات العسكريّة في "غرينادا"، وهي جزيرة صغيرة من بين مئات الجزر الواقعة في البحر الكاريبي الذي يتوسّط قارّة أميركا الشماليّة وأميركا الجنوبيّة. وأرسل كذلك

بعض العملاء البشريّون بتقاريرهم من أنّ "غرينادا" تمّ تدشينها وتأسيسها لتصبح قاعدة عسكريّة للكوبيّين وحلفائهم. فاتّخذ الرئيس الأميركيّ "ريغن" وجميع حلفاء الولايات المتّحدة الأميركيّة قرارهم بتسديد ضربة لها بناء على هذه التقارير الاستخباريّة. وكان الحقل الجويّ في منطقة "بوينت سالاينز" أو الملاّحات واقعًا تحت حماية أعضاء أجهزة المخابرات الكوبيّة، كما أنّ عدد العاملين في عمليّة التجسّس الإلكترونيّ في منطقة "لوردز" الكوبيّة، كان حوالي ٢,١٠٠ فنّيّ سوفياتيّ وكوبيّ.

٣ ـ هيئة الإشراف على المخابرات: أُسّست هذه الهيئة سنة ١٩٧٦، وهي تعمل في إطار البيت الأبيض الأميركيّ، وتتكوّن من ثلاثة أعضاء من خارج الحكومة، يقوم بتعيينهم الرئيس الأميركيّ شخصيًّا. يترأس المكتب أحد هؤلاء الذين يخدمون في الهيئة، ويكون في نفس الوقت عضوًا في الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة.

أمّا هيئة الإشراف على المخابرات فهي عبارة عن مكتب مسؤول عن اكتشاف وكتابة التقارير للرئيس عن أيّ أنشطة استخباريّة من شأنها أن تثير الأسئلة عن مدى ملاءمتها أو قانونيّتها وفقًا لبنود الدستور، وقوانين الولايات المتّحدة، أو الأمر التنفيذيّ الرئاسيّ.

ومن بين تكليفات ومهام هيئة الإشراف على المخابرات مراجعة الخطوط العريضة الإرشاديّة المعمول بها في الداخل، وكذا توجّهات واتّجاه مجتمع المخابرات.

ولو نظرنا بصفة عامّة إلى أنشطة مخابرات الولايات المتّحدة، لوجدنا أنّ هناك جهازَين هامَّين يعاونان الرئيس الأميركيّ معاونة وثيقة ويتّصلان به رأسًا هما: الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة عن المخابرات الخارجيّة، ثمّ هيئة الإشراف على المخابرات. ثمّ يأتي، من بعد الرئيس، مجلس الأمن القوميّ الذي يتلقّى كذلك التقارير ذات الشأن

والتي تتّصف بأهمّيتها القصوى وفقًا لمعايير حماية سلامة وأمن وأمان البلاد، وتأتي، من بعد ذلك، سائر الفروع والأقسام والأجهزة التي تعمل ضمن كوكبة مجتمع المخابرات الأميركيّة.

والجدير بالذكر أنّ هذه الهيئة تنظر في كلّ قضيّة من القضايا المثارة على حدة، وتقدّر ما إذا كانت سوف تقوم بالعمل القانونيّ المناسب أم لا، بعدها تُصدر تقريرها مشمولاً بالنتائج والاكتشافات إلى الرئيس.

٤ ـ **مجلس الأمن القوميّ الأميركيّ**: تمّ تأسيس مجلس الأمن القوميّ الأميركيّ بمقتضى قانون الأمن القوميّ الصادر عام ١٩٤٧ ليقوم بإسداء النصح للرئيس الأميركيّ في ما يتعلّق بتكامل السياسات الخارجيّة والعسكريّة والداخلية ذات الصلة بالأمن القوميّ. ويُعدّ مجلس الأمن القوميّ الأميركيّ أسمى كيان لفرع تنفيذيّ ـ بخلاف رئيس الولايات المتّحدة الأميركيّة ـ يقوم بتقديم المراجعة والإرشاد والتوجيه لتصريف كافّة شؤون المخابرات الخارجيّة القوميّة، وأنشطة المخابرات المضادّة. أمّا الأعضاء القانونيّون الشرعيّون في مجلس الأمن القوميّ فهم: الرئيس الأميركيّ، ونائبه، ووزير الخارجيّة، ووزير الدفاع، والأشخاص الآخرون الذين ربّما يكلّفهم الرئيس بالعمل. أمّا مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ورئيس هيئة الأركان المشتركة الأميركيّة فيشاركان بصفتهما مستشارين. أمّا نفس قانون عام ١٩٤٧ فقد كان منوطًا به تأسيس وإقامة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة كوكالة مستقلّة، ولكنّها تتبع في الوقت نفسه، مجلس الأمن القوميّ. وكان الرئيس الأميركيّ "ترومان"، أوّل رئيس يُنهي ويصفّي مكتب الخدمات الاستراتيجيّة عام ١٩٤٥، ويقيم، في نفس الوقت، جهازًا جديدًا ألا وهو: وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. وكانت تقارير أجهزة مخابرات مجتمع المخابرات الأميركيّة إبّان الأزمات الدوليّة أو عن الأسرار الخطيرة للمؤامرات

والجاسوسيّة الأجنبيّة مدعاة لعقد اجتماعات الرئيس الأميركيّ مع أعضاء مجلس الأمن القوميّ ورجال أجهزة الاستخبارات الأميركيّة لرسم السياسة وصنع القرار اللازم لمواجهة ما يتهدّد أمن البلاد وسلامتها.

٥ ـ **مجموعة العمل العليا داخل المخابرات**: تتألّف لجنة مجلس الأمن القوميّ من مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، ومساعد الرئيس لشؤون الأمن القوميّ، ونائب وزير الخارجيّة، ووزير الدفاع، ورئيس هيئة الأركان المشتركة الأميركيّة، ونائب النائب العامّ، ومدير مكتب المباحث الفدراليّة، ومدير وكالة الأمن القوميّ للمخابرات. أمّا رئيس مجموعة العمل العليا داخل المخابرات فيختلف باختلاف جدول أعمال الاجتماع، فعلى سبيل المثال، فإنّ مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة يكون الرئيس حينما تناقش المجموعة أمورًا منصرفة إلى المخابرات. وتتمثّل تكليفات جهاز مخابرات مجموعة العمل العليا داخل المخابرات في إسداء النصح وتقديم المعونة والمساعدة لمجلس الأمن القوميّ، وذلك في ما يتعلّق بتصريف سلطاته ومسؤوليّاته المتعلّقة بسياسة المخابرات وشؤون الاستخبارات. ويضمن أنّ مسائل المخابرات والسياسة ذات الشأن التي تتطلّب العناية والانتباه داخل مجتمع المخابرات سوف تحظى بالتنسيق التامّ والفوريّ والنظاميّ. كما تقوم بمراقبة ورصد تنفيذ السياسات المعتمدة سلفًا التي سبق وتمّ الموافقة عليها وإجازتها وكذلك القرارات.

تجربة في الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة

عمل المستر "ليو تشيرن" نائبًا لرئيس الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة. وهو أيضًا المدير التنفيذيّ لمعهد أبحاث أميركا، ورئيس "بيت الحريّة" الذي هو عبارة عن إحدى التنظيمات الخاصّة بترقية وتقدّم الكفاح والنضال من أجل الحريّة. وعن دولاب عمل الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة... يقول "ليو تشيرن" إنّها أُسّست بمقتضى أمر تنفيذيّ من الرئيس الأميركيّ، وهي عبارة عن مجموعة مستقلّة بدون أيّ قوى خارجيّة تمارس الضغط عليها، وليست هيئة حزبيّة، بل هي عبارة عن مجموعة مصمّمة لمساندة رئيس الولايات المتّحدة الأميركيّة ومدير وكالة المخابرات المركزيّة، كلّما كان ذلك ضروريًّا. وتقوم بمساندة الرئيس أو مستشار الأمن القوميّ مباشرة. وفي نفس الوقت ليست الهيئة الاستشاريّة مجموعة سريّة، إلاّ أنّ الأمور التي تتمّ مناقشتها تتّصف بطابع سريّ، لاتّصالها بالمخابرات. لذلك لا يمكن التطرّق إلى الأمور والمسائل التي تتعلّق بمهام هذه الهيئة، لأنّها، كما ذكر سابقًا، تتّصف بالسريّة وفقًا لمجريات العمل لصالح البلاد، بمقتضى طلب وأوامر الرئيس، ومن ثمّ لمقتضيات سريّة وخصوصيّة مهنة المخابرات.

ويمضي "ليو تشيرن" قائلاً: إنّ اجتماعات الهيئة تتمّ في جوّ بالغ السريّة والتكتّم بصفة مطلقة، وتتّصف عمليّات الأمن هنا بأنّها ممتازة وكافية بحيث يستحيل تسرّب المعلومات. من هنا كانت الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة هدفًا لجهاز المخابرات السوفياتيّة الـ KGB الذي كان يتوق إلى معرفة مهامها. لكنّ الجمهور أو العامّة لا يعرف شيئًا عن الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة، حيث لا تجذب اهتمام أحد، ولو كان ثمّة اهتمام أو انتباه من أيّ امرئ لها فهو ضئيل،

والصحافة تسعى وراء النواحي الصغيرة التي لا تمثّل صلب العمل الاستخباريّ إذ إنّها لا تهتمّ سوى بالجاسوسيّة والمنشقّين والأمور من هذا القبيل.

ويحكي "ليو تشيرن" قصّة تكليفه بالعمل في الهيئة فيقول إنّه قابل الرئيس الأميركيّ "ريتشارد نيكسون" بالرغم من عدم انتمائه إلى حزب الرئيس السياسيّ، إلاّ أنّ اتّصالات عديدة جرت بينهما، في الوقت الذي كان "ليو تشيرن" يعمل في لجنة الإنقاذ الدوليّة، حيث التقى "بيل دونوفان" إبّان زمن الانتفاضة المجريّة سنة ١٩٥٦. ويقول "ليو تشيرن" إنّ طبيعة عمل الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة تتمثّل في عدّة فئات هي: ١) الرئيس يصدر أوامره مطالبًا أفراد الهيئة بإنجاز بعض المهام. ٢) يقوم أفراد الهيئة بالعمل بالتعاون مع عناصر تنتمي إلى مجتمع المخابرات. ٣) يعكف أفراد الهيئة على الدراسة ويقومون بتنفيذ الأوامر ثمّ يصدرون توصياتهم بشأن إحداث التغييرات اللازمة أو إجراء التحسينات الضروريّة.

ويؤكّد "ليو تشيرن" على أنّ الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة مختصّة أساسًا بالمراقبة والإشراف، وبالتالي فإنّها لا تتورّط في سلوك أو تصرّفات مثل التي تأتيها أجهزة ووكالات المخابرات. وكلّ ما يهمّ الهيئة الاستشاريّة هو نوعيّة التقارير وجودتها، الحالة الشاملة للمخابرات، تحليل كافّة أنواع التقارير والمعلومات والبيانات والاستخبارات التي تردها من كافّة فروع وأجهزة ووكالات مجتمع المخابرات وكذلك وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. هذا بالإضافة إلى التحليلات التي تشمل المعلومات والاستخبارات التي يقوم بها أفراد الهيئة أنفسهم أو رجالهم. ثمّ تخضع التحليلات لعمليّات المراجعة والفحص والتمحيص، وكلّها تتعرّض لأساليب وطرق التصميم الاستخباريّة، وذلك من أجل تحرّي دقّة المعلومات المقدّمة إلى الرئيس، لأنّه، بناء عليها، سوف يقوم باتّخاذ القرارات السياسيّة الهامّة التي ربّما تؤثّر

على مستقبل البلاد. ويثير حفيظة هذه الهيئة الأسئلة المتعلّقة بمدى سلامة وحسن أساليب جمع المعلومات التقنيّة، وكذلك الأساليب الفنيّة لإجراء التحليلات.

ويقول "ليو تشيرن" إنّ الرئيس الأميركيّ هو الذي يختار العاملين في هذه الهيئة. وكلّ رئيس جديد للولايات المتّحدة يختار هيئة استشاريّة مختلفة، وتكون الأهداف، في الغالب، قائمة على ما يمليه الاتّجاه الذي يتبنّاه الرئيس. وكلّ هيئة استشاريّة تختلف عمّا سواها من الهيئات الاستشاريّة الأخرى في عهود مختلف الرؤساء، وبالتالي تختلف أهميّة كلّ هيئة باختلاف طبيعة ورجال كلّ عهد وكلّ رئيس. حيث هناك بعض الرؤساء الذين يهتمّون، للغاية، بأعمال الهيئة الاستشاريّة ويعايشون أنشطتها ويصدرون إليها التكليفات. وهناك البعض الآخر، مثل الرئيس "جيمي كارتر" الذي لم يكن يريد وجود هذه الهيئة على الإطلاق. إذ إنّ عناصر الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة يقومون بانتقاد الآخرين وإبراز عيوبهم وأخطائهم وأوجه التقصير في أعمالهم. وليس ثمّة شخص واحد في الحكومة يريد من أيّ إنسان آخر أن يتفاخر عليه ويترأسه ويقف على رأسه لينتقده...

إلاّ أنّه، على مدار السنين، اتّخذت الهيئة الاستشاريّة الرئاسيّة للمخابرات الخارجيّة قرارات حاسمة وأصدرت توصيات حازمة كان من شأنها أن حسّنت مجتمع المخابرات الأميركيّة بصفة عامّة، وجهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بصفة خاصّة.

ويؤكّد "ليو تشيرن" على أنّ مستقبل وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة سيكون عظيمًا وذا خطر، حيث سوف يزداد حجم المخابرات الأميركيّة وحجم المخابرات الأجنبيّة للدول الأخرى، لأنّ الجميع يعيش في عالم متكافل يعتمد بعضه على البعض الآخر. وفي نفس الوقت تتفاقم الصراعات والنزاعات وتتنامى جذور المشكلات

العالميّة، وكذا تتصاعد مشكلات الولايات المتّحدة التي تتعرّض للتحدّيات الواردة من شتّى بقاع العالم مثل دول العالم الثالث، التي تطوّر تكنولوجيّتها واقتصاديّاتها، والديون الهائلة لدول كثيرة بالإضافة إلى الاتّحاد السوفياتيّ قبيل انهياره. ومكمن الخطر هنا هو أنّ هذه الدول سوف تشعر بقوّتها في الداخل، أي داخل أوطانها، ما يدفعها إلى المغامرة في الخارج. ولعلّ هذا يفسّر احتياج الولايات المتّحدة إلى أفضل التحليلات والاستخبارات.

مخابرات مجموعات العمل الداخليّ في مجتمع المخابرات

أُنشئت أجهزة مخابرات مجموعات العمل الداخليّ في مجتمع المخابرات لكي تساعد مجموعة العمل العليا داخل المخابرات، ولكي تدرس قضاياها ومسائل السياسة الفرديّة. وتتكوّن كلّ مجموعة من مجموعات العمل الداخليّ من ممثّلين عن أعضاء مجموعة العمل العليا، وذلك بمجرّد صدور الدعوة من رئيس أجهزة مخابرات مجموعات العمل الداخليّ. ويقوم آخرون بالاضطلاع بمسؤوليّات محدّدة للأمور والشؤون موضع البحث والدراسة. ويرأس أحد ممثّلي وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة الاجتماعات التي تتناول المخابرات القوميّة الخارجيّة، كما يقوم أحد ممثّلي مكتب المباحث الفدراليّة أو "مكتب الاستخبارات الاتّحاديّة" برئاسة الاجتماعات التي تتعلّق بالمخابرات المضادّة الداخليّة، في ما عدا الإرهاب الدوليّ، الذي ينقسم بين أحد ممثّلي وزارة الخارجيّة عن شؤون الإرهاب خارج الحدود، وأحد ممثّلي النائب العام عن الإرهاب داخل الولايات المتّحدة.

ومن الممكن تكليف أيّ عدد غير محدّد من مجموعات العمل الداخليّ في مجتمع المخابرات من جانب مجموعة العمل العليا للاضطّلاع بمثل هذه الأمور المتعلّقة برسم السياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة الأميركيّة. وفي المقابل، تقوم أجهزة مخابرات مجموعات العمل الداخليّ في إطار مجتمع المخابرات الأميركيّة بتأسيس مجموعات عمل أخرى كلّما تطلّب الأمر ذلك، وكلّما حتّمت الضروريّات فعل هذا، وذلك من أجل إسداء العون والدعم للميكانيزمات المقرّرة التي تمّت الموافقة عليها من جانب مجلس الأمن القوميّ.

لجنة انتقاء رجال المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ الأميركيّ

شُكّلت لجنة انتقاء رجال المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ الأميركيّ في سبعينات القرن العشرين، وكان الغرض من تشكيلها هو القيام بالتحقيقات والتحرّيات في المفاسد وسوء استغلال السلطة التي اتُّهم بها بعض رجال مجتمع المخابرات.

لقد تمّ تشكيل هذه اللجنة امتثالاً لتقرير عن المساوئ والمفاسد التي ترتكبها المخابرات ضدّ المواطنين العاديّين المذكورين في تقرير روكفلر الذي كان الرئيس الأميركيّ "فورد" قد كلّفه بإعداده. ولقد شعر الكثير من الأميركيّين أنّ هذا بمثابة حملة تطهير ضدّ الخوارج والمنشقين، كلّفت ما يربو على ٣ ملايين دولار واستنزفت جهود وطاقات ١٥ عضوًا بتلك الهيئة، الذين قاموا بالتحريّات والتحقيقات في مجتمع المخابرات. وفي أعقاب التحقيقات الأوّليّة التي شوّهت وأساءت، بلا ريب، إلى مجتمع المخابرات، وأعاقت الكثير من عمليّاته اليوميّة، اختار مجلس الشيوخ الأميركيّ السيناتور "دانيال ك. إنووي" ليصبح أوّل رئيس لهذه اللجنة. وبفضل جهود هذا الرجل، وجهود السيناتور "باري جولد ووتر" الذي خلفه في رئاسة نفس اللجنة، تمتّ استعادة الاحترام المتبادل بين الكونغرس ومجتمع المخابرات. والمسألة هنا كانت

حسّاسة لأنّ أعضاء الكونغرس وأعضاء مجلس النوّاب في الكونغرس الأميركيّ يعتمدون على أصوات الجماهير في الانتخابات ليصلوا إلى مقاعدهم البرلمانيّة، فجاءت المخابرات الأميركيّة ببعض التجاوزات ضدّ هؤلاء المواطنين الذين يسعى رجال مجلس الكونغرس للحصول على رضاهم، ما كان يعني تدمير شعبيّة هؤلاء النوّاب والشيوخ على المدى الطويل لو استمرّت تجاوزات ومفاسد أجهزة ووكالات المخابرات ضدّ الشعب الأميركيّ، أي الناخبين.

كيف أدّت اللجنة وظائفها الأولى؟ عندما التحق السيناتور "جولد ووتر" بما صار يُطلق عليه "لجنة الكنيسة" عام ١٩٧٥، مزّقت اللجنة أنشطة وكالة المخابرات المركزيّة السوفياتيّة. وأثارت اللجنة ووسائل الإعلام الأنشطة موضع الجدل، وكلّ هذا صدر بأوامر من رئيس الولايات المتّحدة الأميركيّة. وفي غضون هذه الفترة، تعرّضت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة للانتقادات، والهجوم، والتساؤلات. وكلّ هذا دمّر الوكالة من ناحيتَين: الأولى، العمليّات، التي صارت عرضة للبوار، إذ أُعيقت قدرة الحكومة على جمع الاستخبارات والمعلومات المطلوبة؛ الثانية، هذا التقويض أعطى للشعب الأميركيّ الانطباع بأنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة تتجسّس على مواطنيها وأهاليها، وبالتالي فهي ترتكب الأعمال السيّئة الشريرة، والأفعال التي لا تمتّ إلى طبيعة الشعب الأميركيّ وتقاليده وعاداته بصلة، وفشلت فشلاً ذريعًا في الاضطّلاع بمهامها في ما وراء البحار. وهذا هو الذي حدا بالجمهور الأميركيّ إلى أن ينظر بعين السخط إلى الوكالة. وأدّى كلّ هذا، بمساعدة الصحافة وبطرق غير مباشرة، إلى جعل الخصم، مخابرات الـ KGB السوفياتيّة آنذاك، يبدو عملاقًا بمقدار عشرة مرّات عن هامته وحجمه الطبيعيّ. فلم يعد يهمّ إذا كان الـ KGB يفعل كلّ ما في وسعه لإيذاء الشعب الأميركيّ، فالحقيقة هي أنّ هذا الجهاز السوفياتيّ ظهر كمنتصر في حرب لم

يخضها ضدّ الولايات المتّحدة. وصدرت مجلّة الـ "تايم" الأميركيّة بغلاف ضخم في أيلول ـ سبتمبر ١٩٧٤ يصوّر مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة وهو يرتدي نظّارة سوداء، وكتبت على العدسة الأولى "هل وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة"، وعلى العدسة الثانية "تجاوزت كلّ حدود اللياقة؟". وشنّت المجلّة حملة انتقادات لاذعة وقاسية على "ويليام إيجان كولبي" مدير الوكالة، ومن هنا اندلعت شرارة التحقيقات في أعمال وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

تولّى السيناتور "جون ماكليلان" التحقيقات مع مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة السابق "هيلمز" والمدير الذي كان يتولّى الوكالة إبّان وقت التحقيقات "ويليام كولبي". وقد برّأ مديرا الوكالة نفسَيهما من الاتّهامات التي وجّهها إليهما الكونغرس وأبليا البلاء الحسن ضدّ أخصامهما من رجال الكونغرس الأميركيّ.

وتلقّت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في الخارج صدمة عنيفة من جرّاء هذه التحقيقات الفريدة في صميم أجهزة ووكالات الجاسوسيّة الأميركيّة. وفي ذلك الحين اتّهم النقّاد المستر "هيلمز" بعدم التصريح أو الإدلاء بكلّ شيء فيه الكفاية، كما اتّهموا "ويليام كولبي" بالإفضاء بكلّ شيء وبأكثر ممّا كان ينبغي. وفي التقييم النهائيّ أثبت كلاهما أنّهما أمينان وجديران بالثقة وقادران على الاضطّلاع بالمسؤوليّة.

ساهمت تلك التحقيقات في خلق القاعدة أو الأساس لظهور جماعات المراقبة على أعمال أجهزة ووكالات مجتمع المخابرات الأميركيّة، وهي التي عُرفت باسم "كلاب الحراسة". وفي مسح للرأي العام أُجري عام ١٩٨٥، بين طلاّب الجامعات والمدارس العليا الأميركيّة، اتّضح أنّ الصورة الذهنيّة المأخوذة عن المخابرات السوفياتية في أعقاب أزمة المخابرات الأميركيّة، صارت وكأنّها لم تكن لأنّها تلاشت. وبينما تولّى السيناتور "غولد ووتر" التحقيقات، تمّ تحقيق القفزات والخطوات الهائلة التي طوتها

اللجنة في قيامها بكلّ من مراقبة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة والحفاظ على قنوات جمع الاستخبارات والمعلومات الجيّدة مفتوحة. وتُعدّ كلّ من هاتَين العمليّتَين إنجازًا يُنسب إلى السيناتور "غولد ووتر"، الذي قام مع اللجنة التي واصلت التحقيق في عمليّات المخابرات الأميركيّة، بعمل الكثير من أجل حماية عملاء العمل السريّ في الخارج، ومرّروا مشروعات القوانين والتشريعات التي تحرّم نشر أسماء العملاء، وفعلوا المزيد بأكثر ممّا بوسعهم للسماح لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة لتقوم بأداء مهامها، ألا وهي جمع الاستخبارات والمعلومات عن الأهداف الأجنبيّة خارج البلاد وفي ما وراء البحار.

عانت وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة أثناء عمل لجنة "تشرش" الخاصّة بمطاردة الخارجين والمنشقّين أي أولئك الرجال المتّهمين بتجاوز وظائفهم الرسميّة والمحدّدة في الوكالة بالإساءة إلى المواطنين الأميركيّين في الداخل وضرب أهداف بريئة في الخارج، وكانت هذه اللجنة قد سُمّيت باسم السيناتور الأميركيّ الذي اضطلّع بالعمل فيها وهو "فرانك تشرش" وكان يعاونه عضو مجلس الشيوخ الآخر "جون تاور". ولقد ثبت أنّ معظم المفاسد والمساوئ التي نُسبت للوكالة لا أساس لها من الصحّة، ذلك أنّ تغطية وسائل الإعلام وحملات التشويه التي قام بها جهاز المخابرات السوفياتيّ جعلت الشعب الأميركيّ يغضب على العمل الخفيّ ومحاولات الاغتيال. ويشعر الكثيرون من ضبّاط المخابرات أنّه، على الرغم من أنّ هذه المرحلة أضرّت مبدئيًا بالعمليّات السريّة، إلاّ أنّ عمليّة نضج وإنضاج الشعب الأميركيّ إزاء المخابرات قد بدأت. أمّا لاحقًا، وفي ظلّ عمليّات الجاسوسيّة السوفياتيّة الدائمة في أميركا، وحملات التشويه السوفياتيّة، فقد تحقّق الشعب الأميركيّ من أهميّة مجتمع المخابرات الأميركيّة برمّته.

لجنة مجلس النوّاب الأميركيّ

يضطلّع مجلس النوّاب الأميركيّ بنفس نوع المراقبة التي يقوم بها مجلس الشيوخ الأميركيّ، وكلاهما يشكّلان الكونغرس أو البرلمان.

إنّ مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة مسؤول عن الحفاظ على دوام إطلاع اللجنة على شتّى نواحيَ وأنشطة مجتمع المخابرات وكذا تقديم المعلومات المحدّدة المطلوبة من جانب اللجان.

لقد تسبّب في الشروع بارتكاب الكثير من المفاسد والمساوئ الناتجة عن أنشطة أجهزة المخابرات الأميركيّة، رؤساء الولايات المتّحدة المتعاقبون. وكان معظمهم يعتقد بأنّ وكالة المخابرات المركزيّة بمثابة الرجل الـ "سوبرمان" الذي يستطيع إنجاز أيّ شيء لا تستطيع الدبلوماسيّة إنجازه. ويُعدّ الرئيس "كينيدي" أكثر الرؤساء الأميركيّين الذين تسبّبوا في الشروع بارتكاب الكثير من عمليّات وكالة المخابرات المركزيّة ذات الطابع الخفيّ والسريّ أي الاغتيالات وخلافه، أكثر بكثير من أيّ رئيس آخر تولّى قمّة الجهاز التنفيذيّ للولايات المتّحدة. وربّما كان هذا هو السبب في حدوث أكبر فضائح عمليّات المخابرات الأميركيّة في عهده، والتي تردّدت أصداؤها في الصحافة الأميركيّة قاطبة، وفي الصحافة العالميّة، وأجهزة الإعلام حول العالم كلّه، وتلك الفضيحة هي الخاصّة بخليج الخنازير. والرئيس "كينيدي" نفسه كان ضحيّة للعمل السريّ أي من قبيل الأعمال القذرة التي كانت تقوم بها أجهزة مخابراته. وبذلك يكون كينيدي قد شرب من نفس الكأس المترعة التي طالما أسقى منها خصومه في داخل الولايات المتّحدة وخارجها.

الكونغرس الأميركيّ: يُعتبر الكونغرس الأميركيّ ثالث كلاب الحراسة على وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، إذ إنّ لكلّ من لجنة الانتقاء التابعة لمجلس الشيوخ،

واللجنة الدائمة لانتقاء رجال المخابرات التابعة لمجلس النوّاب، مسؤوليّات برلمانيّة رئيسيّة بالإشراف على سائر أنشطة المخابرات. أمّا لجنتا الاعتمادات التابعتان لمجلس الشيوخ والنوّاب بالكونغرس فيضطلّعان بمراجعة أنشطة الاستخبارات لضمان أنّها ذات جدوى وتناظر التكاليف المنفقة عليها. وتمارس "كلاب الحراسة" وظيفة إشراف حقيقيّة عن طريق فحص وتمحيص عمل وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة على أساس استمراريّ اطّراديّ، وتقدّم النصيحة والإرشاد كلّما كان ذلك ضروريًّا. وترسل الوكالة تقاريرها إلى اللجان المسمّاة "كلاب الحراسة" بالتفصيلات المفعمة وتستجيب استجابة تامّة لمطالبها بالحصول على المعلومات الخاصّة بأنشطة المخابرات.

تُعدّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة تنظيمًا استخباريًّا يعمل أساسًا خارج البلاد، نيابة عن حكومة الولايات المتّحدة الأميركيّة، فتجمع وتحلّل وتنشر الاستخبارات الخارجيّة. إلاّ أنّ لها كذلك أعمالها الهامّة داخل الولايات المتّحدة حيث أنّ اتّصالاتها بكافّة أجهزة مجتمع المخابرات الأميركيّة تقوم على قدم وساق وتكاد تكون بصفة يوميّة ومضطردة، ذلك أنّ التنسيق بين هذه الأجهزة كلّها جزء لا يتجزّأ من وظائف الوكالة المركزيّة. وليس للوكالة أيّ سلطات في فرض أو تعزيز القانون، كما سبق وأشرنا، وتخضع ميزانيّتها بعناية لعمليّات فحص مكتب الإدارة والميزانيّة، حتّى إذا لم يكن ذلك معلنًا على الملأ. وفي الوقت الذي تلقى عمليّاتها الفاشلة أو أوجه القصور والفشل في الغالب، الصرخات المدويّة والنفير في الأبواق، نجد أنّ عمليّاتها الناجحة أو أوجه النجاح نادرًا ما تلقى الإشادة أو المدح، لأنّها ببساطة يجب أن تبقى طيّ الكتمان تحت ستائر التكتّم والسريّة.

تعرّضت الوكالة للتغييرات الهائلة منذ نشأتها وبدء عملها، وفي أعقاب الحرب العالميّة الثانية بعدما غربت شمس الحروب الضروس والطاحنة على مسارح القتال

الدوليّة. ثمّ أضحت تسير على نهج درب جديد ولطيف قوامه: ١) العلانية داخل دوائر الحكومة وأوساطها، حسبما يتوقّع الأميركيّون، ٢) والسريّة التي تحتّمها المخابرات من خلال طبيعتها الخاصّة وأوامرها ذات الطابع السريّ.

وبرغم حقيقة أنّ أقوامًا كثيرين ينتمون للحكومة، يعملون في وظائف لمراقبة والرصد لأنشطة المخابرات، إلاّ أنّ معظم عمليّات تسريب الأسرار الأمنيّة قد أفشتها الصحافة ووسائل الإعلام، والمواطنون العاديّون، الذين يتصرّفون وفق ما يحلو لهم.

يتحدّث الأدميرال "ستانسفيلد تيرنر[١]" عن العمل الخفيّ، أي الاغتيالات، والإشراف والمراقبة على المخابرات فيقول إنّها ضروريّة، لأنّ ضعف الإشراف والمراقبة أدّى إلى حدوث عدد من الإخفاقات وأوجه الفشل. على سبيل المثال، عمليّة جهاز المخابرات الفرنسيّة السريّة التي سُمّيت "غرين بيس"، وحالة تجسّس ألمانيا الغربيّة، وأخيرًا ضبط الجاسوس الإسرائيليّ في الولايات المتّحدة الأميركيّة. وهي مسألة خلافيّة في مجتمع المخابرات، ذلك أنّ عمليّات التسريب تضرّ بالجهاز، لكنّ العمل الخفيّ السريّ وعمليّات الإشراف والمراقبة لا بدّ من أن يسيرا جنبًا إلى جنب، وبذلك يؤدّيان خدمة جليلة للسياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة الأميركيّة. ويضيف أنّه عندما جاء من سلاح البحريّة لتوليّ منصب مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، كانت الوكالة

---

١ ـ **الأدميرال ستانسفيلد تيرنر** : وُلد ١٩٢٣ في مدينة "هاي لاند بارك" بولاية إيلينوي، تخرّج من الأكاديميّة البحريّة ١٩٤٦، أحد علماء جامعة "رودس"، حصل على درجة الماجيستير في الفلسفة والسياسة والاقتصاد من جامعة أوكسفورد ١٩٥٤، مدير قسم تحليل النظم بمكتب رئيس العمليّات البحريّة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢، لواء بحريّ ١٩٧٢، رئيس الكليّة الحربيّة البحريّة الأميركيّة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤، قائد الأسطول الثاني للولايات المتّحدة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥، أدميرال ١٩٧٥، القائد العامّ للقوّات المسلّحة للحلفاء لمنطقة جنوب أوروبّا التابعة لحلف شمال الأطلسيّ "ناتو"، الجناح الجنوبيّ ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧، مدير لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ١٩٧٧ بتعيين من الرئيس الأميركيّ الأسبق "جيمي كارتر".

لا تزال واقعة تحت شبح المساوئ والمفاسد واستغلال النفوذ، مثل فتح وفضّ البريد، والتجسّس على الأهالي والمواطنين، وحالة انشقاق العميل "توسنيكو". فحاول دفع الوكالة قدمًا إلى الأمام والقيام بوظائفها وهي الاستخبارات. وباشر إعادة التنظيم وشقّ المسار والمسالك والطرق لانطلاق أجهزة الوكالة.

وعن أزمة الرهائن الأميركيّين في إيران يقول الأدميرال "ستانسفيلد تيرنر" إنّ تلك الأزمة استهلكت الكثير من الوقت والجهد داخل جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة حيث كان حوالي ٧٠ بالمائة من وقت مدير الوكالة مقصورًا عليها. وقد يتساءل البعض عن حقيقة وجود مئات الرجال السريّين الذين يعملون في إيران ويتنكّرون في هيئة رجال الأعمال، ويتساءلون عمّا إذا كان معظم الرهائن الأميركيّين رجالاً تابعين لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة؟ وأنا ـ والكلام لـ "ستانسفيلد تيرنر" ـ كمدير للوكالة يمكنني القول إنه في فترة ولايتي، قمنا بالشروع في الكثير من العمل الخفيّ، أي الاغتيالات وخلافها، فضلاً عن العمليّات العامّة بأكثر ممّا فعلت أيّ إدارة أخرى...

ولقد تعرّض الأدميرال "ستانسفيلد تيرنر" للكثير من الانتقادات من جرّاء تقليصه قسم الجاسوسيّة إذ إنّه ألغى ٨٠٥ وظائف من وظائف المخابرات، ليس عن طريق الطرد بل عن طريق منع التعيينات الجديدة، لا سيّما وأنّ الشطر الأعظم من رجال الجاسوسيّة في المخابرات الأميركيّة كان على وشك بلوغ السنّ القانونيّة والتقاعد، كما أنّ هذا الجهاز كان متخمًا بالعاملين وهيئات الموظّفين، وما كان ينبغي أن يبقى الوضع على ما هو عليه.

وفي ما يتعلّق بازدياد عدد المنشقّين السوفيات على الولايات المتّحدة يقول الأدميرال "ستانسفيلد تيرنر" إنّ المجتمع السوفياتيّ أضحى مفتوحًا بعد "البريسترويكا"

وتفكّك الاتّحاد السوفياتيّ، وصار عرضة للمعلومات الواردة إليه عن أسلوب الولايات المتّحدة في الحياة أو النموذج الأميركيّ، وكلّ هذا كفيل بدفع عملاء الـ KGB للانشقاق وتفضيل النموذج الأميركيّ.

وهناك حقيقة قوامها أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، والنظام العامّ لمجتمع المخابرات الأميركيّة بانفتاحيّته والتكنولوجيا المتقدّمة، أخذ يتقدّم في ظلّ عمليّات الإشراف والمراقبة المفروضة عليه، ليصبح أكثر تفوّقًا على نظيره السوفياتيّ الـ KGB، أو جهاز أمن الدولة، على عهد النظام السوفياتيّ القديم قبيل انهيار الأمبراطوريّة السوفياتيّة.

وكان من بين أولويّات "تيرنر" وخططه: ١) إقناع مجتمع المخابرات بأنّ الإشراف الجيّد أمر ضروريّ وأساسيّ من أجل فعاليّة المخابرات. ٢) القيام بالتحليلات المتقنة عبر الاستعانة بمحلّلين كانت لهم سابق خبرة وحياة ومعيشة داخل البلدان الأجنبيّة التي سوف يتخصّصون في مجالاتها ويتحدّثون لغاتها. ٣) فصل أدوار وأعمال مدير وكالة المخابرات المركزيّة عن رئيس مجتمع المخابرات. ٤) إدماج فروع الجاسوسيّة والتحليلات داخل الوكالة. ٥) تقوية سلطة الوكالة والمدير على جهاز وكالة الأمن القوميّ. ٦) إيقاف تسرّب المعلومات. ٧) تخفيض التركيز على العمل الخفيّ والسريّ. ٨) إزالة الصفة السياسيّة لدور ووظائف مدير وكالة المخابرات المركزيّة. ٩) الصراحة والعلانيّة والديمقراطيّة.

كلاب الحراسة والـ KGB

ليس هناك وكالة مخابرات في العالم تخضع لذلك القدر الهائل من المراقبة والفحص مثل وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. ويعيق هذا الفحص من أوجه عديدة، العمليّات التي ينبغي أن تظلّ سريّة، ويثير الأسئلة بشأن مدى توافر احتياطات وشروط الأمن.

وكما جاء ذكره، فإنّ جماعات المراقبة والإشراف على أعمال أجهزة ووكالات المخابرات الأميركيّة المعروفة باسم "جماعات كلاب الحراسة" أصبحت هدفًا ذا أولويّة قصوى ويحظى بالأهميّة ضمن الأولويّات الجديدة للسوفيات. وليس معلومًا أيّ شيء عن عمليّات الـ KGB ذات الصلة بكلاب حراسة جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، إلاّ أنّه تمّ الكشف عن المزيد والمزيد من المعلومات عن الـ KGB التي تستهدف تشويه وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

وقد استخدم الـ KGB عملاء زائفين، وحملات التضليل، واستعمل أجهزة استراق الاتّصالات عبر الأسلاك، أي إقامة الاتّصال غير المشروع مع أسلاك البرق أو الهاتف بغية الاطّلاع على المخابرات الجارية بواسطتها، بالإضافة إلى الأجهزة التكنولوجيّة الأخرى لمراقبة وتمزيق أنشطة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. وهدفهم الأقصى هو زرع عميل سوفياتيّ سريّ في صفوف أو قيادة الوكالة. كما كانوا يحاولون دومًا، وذلك قبيل انهيار الاتّحاد السوفياتيّ، اختراق الجامعات الأميركيّة وكبار المفكّرين والوكالات الحكوميّة، ومكتب المباحث الفدراليّة والمخابرات العسكريّة. وكانت تقوم وكالة الأمن القوميّ الأميركيّة بمواجهة وإعاقة جهود الجمع السوفياتيّة عن طريق التشويش ووضع العثرات لتعطيل الاتّصالات.

بالرغم من صعوبة توثيق أنشطة الـ KGB. إلاّ أنّ حقائق معيّنة هي المعروفة عن عمليّات لجنة أمن الدولة السوفياتيّة. ويعطينا الكتاب الناجح عن الـ KGB بعنوان: "العمل السريّ لعملاء السوفيات السريّين" بقلم "جون بارون"، أول لمحة حقيقيّة عن بعض من أنشطة الـ KGB. كما أنّ المنشور الذي أصدرته رابطة الضبّاط السابقين بأجهزة المخابرات وعنوانه: "أداة السيادة السوفياتيّة" بقلم "توماس بولفار" يعطينا البصيرة الواضحة في أسرار أنشطة الـ KGB. ولسوء الحظّ لم يتمّ نشر أيّ كتب ذات قيمة عن الـ KGB وجهوده في اختراق أجهزة المراقبة والإشراف على وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة المعروفة باسم "كلاب الحراسة"، وكذا جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة نفسها.

الشيء المعلوم هو أنّهم يجوسون ويطوفون خلسة بحثًا عن فريسة أو ابتغاء السلب والحصول على الأسرار داخل صالات الكونغرس وأروقته، والأجهزة الحكوميّة الأخرى. ولسوء الحظّ، أنّه في مجتمع ديمقراطيّ مفتوح يمكن فعل القليل فقط. ومن ناحية أخرى إنّهم كانوا يشجّعون نشر التضليل الذي يمكن أن يتسبّب في الارتباك والقلق والاختراق داخل الوكالات الحكوميّة. كما أنّهم كانوا يحاولون زرع أنفسهم في مواقع ملاصقة لأولئك المسؤولين عن شؤون وأمور المخابرات، كأعضاء اللجان، والوزراء، والمساعدين، ومحرّري الصحف، إلخ.

وكانت المخابرات السوفياتيّة تقدّم المساندة الماليّة أو الدعم للمواطنين الأميركيّين والعملاء السابقين الذي يسعون إلى الإثارة الحسيّة ويفضحون أنشطة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة. وليس ثمّة أشياء من شأنها أن تروّج للأهداف السياسيّة الخاصّة بالاتّحاد السوفياتيّ قبيل انهياره، سوى تشويه صورة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، وتشجيع التحقيقات والتحريّات بهدف تشتيت ذهن الوكالة وتركيزها، عن

أهدافها الرئيسيّة الكبرى. ولكن هناك بمعنى آخر نوع ما من "كلاب الحراسة" أو هيئات الإشراف والمراقبة والترصّد على لجنة أمن الدولة أو الـ KGB قبيل استقلال جمهوريّات الاتّحاد السوفياتيّ، حيث أنّ هناك عددًا كبيرًا من عملاء الـ KGB ورجاله كانوا يتجسّسون بعضهم على البعض الآخر. ولم يكن من المحتمل آنذاك أن يقوم رئيس الوزراء بتقليص مفاسد الـ KGB ومساوئه وسلطاته التي كانت تتمتّع بها المخابرات في ذلك الحين. ويعتقد الكثير من محلّلي وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بأنّ "غورباتشيف" كان قادرًا على توسيع عمليّات الـ KGB، وبخاصّة داخل الولايات المتّحدة الأميركيّة، لو كان لا يزال على أعلى سلطات بلاده، ولم تتقوّض دعائمه.

جدير بالذكر أنّ مجلس السوفيات الأعلى أو "البريزيديوم" وفقًا لمعايير الحقائق السياسيّة، كان بوسعه، ومن صلاحيّاته، مراقبة جهاز المخابرات السوفياتيّة، والقيام بدور "كلاب الحراسة".

المواطنون العاديّون

إنّ معظم عمليّات كشف وتسريب أسرار وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة جاءت من المواطنين العاديّين، الذين ربّما كان يساندهم جهاز المخابرات السوفياتيّة الـKGB، أو أعضاء وكالات المخابرات الشيوعيّة. إنّ أسماء أكثر من ألف شخص من ضبّاط وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة قد تمّ كشف أسرارهم وهتك علاقاتهم بالعمل الاستخباريّ في كتابَين ألّفهما الضابط السابق في وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة "فيليب آجي". أمّا "لويس وولف" مساعد رئيس تحرير نشرة معلومات العمل الخفيّ، التي يساهم فيها "فيليب آجي" فيزعم أنّ هذه النشرة كشفت أسماء أكثر من ٢,٠٠٠ شخص من ضبّاط الوكالة على مدى ستّة أشهر. إنّ مخاطر مثل هذه

الإفشاءات لأسرار عملاء المخابرات قد تأكّدت من خلال حوادث العنف في اليونان وجامايكا ونيكاراغوا... إذ تعرّض "ريتشارد ويلش" رئيس محطّة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في أثينا لإطلاق الرصاص عليه وقُتل أمام منزله في كانون الأول ـ ديسمبر عام ١٩٧٥، بعد أقلّ من شهر على كشف هويّته في صحيفة "أثينا ديلي نيوز". وكان اسمه قد تعرّض للتداول في وقت سابق على هذا التاريخ في إحدى المجلّات التي كان يصدرها آنذاك "فيليب آجي" الذي أصبح أحد كبار منتقدي الوكالة.

وفي ٤ تمّوز ـ يوليو ١٩٨٠، في مدينة "كينغزتون" في دولة "جامايكا"، أُطلق الرصاص على "ريتشارد كينزمان" أحد المسؤولين بإحدى السفارات الأميركيّة، وذلك بعد ٤٨ ساعة فقط على أحد المؤتمرات الصحافيّة التي عقدها في "جامايكا" "لويس وولف" مساعد رئيس تحرير نشرة معلومات العمل الخفيّ، وأفصح في خلاله عن اسمه واسم ١٤ شخصًا من الديبلوماسيّين الأميركيّين العاملين في المخابرات، باعتبارهم عملاء متّهمين بالتورّط في العمل مع وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

وفي ٧ تمّوز ـ يوليو ١٩٨٠، بعد ثلاثة أيّام من ضرب منزل "كينزمان" بالمدافع الآليّة والقنابل تمّ فضح موظّف آخر بالسفارة وكشف علاقاته بالمخابرات الأميركيّة، ومن ثمّ تعرّض هو كذلك لمحاولة اغتيال إلاّ أنّه نجا منها بدون أن يُصاب بأذى.

وفضلاً عن هتك سريّة الأسماء وكشف هويّات العملاء، نشر "وولف" علانية عناوين هؤلاء وأرقام هواتفهم وألوان سيّاراتهم ولوحات رخصها. وفي ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٨١، بعد عدّة أسابيع على زيارة "فيليب آجي" لنيكاراغوا، اتّهم في أحد المؤتمرات الصحفيّة أكثر من ١٤ عميلاً للمخابرات المركزيّة بأنّهم مختبئون في القسم السياسيّ داخل السفارة الأميركيّة، وتمّ ذكر أسماء أربعة مسؤولين أميركيّين كعملاء لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، وذلك في إحدى الصحف المؤيّدة

للحكومة في العاصمة "ماناغوا". بعدها تعرّض هؤلاء الأربعة لاضطهاد وإرباك الرجال المسلّحين.

وفي الفترة الواقعة بين ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر و١٣ كانون الأوّل ـ ديسمبر ١٩٨١، تعرّضت ثلاث نساء من الموظّفات في السفارة الأميركيّة للهجوم والتقييد وسدّ الفمّ بالأربطة من قِبَل ثلاثة مسلّحين تغلّبوا على الحراس واقتحموا منازلهنّ في ماناغوا...

العلوم والتّكنولوجيا

لقد تمّ تطبيق كافّة الاكتشافات العلميّة والتقدّم التكنولوجيّ والتقنيّات الحديثة في خدمة المخابرات، أي في صنع الأجهزة والمعدّات البالغة الدقّة والتعقيد، وهي التي يتمّ استخدامها، عادة، في جمع المعلومات والاستخبارات وإعداد التقارير وخلافه. وكلّها وظائف أساسيّة لم يعد بإمكان أيّ جهاز أو وكالة مخابرات العمل بدونها، في عالم اليوم الذي صار فيه العلم هو السلطان الوحيد بلا منازع. وهناك الطائرات المتقدّمة من طراز (U-2) والطائرات الخاصّة التي تطير ليلاً بهدف جمع المعلومات وتصوير المنشآت الحيويّة وانتشار القوّات ومنصّات إطلاق الصواريخ وغيرها. ولقد كانت نجاحات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة CIA ترتكز، في شطرها الأعظم، على التفوّق التقنيّ والتكنولوجيّ وحيازة أساليب فائقة القدرات والسريّة على جمع المعلومات ومعالجتها وتصنيفها وتبويبها، ثمّ التنسيق مع سائر الأجهزة الأخرى العاملة في مجتمع المخابرات. وهي كلّها أنشطة محفوفة بالمخاطر والمهالك والظروف

الحرجة. ولعلّ التقدّم التقنيّ للمخابرات المركزيّة يعزى، منذ تمّ تطبيقه في أواخر أربعينات القرن العشرين، إلى نموّ وتراكم الخبرات المكتسبة خلال الحرب العالميّة الثانية التي بدأت تندلع شرارتها الأولى في العام ١٩٣٩وانتهت عام ١٩٤٥، حيث كان يعمل في حقل المخابرات، في ذلك الحين، مكتب الخدمات الاستراتيجيّة.

فضلاً عن ذلك نجد أنّ المعدّات التي كان يعتمد عليها ضبّاط مكتب الخدمات الاستراتيجيّة في أساليبهم لجمع المعلومات كانت كثيرًا ما تتعرّض للتعديل والتطوير والتحسين، حتّى قبيل الشروع في استخدامها بسبب ظهور تقنيّات أكثر تقدّمًا منها، وكان عامل السرعة والزمن هنا عاملاً حاسمًا للغاية.

وفي خمسينات القرن العشرين كان لزامًا على وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة أن تعيد تجديد وتحسين وتطوير كافّة أجهزتها مثل أجهزة التكويد والترميز والتشفير والتصوير والتنصّت واستراق السمع وأساليب الجاسوسيّة، وقدرات العملاء في الميدان لجمع القدر الأكبر من المعلومات.

ليس هذا فحسب بل اشتُرط أن تكون تلك المعلومات ذات جدوى وقيمة لخدمة البلاد وتأمين سلامتها سواء في وقت السلم أو وقت الحرب. وكان المطلوب في هذه الحقبة، في مقرّ قيادة واشنطن، من معظم العملاء الميدانيّين العاملين لصالح وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة سرعة التوصيل وإرسال التقارير والاستخبارات من أعمق أعماق أراضي العدوّ، وذلك لتوصيلها إلى زعامة البلاد أي إلى رئاسة الولايات المتّحدة بهدف اتّخاذ القرار وبناء السياسة السليمة. وفي أوائل الستّينات، أصبح العميل الذي يعمل لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في زمن السلم، يتمتّع بوجود تكنولوجيا عالية المستوى من الحيل ومن الأجهزة، وفائقة القدرة، حيث صار يستحوذ

على أجهزة اللاسلكيّ الصغيرة والخفيفة الوزن، والبطّاريّات ذات الطاقة العالية التي تستمرّ طويلاً في التشغيل.

وفي الثمانينات أصبحت قدرات أجهزة اللاسلكي تصل إلى آماد وآفاق أوسع وأكثر تراميًا على الكرة الأرضيّة، ثمّ تمّ تخفيض وتصغير أحجامها تصغيرًا هائلاً عن طريق تصغير الدوائر الكهربائيّة والوصلات الإلكترونيّة.

وعلى كافّة الأصعدة الإلكترونيّة والتكنولوجيّة حقّقت الولايات المتّحدة الأميركيّة أشواطًا من التقدّم تزيد بمقدار ١٠ سنوات إلى الأمام عمّا هو متعارف عليه بين الدول الأكثر تقدّمًا والعريقة في الصناعة والتطبيق العلميّ في مجالات الاستخبارات.

أمّا البطّاريّات المستخدمة في تشغيل هذه الأجهزة فتمّ تصغيرها بمقدار مائة مرّة عن ذي قبل، وصار عمرها أطول في التشغيل لأنّ القدر المحتاج إليه من الطاقة الكهربائيّة صار ضئيلاً لكي يتمّ تدوير هذه الأجهزة.

وهكذا فإنّ الأمور تتطلّب ضرورة مواكبة التقدّم العلميّ وتطبيقاته في الصناعة، وذلك بصفة دائمة ومستمرّة، حتّى يمكن تزويد وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بأكثر الأجهزة والمعدّات تقدّمًا. وهي التي تؤدّي خدمات جليلة لهذا العمل. ومكمن الخطورة هنا هو أنّ كلّ هاتيك التطوّرات، بالإضافة إلى تحسين دولاب العمل، كلّها تحمي حياة العميل وتصونها من المهالك، وتضمن كفالة سرّيّته وتخفيه، واستمراره في البثّ والإرسال في أشدّ الظروف حرجًا وأعنفها ضراوة.

ولو وضعنا في اعتبارنا التسرّب الهائل لتكنولوجيا المعلومات وافتضاح الأجهزة الحديثة الصادرة توًّا من المصانع، وحصول أجهزة ووكالات مخابرات الأعداء على كافّة أسرارها، يجعل من الخطورة الهائلة على أيّ عميل أن يستخدمها، وإلاّ تعرّض

للكشف والقبض عليه ومحاكمته، ومن هنا كانت ضرورة السباق المضطرد الذي لا يهدأ أبدًا للتغلّب والسيطرة.

وفي ما يتعلّق بعمليّات استراق السمع الإلكترونيّة، نجد أنّ أجهزة الاستراق والتنصّت على المكالمات الهاتفيّة عن طريق التداخل في أجهزة وأسلاك الهاتف والبرق وخلافه، التابعة للعدوّ، يجب أن يتمّ إخفاؤها إخفاءً تامًّا.

ليس هذا وحسب، بل يتعيّن كذلك إخفاء أيّ تردّدات إلكترونيّة أو أصوات تابعة عن هذه الأجهزة أو التشويش الصادر عن أجهزة الهاتف والعمل على ضمان تلاشيها إلكترونيًّا حتّى يمكن تفادي اكتشافها من جانب الفنّيّين المختصّين بالسمعيّات في داخل صفوف العدوّ. وكلّما اكتشف العدوّ أساليب أو أجهزة تنصّت أو استراق للسمع زرعتها وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، كان الأميركيّون يحدثون عمليّة تغييرات هائلة في أنظمة وأساليب وأجهزة تلك العمليّات حتّى يقطعوا الطريق على المخابرات المعادية الساعية إلى الاختراق.

كما استفادت الأجهزة المعادية، أيضًا، على مدى السنوات الطويلة من استخدام خرائط وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة عن البترول والتعدين والموارد المعدنيّة والشواطئ والزراعة، ومناطق الصيد، إلخ، كما اعتمد عليها علماء الاجتماع والعلوم السياسيّة والاقتصاد .. إلخ. والخرائط مفيدة جدًّا في عمليّات جمع المعلومات من العملاء والأقمار الصناعيّة، فهناك مجموعة منوّعة من الخرائط الدقيقة التي أصبحت في ما بعد موضعًا للدراسات الأكاديميّة. ومواقع القواعد العسكريّة ومعكسرات التدريب هي أيضًا محلّ اهتمام من كافّة منشآت ومؤسّسات الدولة. وثمّة خرائط تحتفظ بها وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة احتفاظًا تامًّا نهائيًّا فلا تخرجها للجمهور ولا تفرج عنها أبدًا مهما كانت الظروف.

لقد دأب السوفيات على اتّهام وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بزرع أجهزة التنصّت الدقيقة في سيّارات المسؤولين في المكتب السياسيّ للحزب الشيوعيّ، وتجنيد المواطنين وبخاصّة المنشقّون ليقوموا بأعمال الجاسوسيّة ضدّ بلادهم. والثابت أنّ الوكالة المركزيّة كانت تجمع البيانات عن كبار رجال الدولة في الاتّحاد السوفياتيّ. ولأنّه كان من الصعب الحصول أو العثور على المعلومات عن هؤلاء القادة والزعماء، كان لزامًا تطوير وتنمية عدد من الأساليب والتقنيّات. وكان أفضلها هو الاقتراب من حياة كبار القادة هؤلاء والإطّلاع على أسرارهم عن طريق تجنيد العملاء الذين يتمّ زرعهم في أماكن حسّاسة بأجهزة الدولة السوفياتيّة. ولا يتمّ الاعتماد على الأميركيّين في مثل هذه الأمور لأنّهم، ببساطة، سوف يتعرّضون للكشف أو الفشل، فأصبح القرار آنذاك، هو الاعتماد على السوفيات أنفسهم وتكليفهم بمثل هذه المهام التي كانت ضروريّة آنذاك، لمعرفة الأيديولوجيّة الشيوعيّة والنوايا التوسّعيّة للسوفيات. ومن بين الأهداف التي كانت مطلوبة معرفة كلّ شيء عن أولئك القادة، وعاداتهم وتقاليدهم، وأساليب التفكير التي يتّصفون بها، وتاريخهم وسيرتهم الذاتيّة، وتكوينهم النفسيّ، وكلّها تفيد في زمن الحروب والسلم على السواء.

كبار المستشارين

راي كلين: بدأ راي كلين نائب المدير الأسبق لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة عمله في عالم المخابرات عام ١٩٤٢ عن طريق عمله في حلّ رموز الشيفرة في سلاح البحريّة الأميركيّة، ثمّ بعد ذلك في مكتب خدمات الدولة. إلتحق، في ما بعد، بوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة حيث خدم كرئيس لمحطّة الوكالة في تايوان وألمانيا، وعمل نائبًا لمدير المخابرات أثناء أزمة الصواريخ الكوبيّة. ومنذ عام ١٩٦٩ حتّى عام ١٩٧٣، شغل منص مدير مكتب المخابرات والأبحاث في وزارة الخارجيّة الأميركيّة.

يُعدّ الدكتور "كلين" مؤسّس ورئيس المركز القوميّ لدراسات المخابرات في العاصمة "واشنطن، دي سي"، وهو كذلك أحد كبار مستشاري مركز الدراسات الاستراتيجيّة والدوليّة في جامعة "جورج تاون" وأستاذ العلاقات الدوليّة في مدرسة "جورج تاون" للخدمات الخارجيّة.

حصل كلين على درجة البكالوريوس والماجيستير والدكتوراه في التاريخ من جامعة هارفرد وكان زميلاً لجائزة هنري التابعة لجامعة أوكسفورد. قام بكتابة واشتراك في كتابة عشر كتب عن المخابرات والدراسات الاستراتيجيّة، بما في ذلك: Post"Washington Command " وهو مرجع دراسيّ عن التدريبات العسكريّة على عهد الحرب العالميّة الثانية، وكتاب "وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة في عهد ريغن وكايسي" وهو الكتاب الذي يصف نظام المخابرات الأميركيّة منذ الحرب العالميّة الثانية.

وولتر فوزهايمر: بدأ وولتر فوزهايمر علاقته بالمخابرات في سلاح الجوّ التابع للولايات المتّحدة الأميركيّة عام ١٩٤٢، ومن هناك التحق عام ١٩٤٦ بالمجموعة المركزيّة للمخابرات التي كانت قد شُكّلت حديثًا، وواصل عمله في جهاز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة التي جاءت بعدها حتّى تقاعده عام ١٩٧٤. ومنذ عام ١٩٤٦ حتّى عام ١٩٥٦، عمل مستشارًا تشريعيًّا للوكالة، وفي عام ١٩٥٦ قام بتصنيف مجموعة الكتب التاريخيّة عن المخابرات التابعة للوكالة بالإضافة إلى منشورات أخرى في كافّة مناحي المخابرات. عام ١٩٧٤ تمّ استدعاؤه مرّة ثانية ليُعهد إليه بمنصب مستشار وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة التابعة للرئيس المنتخب رونالد ريغن، من عام ١٩٨٠ ـ ١٩٨١. تخرّج فوزهايمر من جامعة "يال" ومدرسة "يال" للقانون، عام ١٩٨٥ نال درجة الماجيستير الفخريّة في العلوم والمخابرات الاستراتيجيّة من كليّة مخابرات الدفاع حيث يعمل مدرّسًا مساعدًا. كما عمل أمينًا شرفيًّا ومستشارًا للتقنيات الخاصّة من الكتب التابعة لجامعة "يال". يُعدّ المستر فوزهايمر شرهًا وشديد التوق إلى جمع الكتب واقتنائها، حيث يمتلك أكبر وأوسع مجموعة من الكتب والموسوعات والسجلّات الخاصّة بالمخابرات.

ديفيد أتلي فيليبس: إلتحق ديفيد أتلي فيليبس بجهاز المخابرات المركزيّة الأميركيّة كعميل نصف الوقت عام ١٩٥٠ في تشيلي حيث كان يعمل محرّرًا صحفيًّا، وأصبح عميلاً أساسيًّا عام ١٩٥٤، ارتقى في الصفوف وتبوّأ منصبه كضابط مخابرات، ررئيس للمحطّة، وتولّى أخيرًا منصب رئيس كافّة عمليّات المخابرات في نصف الكرة الغربيّ. خدم في سائر بلدان أميركا اللاتينيّة بما في ذلك كوبا والمكسيك وغواتيمالا وجمهوريّة الدومينيكان. قام بتأسيس صلاته بالمخابرات إبّان الحرب العالميّة الثانية،

حينما أصبح عضوًا في لجنة التهريب التي ظلّ يعمل في إطارها - وكان أسيرًا للحرب لدى الألمان حتّى تمكّن من الهروب.

عام ١٩٧٥ تقاعد ديفيد أتلي فيليبس من وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ليؤسّس رابطة الضبّاط السابقين للمخابرات، وهي بمثابة مجموعة مساندة ومساعدة للمخابرات تشمل ٣,٥٠٠ من ضبّاط المخابرات السابقين الذين خدموا في كافّة فروع الجهاز الاستخباري الأميركيّ.

يقوم فيلبس بالكتابة والمحاضرات بصفة مستديمة عن المخابرات وشؤونها، ألّف خمسة كتب منها:"الساعة الليليّة" عبارة عن مذكّرات له إبّان عمله في الجهاز، "وظائف في العمليّات السريّة" عبارة عن دليل مرشد لمَن يريد العثور على وظيفة في مؤسّسة المخابرات الفدراليّة، "تاريخ مديري المخابرات المركزيّة الأميركيّة والعمل السريّ".

جون باتريك كيرك: عمل جون باتريك كيرك ناشرًا منذ ١٩٦٧، حرّر وكتب أكثر من ١٠٠ كتاب بحث في العلوم الاجتماعيّة. رئيس وناشر لسلسلة "التعليم الدوليّ الخاصّ" لِما يزيد عن ١٢ عامًا. ينبثق عمله في نشر الكتب التي تتناول المخابرات من خلال تعميم ونشر البرامج التعليميّة في أوروبّا الشرقيّة والغربيّة والعديد من دول العالم الثالث، حيث كان التعليم الدوليّ الخاصّ هدفًا لأنشطة الاتّحاد السوفياتيّ بغرض التشويه وبثّ المعلومات المغلوطة. وقام بكتابة مؤلّف عنوانه: "الإجراءات السوفياتيّة النشطة في نشر الكتب".

المستشارون

صمويل هالبيرن: يُعدّ صمويل هالبيرن، المستشار في شؤون المخابرات والأمن القوميّ، خبيرًا محنّكًا ومتمرّسًا لمدّة ٣٢ عامًا في مكتب خدمات الدولة وجهاز المخابرات المركزيّة الأميركيّة حيث ترقّى إلى منصب ضابط كبير. تخرّج في الـ"سيتي كوليدج" في نيويورك عام ١٩٤٢، وكليّة الحرب الوطنيّة ١٩٦٦. منذ عام ١٩٧٥ قام بتأدية خدماته في مجالس إدارة رابطة الضبّاط المتقاعدين بوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، ورابطة الضبّاط السابقين للمخابرات، ومركز دراسات المخابرات القوميّة والمتحف القوميّ لتاريخ المخابرات.

هانز موسي: ألمانيّ، عمل محقّقًا ومستجوبًا في مخابرات الجيش، فبدأ عمله في المخابرات عن ذلك الطريق، بعد هجرته إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة عام ١٩٣٩ تطوّع للخدمة بسلاح المشاة التابع للجيش الأميركيّ، وعمل في مجال الخدمات السريّة لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، في الفترة من ١٩٥٣ حتّى ١٩٧٤. ثمّ صار محلّلاً للأبحاث المدنيّة لسلاح الجوّ الأميركيّ، حيث قضى هنالك في الخدمة مدّة التحق بعدها بوكالة الولايات المتّحدة الأميركيّة.

وليام موليغان: هو مدير عمليّات "فاريكون إنترناشيونال" إحدى الشركات الاستشاريّة، يُعدّ رائدًا في تطوير قدرات جمع المعلومات الفنيّة للمخابرات، حيث وضع معايير وتحسينات لتكنولوجيا الجمع الحديثة. شملت أعماله المتميّزة الخدمة بأجهزة المخابرات التابعة لوزارتَي الدفاع والخارجيّة الأميركيّتَين، وكذلك في الجيش الأميركيّ، وسلاح البحريّة الأميركيّة، وسلاح الجوّ الأميركيّ.

توماس بولجار: وُلد توماس بولجار في المجر وهاجر إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة ليلتحق بمكتب خدمات الدولة، شقّ طريقه ليرتقي إلى أعلى المناصب في وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، خدم كضابط ورئيس لمحطّة الوكالة في ألمانيا والأرجنتين والمكسيك وفييتنام. فقام بأعمال ميّزته فحصل على أعلى جوائز وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة حيثما أفشل إحدى عمليّات الاختطاف. قام بالكتابة عن مواضيع المخابرات، وبتأليف كتاب عن المخابرات السوفياتيّة.

هربرت سوندرز: رئيس "فاريكون إنترناشيونال"، خدم لسنوات في مكتب الوكالة للخدمات الفنيّة، أُنيطت به مسؤوليّة تطوير الأدوات والأجهزة الخاصّة بالمخابرات، حقّق مناصب رفيعة في مكتب الخدمات الفنيّة، بما في ذلك نائب مدير ورئيس العمليّات.

أخلاقيّة الولايات المتّحدة في عمليّة الاستخبارات

يقول باحث عربيّ إنّه ممّا لا شكّ فيه أنّه يوجد في الولايات المتّحدة عبادة سريّة لقوّة خطرة هي الاستخبارات التي يعود ابتكارها إلى وكالة المخابرات المركزيّة CIA وأخصّائيّيها المستترين. أمّا الأوصياء على ذلك والواقون لها، فهم، ولا شكّ، سلطات الحكومة الفدراليّة المتواجدة على أعلى المستويات. وبعيدًا عن الأوساط الرسميّة فإنّ المحبّذين لذلك يمكن أن تلقاهم حيث تُتّخذ القرارات في قمّة الصناعة الكبرى والتجارة والمال واليد العاملة، كما نرى هؤلاء المحبّذين في الهيئات التي تمارس تأثيرًا عظيمًا على الرأي العامّ كالأوساط الجامعيّة ووسائل الإعلام الحديثة. ويشكّل كلّ ذلك أرستقراطيّة سياسيّة أميركيّة تؤلّف في ما بينها جمعيّة أخويّة سريّة تعشق عبادة الاستخبارات. ولهذه العبادة هدف رئيس هو الدعم، بشكل خفيّ وبوسائل غالبًا ما تكون شرعيّة، للسياسة الخارجيّة لحكومة الولايات المتّحدة الأميركيّة، وأن تحتوي ما أمكن، في نفس الوقت، العدوّ الشيوعيّ. ولقد هدفت هذه العبادة إلى التكفّل بإقامة نظام عالميّ تسيطر عليه أميركا التي أصبحت، بشكل لا يقبل الجدل، أعظم الأمم قوّة. وحتّى الآن على الأقلّ، لم يستطع ذلك الحلم أن يصمد أمام امتحان الزمن، وكانت إخفاقاته كثيرة التواتر.

لقد أضحت تلك العبادة، نتيجة لذلك، أقلّ عظمة وأكثر قابليّة للاعتراض عليها. وكثيرًا ما ادّعت أميركا أنّها تريد أن تحمّل القيام بدور إدارة التطوّر الاجتماعيّ

والاقتصاديّ والسياسيّ لدول العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينيّة. واقتصر النضال العالميّ ضدّ الشيوعيّة على معركة صامتة خفيّة للحفاظ على استقرار مفيد في العالم الثالث، ولقد استعملت، في هذا السبيل، كلّ وسائل الحرب المستقرّة. ولا شكّ أنّنا عندما نعمل في هذا المضمار فإنّ ذلك يعني، بالنسبة لعبادة الاستخبارات، بأن على كلّ بلد معيّن، سواء أبى أم شاء، أن يحافظ على التطوّر الجاري، وأنّ على كلّ بلد آخر أن يحافظ على الحالة الراهنة، وعلى بلد ثالث أن يقوم بنضال معيّن يهدف إلى قلب نظام التطوّر الجاري نحو الاستقلال والديمقراطيّة.

وتبذل العبادة جهدها لتنفيذ ما آمنت بالحصول عليه. أمّا في حالة الفشل أو انكشاف اللعبة فإنّ على حكومة الولايات المتّحدة أن تجهّز التكذيب الرسميّ أو النفي المحتمل للتدخّل.

وتشكّل وكالة المخابرات المركزيّة، في نفس الوقت، المركز والأداة المفضّلة لعبادة الاستخبارات، وتنغمس في التجسّس والتجسّس المضادّ وفي نشاطات الدعاية ونشر المعلومات المضلّلة ومناورات الحرب السيكولوجيّة والعمليّات شبه العسكريّة. وعندما تستدعي الضرورة فإنّها تبتكر هيئات تابعة لها، وبالتالي فإنّها تسيطر عليها بشكل مطلق، وتجنّد عملاء مرتزقة، وترشو موظّفي وزارات الخارجيّة، في سبيل أهداف مشبوهة. وهي تقوم بكلّ ما يبدو لها ضروريًّا للوصول إلى أهدافها دون أن تخشى العقاب من أيّ سلطة أعلى منها، أو تعاني أيّ عذاب أخلاقيّ أو نفسيّ نتيجة عملها. فهي السلاح السريّ للسياسة الخارجيّة الأميركيّة وتشكّل أكثر الأدوات فعاليّة للتدخّل في الشؤون الداخليّة للبلدان التي تنوي الولايات المتّحدة أن تمارس نفوذهاعليها أو أن تضعها تحت سيطرتها. ولقد كانت عمليّات وكالة المخابرات المركزيّة بمثابة ميثولوجيا رومنطيقيّة، وكثيرًا ما عتّم عليها بصور مزيّفة وأُعطيت غطاء رسميًّا،

وكثيرًا ما اختفت هذه الوسائل تحت أحجية من تشريع بائد لا يسمح للرأي العامّ ولا للكونغرس نفسه بأن يطّلع على الحقائق والأفعال التي تقوم بها هذه الهيئة ولا على الأهداف المرتآة من عملها. وتبرّر عبادة الاستخبارات تلك التغطية بأن تعلن، بصوتٍ عال وعلى رؤوس الأشهاد، بأنّ هدف وكالة المخابرات المركزيّة هو حماية الأمن القوميّ وأنّ عملها يجري متناسقًا مع مصلحة الدفاع عن الوطن، وعند ذلك يقف موضوع السرّ بمثابة الضمان العمليّ للأمن ممّا يفرض ألاّ يطّلع أحد على شيء أبعد من ذلك.

وتبغي عبادة الاستخبارات أن يكون مفهومًا لدى الجميع أنّ حكومة الولايات المتّحدة تتابع سياستها الخارجيّة دون أن تخبر الشعب بذلك وبدون مساهمته أيضًا. وتعتبر المراقبة البرلمانيّة والشعبيّة، عن طريق الصحافة، بمثابة عوامل تافهة. أمّا أنصارها فيعتبرون أن لهم وحدهم الحقّ والأهليّة الضروريّين ليقرّروا ما هو صالح للمصلحة القوميّة...

وإنّ عبادة الاستخبارات، بمتابعتها سياسة عالميّة بائدة تمامًا ومتشبّثة بأهداف غير واقعيّة، تنكر، على شعب تدّعي خدمة مصالحه، الحقّ بأن يطالبها بالحساب. فمن وجهة نظرها أن لها وظيفة مقدّسة وغاية في الكتمان.

ويعتقد المؤمنون بهذه العبادة بوجوب تمتّعهم بنوع من التقديس الذي يسمح، بالتالي، لهيئتهم بأن تتجاوز كلّ مراقبة شعبيّة. وقد أصبحت عمليّات الاستخبارات لا ترضى إلاّ بالتخفّي والخداع، فهي تشجّع اللاأخلاقيّة المهنيّة، أي ذلك الإيمان بأنّه من الممكن الوصول إلى أهداف محدّدة باستعمال وسائل لا شرعيّة، وغالبًا غير مقبولة. فبالنسبة إليها إنّ كلّ شكل آخر من التعامل يؤدّي إلى تضييق الخناق عليها بشكل غير مقبول، أي أنّ ذلك يجعل

شعب الولايات المتّحدة الأميركيّة يحكم على صلاحيّة السياسة المتّبعة وكذلك على أخلاقيّتها.

فبمساعدة واستحسان الكونغرس، وبتشجيع وتعاون مجموعة طويلة من رؤساء الجمهوريّة، توصّلت تلك العبادة إلى أن تقيم حول وكالة المخابرات المركزيّة حاجزًا مانعًا من القوانين والأنظمة، فكان بمثابة سرّ أوقف كلّ إمكانيّة لإجراء الرقابة الشعبيّة الفعليّة.

وبصورة عامّة استحسن أتباع هذه العبادة ومن بينهم رؤساء جمهوريّة الولايات المتّحدة، وهم الذين كانوا سببًا في الأعمال الهامّة التي قامت بها وكالة المخابرات المركزيّة، أعمال هذه العبادة، فاستعملوا الكذب والخداع عندما دعت الضرورة لذلك كي يحموا وكالة المخابرات المركزيّة أو كي يخفوا مسؤوليّاتهم الخاصّة في تورّطاتها. فلقد جرى تكذيب التدخّل في غواتيمالا عام ١٩٥٤، أو التعاون مع الانقلابيّين ضدّ الرئيس سوكارنو عام ١٩٥٨، وفي مهمّة "فرانسيس غاري باورز" عام ١٩٦٠، ثمّ في اجتياح كوبا الفاشل عام ١٩٦١. وفي أيّام الرئيس جونسون كذبت إدارته على الأمّة الأميركيّة طوعًا في موضوع تورّط هذه الإدارة في مختلف تعهّداتها التي اتّفقت عليها في فيينا ولاووس، وكان كذلك بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزيّة. كما أنّ إدارة نيكسون كذبت، بمحض إرادتها، على الشعب من حيث جهودها عبر وكالة المخابرات المركزيّة التي عملت ما بوسعها لتغيير نتائج الانتخابات في تشيلي عام ١٩٧١. ولقد اعتاد هؤلاء الأتباع على استعمال التخفّي والتأكيدات الكاذبة كوسيلة طبيعيّة واعتياديّة بغية منع الرأي العامّ من الوصول إلى معرفة العمليّات الخفيّة لوكالة المخابرات المركزيّة، ومن ثمّ مسؤوليّة الحكومة الناتجة عن ذلك. وهؤلاء الرجال الذي يتفاخرون باعتبارهم مواطنين ووطنيّين صادقين، فإنّهم لا يتاونون، عندما يجدون أنفسهم في

شباك مصيدة التخفّي، أن يدعوا لأنفسهم الحقّ بالكذب على مواطنيهم أنفسهم. وهكذا فإنّهم يرون امتياز الكذب مبرّرًا لأنّ الكتمان ضروريّ للأعمال المستترة، وذلك حتّى يبعدوا الشبهات حول نشاطات سياسة الولايات المتّحدة وبالتالي انتباه العدوّ، أو حسب التعبير الشائع في مصلحة الاستخبارات، انتباه "الحزب الخصم". فإذا كان الحزب الخصم جاهلاً بما يجري فإنّه يجد نفسه غير قادر على مجابهة أعمال وكالة المخابرات المركزيّة. وعندها تتوفّر أفضل شروط النجاح لعمليّات وكالة المخابرات المركزيّة. لكن، في معظم الحالات، يكون الحزب الخصم عالمًا بكلّ العمليّات الخفيّة التي جرت ضدّه ويكون قد اتّخذ الإجراءات الضروريّة واللازمة لذلك. فكلّ طلعات الاستكشاف التي قامت بها طائرات U-2، وكذلك كلّ عمليّات المراقبة الجارية من قبل السوفيات والصينيّين، وكذلك كانت كافّة العمليّات التي قام بها السوفيات، فوق أراضي الولايات المتّحدة الأميركيّة.

فعندما يجري التورّط في عمليّات بمثل هذا المقدار لا يمكن أن تتواجد أيّة فرصة بألاّ يعلم الخصم بها، لأنّ أجهزة استخباراته تبذل نفس القدر من النشاط. فمنذ عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٦٤، كانت سلطات المخابرات السوفياتيّة قد اعترضت بالوسائل الإلكترونيّة كافّة الرسائل التي بعثتها مصالح الشيفرة في سفارة الولايات المتّحدة في موسكو. وظاهريًا يبدو أنّ أمن الولايات المتّحدة لم يتأثّر تبعًا لذلك، كما أنّ الحكومة السوفياتيّة لم تنقلب رغم أنّ كافّة المحادثات التي أجراها المسؤولون السوفيات من سيّاراتهم كان يجري التقاطها من قبل وكالة المخابرات المركزيّة. ولقد تمكّن الجانبان من أن يتجنّبا عواقب هذه الاعتراضات. فمن الواجب حقًّا أن نقول بأنّ مصالح الاستخبارات تسعى إلى تسميم أجهزة الخصم بمعلومات خاطئة، بمقدار ما تسعى إلى إخفاء المعلومات عن الكونغرس والشعب في أميركا.

وتسعى مصالح الاستخبارات الأميركيّة بهذا إلى الحفاظ على حريّتها في التصرّف للإفلات من كلّ رقابة يمكن أن تضعها تحت طائلة أيّ مسؤوليّة. وتتوقّف حالة وكالة المخابرات المركزيّة الخاصّة، بشكل بيّن، على الميثولوجيا وعلى التفخيم لنشاطات الاستخبارات السريّة، التي تؤدّي أحيانًا إلى تعظيم حقيقيّ، في أعين الأمّة، للنشاطات الخفيّة للأجهزة المعادية، وذلك كي تثير مخاوف الشعب ولإخفاء الشرعيّة على الأعمال المنجزة من قبل وكالة المخابرات المركزيّة.

وتهدف الدعاية الإعلاميّة لمصلحة الاستخبارات، بمختلف الطرق، إلى إثارة الإعجاب بهذا النوع من المهن الحرّة حيث تتوفّر سلطات شبه سحريّة تسمح بأعمال مبهرة تصل، في بعض الأحيان، إلى مستوى الإعجاز. وكما في معظم الأساطير فإنّ دسائس ونجاحات وكالة المخابرات المركزيّة تبدو لنا، مع كرّ الزمن واستمراره، وكأنّها خياليّة أكثر منها حقيقيّة. لكن لسوء الحظّ كان الحقيقيّ منها هو إيمان الجماهير، بما فيهم أتباع عبادة الاستخبارات، بما تقدّمه لهم وكالة المخابرات المركزيّة من مبالغات أسطوريّة عن نشاطات الاستخبارات السريّة.

لقد كانت مهمّة وكالة المخابرات المركزيّة، في الأساس، تنظيم برامج البحث عن المعلومات المستقاة من مختلف الهيئات أو الوزارات، وتنظيم التقارير، وإجراء الدراسات الوثائقيّة اللازمة لحكومة الولايات المتّحدة، وذلك لهدف خدمة السياسة الخارجيّة. وكانت تلك هي غاية الرئيس هاري ترومان عندما طلب من الكونغرس، في عام ١٩٤٧، أن يصوّت على قانون الأمن القوميّ، ما سمح بإقامة وكالة المخابرات المركزيّة، رغم أنّ الجنرال ويليام دونوفان، وكذلك ألن دالاس وغيرهما، كان لديهم رأي آخر مخلف تمام الاختلاف. فلقد كانوا يبغون إقامة هيئة أمنيّة لتصبح أداة خفيّة فعّالة تسمح لواشنطن بالوصول إلى أهداف في سياستها الخارجيّة تقف الدبلوماسيّة

العاديّة عاجزة عن تحقيقها أو الحصول عليها. وكانوا يعتقدون بأنّ عبء قيادة الشؤون الخارجيّة أمست ملقاة على كاهل الأميركيّين، وأنّه يجب أن يحلّوا محلّ الاستخبارات البريطانيّة المتدهورة، فضغطوا على الكونغرس بأن يعطي لوكالة المخابرات المركزيّة إمكانيّة الانخراط في العمليّات الخفيّة. فإذا كان الرئيس ترومان أراد أن يبتكر بشكل مفضوح مصلحة الاستخبارات، تحمل عبء جمع المعلومات وتحليلها، دون أن تتدخّل للقيام بالعمليّات الخفيّة، فإنّه لا شكّ كان مغشوشًا.

وفي ذلك الجو المتوتّر من الحرب الباردة، اقتنع الكونغرس بحجج أخصائيّي الاستخبارات عندما صوّت على قانون الأمن القوميّ فإنّه قد أكسب وكالة المخابرات المركزيّة ميزة الانفلات من تدابير الرقابة التي من شأنه ممارستها، ولقد تمادى ذلك الغي بالقانون المركزيّ الاستخباريّ عام ١٩٤٩، الذي نظّم مصالح الاستخبارات، وقد تضمّنت إحدى الفقرات نصًّا يسمح بالقيام بكلّ الأعباء والوظائف التي يتطلّبها مجال الاستخبارات والتي يكلّفها بها مجلس الأمن القوميّ عرضيًّا أو بشكل دائم. وباعتمادها على هذه الفقرة البريئة ظاهريًّا وعلى توجيهات مجلس الأمن القوميّ وعلى رئاسة الجمهوريّة، قامت وكالة المخابرات المركزيّة بإعداد ميثاقها السريّ الذي يتعارض بشكل تام مع النوايا الظاهريّة للقانون الذي أُنشئت بموجبه. ولقد أعطت هذه الفقرة المبهمة كلّ الحريّة لوكالة المخابرات المركزيّة بأن تنخرط في العمل السريّ، وسمحت لها بالتدخّل، خفية، في الشؤون الداخليّة للدول الأخرى، وذلك هو ما قامت به فعلاً وكالة المخابرات المركزيّة، مستندة إلى البيت الأبيض بصورة عامّة، لكن بعيدًا عن موافقة الكونغرس، وبمنأى تامّ عن رقابة الرأي العامّ الأميركيّ.

وبسبب عجز الإعلام لم تتوفّر للرأي العامّ إمكانيّة تكوين فكرة عن الاخفاقات المتكرّرة لعمليّات وكالة المخابرات المركزيّة. فعلى مستوى التجسّس الكلاسيكيّ لم يلقَ

عملاء وكالة المخابرات المركزيّة النجاحات المثلى في مجالات التسرّب أو التجسّس على نطاق واسع. لكن لحسن حظّ الولايات المتّحدة فإنّ الخبراء التقنيّين لوكالة المخابرات المركزيّة، بالتعاون مع نظرائهم في البنتاغون والمؤسّسات الخاصّة، استطاعوا أن يطوّروا أجهزة إلكترونيّة سمحت لهم بالحصول على معلومات من الاتّحاد السوفياتيّ والصين، إلخ... وانطلاقًا من ذلك، بالإضافة إلى المصادر الدبلوماسيّة والمطبوعات من صحف ومجلاّت، توصّل المحلّلون إلى تكوين فكرة واضحة عن الموقف في الدول المعادية للولايات المتّحدة.

لقد توصّلت وكالة المخابرات المركزيّة إلى نجاحات أعظم في مجال التجسّس المضادّ منه في مجال التجسّس الكلاسيكيّ، لكنّ ذلك كان بمحض الصدفة أيضًا، إذ لم يكن ذلك إلاّ بسبب الانشقاق الذي قام به عدد من موظّفي الدول الشيوعيّة دون أن نغفل المعلومات المضلّلة التي يمكن أن ترد من هذا السبيل بواسطة العملاء المزدوجين. ولقد استطاعت وكالة المخابرات المركزيّة، بوسائل ممقوتة، أن تمنع، في كلّ مكان من العالم تقريبًا، تقدّم الشيوعيّة. ومع ذلك، فكثيرًا ما شعرت الحكومة بالمذاق المرّ لبعض من تلك الانتصارات. أفلا يمكن أن نتساءل بأنّه كان من الأفضل ألاّ تتدخّل وكالة المخابرات المركزيّة في غواتيمالا وكوبا وتشيلي، ولبنان عام ١٩٨٢، وبأنّه كان من الأفضل أن تؤثّر على مجرى الأحداث في إيران وسوريا وأمكنة أخرى من الشرق الأوسط، وألاّ تكون قد تمادت في تورّطها في جنوبي شرق آسيا وخاصّة منها في الهند الصينيّة؟ ولكنّها انغمست، وها هي الولايات المتّحدة تحمل وزر ذلك كلّه ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وجوابًا على الانتقادات التي تواكبت مع أعمالها المستترة، فإنّ وكالة المخابرات المركزيّة تفخر بصلافة الأعمال التحليليّة التي قامت بها والتي لا تبدو بعيدة عن

متناول النقد. فلقد كانت هنالك أخطاء عظيمة في تقدير الإمكانات العسكريّة والنوايا الصينيّة والسوفياتيّة والتي ما زالت تثير سخط المسؤولين عن السياسة في الدولة. ولا شكّ في أنّ هذه الفروع كانت محقّة، في بعض الأحيان، عندما أحسنت تقدير أخطاء ونتائج التورّط الأميركيّ في بلدان العالم الثالث وخاصّة في شرق آسيا وأميركا اللاتينيّة ولبنان. ولكنّنا، مع ذلك، نرى تناقضًا تامًّا بين التحليلات الجارية وبين ما جرى فيه التصرّف فعلاً. إنطلاقًا من تلك النتائج، لم يعبأوا بما كانوا قد توقّعوه من فشل كما هي الحال في خليج الخنازير وفي الطائرة U-2 وفي تورّطات وكالة المخابرات المركزيّة في عمليّة ووترغيت التي اندسّ فيها السبّاكون. وهكذا، فإنّ رجالاً اعتادوا على القيام بواجباتهم الخفيّة لا بدّ أن تتشكّل لديهم قناعات تامّة بشرعيّة أفعالهم، لذا فإنّهم يقومون بأعمال تتنافى مع مصلحة الأمّة لأنّهم يرون، في كلّ عمل منافٍ لآرائهم، شيئًا ما منافيًا لمصلحة وطنهم[١].

---

١ ـ رصاص د. محمود سيّد، الاستخبارات الأميركيّة المركزيّة غول وعنقاء وخلّ، ماذا فعلت؟، دار المعرفة (دمشق، ١٩٨٨) ص٧ ـ ١٢.

الميداليّات والأوسمة التي تمنحها الـ CIA لرجالها المتميّزين [1]

هناك تسع ميداليّات وأوسمة ونياشين تمنحها وكالة المخابرات المركزيّة لرجالها المتميّزين الذين أبلوا بلاء حسنًا في نصرة عمليّاتها الهامّة سواء في زمن السلم أو في زمن الحرب.

وتهدف هذه الميداليّات والأوسمة والنياشين إلى تشجيع كلّ من يجتهد من أجل إنجاز الأهداف الكبرى للوكالة التي هي، في الوقت نفسه، أهداف قوميّة سامية للبلاد. ولقد حصل على هذه الميداليّات والأوسمة والنياشين عدد كبير من كوادر وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة بدءًا من العام ١٩٤٦، تاريخ تأسيس الوكالة وإقامتها، حتّى اليوم. وكانوا في مجموعهم من المشهود لهم في المساهمة الفعّالة في التفاني بروح الواجب والمسؤوليّة للاضطّلاع بالمهمام الموكولة إليهم وتنفيذها. ولقد حصل عليها حوالي أربعة وعشرين رجلاً من بينهم سيّدة واحدة هي "مارجوري كلاين" التي كانت تعمل، في الوقت نفسه، محرّرة وصحافيّة وكاتبة، وهي مؤلّفة كتاب "المرشد والدليل في معرفة تراث وكالات المخابرات" الصادر عام ١٩٨٣، وكتاب "تعليم المخابرات في أواسط الثمانينات" الصادر عام ١٩٨٤. أمّا الرجال الثلاثة وعشرون الباقون فمنهم رؤساء تولّوا إدارة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، ومنهم "ويليام

---

١ ـ لجنة من الباحثين، وكالة المخابرات الأميركيّة، وثائق سريّة، مترجم عن الإنكليزيّة بإشراف طلعت غنيم حسن، مكتبة مدبولي (القاهرة،١٩٩٣) ص٢٣٤ ـ ٢٣٧.

كولبي" و"ريتشارد هيلمز" و"ستانسفيلد تيرنر". أمّا الباقون فلم يحظوا بتولّي منصب مدير وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: "ريتشارد بيتس"، "ريتشارد بيسيل"، "سكوت بريكينريدج"، "راي كلاين"، "ويليام هوود"، "ليمان كيركباتريك"، "جوزف كولدين"، "سامويل هالبيرن"، "ديفيد أتلي فيليب"، "توماس بولغار"، "توماس بورز"، هانز موزيزي"، وولتر فورزهايمر" و"كورد مبير". ولو ألقينا نظرة على على هذه الميداليّات والأوسمة والنياشين لوجدنا أنّها ذات درجات مختلفة ورتب تتباين من وسام إلى آخر ومن ميداليّة إلى أخرى ومن نيشان إلى آخر:

١ ـ **صليب المخابرات المتميّز**: يُمنح للأعمال التطوّعيّة الرائعة ذات البطولة الخارقة التي تحيط بها المخاطر، ويبذل فيها المرشّح جهودًا تتّصف بالثبات والجلد والشجاعة والإقدام.

٢ ـ **ميداليّة المخابرات المتميّزة**: تُمنح لأولئك الذين ينجزون أعمالاً ويؤدّون فيها أداء يتّصف بأنّه خدمات بارزة للبلاد، أو ينجزون إنجازًا ذا طبيعة خارقة إبّان اضطّلاعهم بواجب العمل والمسؤوليّة.

٣ ـ **نجمة المخابرات**: تُمنح لأصحاب الأعمال التطوّعيّة التي ينهض بها رجال الجهاز الاستخباريّ الأميركيّ نظيرًا لشجاعتهم وبسالتهم وإقدامهم على العمل في ظلّ الأحوال الخطرة، أو الإنجازات التي تمّت باقتدار وجدارة تحت ظروف من المخاطر البالغة.

٤ ـ **وسام أو نيشان المخابرات**: يتمّ خلعه على الرجال الذين يقومون بأداء يتّصف بأنّه خدمة ذات جدارة خاصّة، أو للرجال الذين ينهضون بأعمال وإنجازات تتّصف بأنّها خارقة وفوق الجهود العاديّة للبشر.

٥ ـ **نوط مهنة المخابرات:** يُمنح للكوادر أو العاملين الذين تتّصف ملفّات خدمتهم بأنّها متراكمة الإنجازات والخدمات التي تعكس المهارة والجهد والبذل الخارق.

٦ ـ **نيشان إشادة المخابرات:** يُمنح للرجال الذين يتّصف أداؤهم بأنّه خدمة خاصّة تستحقّ الإطراء والمدح والإشادة بها، أو يُنعم به على الأشخاص الذين تفانوا في عمل إنجازات ذات أهميّة وشأن تتجاوز القدرات والواجبات المعتادة للبشر، وهي التي تؤدّي إلى مساهمة ذات خطر لمهام وعمل وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

٧ ـ **ميداليّة الخدمة الممتازة:** تُمنح للرجال الذين يلقون حتفهم أو يستشهدون أو يصابون بالجراح أثناء تأديتهم لمهام عملهم في المناطق أو المجالات ذات المخاطر الجمّة.

٨ ـ **ميداليّة التقاعد الفضيّة:** تُمنح لمن أتمّ ربع قرن من الزمن في مهنة وخدمة وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، أو ما يزيد على تلك المدّة.

٩ ـ **ميداليّة التقاعد البرونزيّة:** تُمنح للرجال الذين أمضوا خمسة عشر عامًا من الخدمة على الأقلّ في الوكالة، أو الذين لم يُتمّوا ربع القرن في وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة.

المراجع والفهرس

لائحة المراجع

رصاص د. محمود سيّد، الاستخبارات الأميركيّة المركزيّة غول وعنقاء وخلّ، ماذا فعلت؟، دار المعرفة (دمشق، ١٩٨٨)

فيتالي فاشيلفتش بتروستكو، البيت الأبيض والاستخبارات الأميركيّة، ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دمشق، ١٩٨٩)

لجنة من الباحثين، وكالة المخابرات الأميريكيّة، وثائق سريّة، مترجم عن الإنكليزيّة بإشراف طلعت غنيم حسن، مكتبة مدبولي (القاهرة،١٩٩٣)

Colby W, *For Bath P. Honorable Men, My Life In The CIA* (New York,1978)

Divine E. A., *Eisenhower And The Cold War,* (Oxford, 1981)

Dulles A. W., *The Craft Of Intelligence,* Britannica Book Of The Year 1963, (Chicago, 1963)

Goverment By Gunplay, Ed. Blumental S.& Yazijian H. (New York, 1976)

Power Th., *The Man Who Kept The Secret, Richard Helms And The CIA,* (New York,1979)

Rositzke H., *CIA'S Secret Operations,* (New York,1977)

Salibury F. E., *Without Fear Or Favor, An Uncompromising Look At The New York Times,* (New York, 1980)

Simpson S., *The Crisis In American Diplomacy,* North Quincy, (Massachusets, 1980)

Truman H.S. *Memoirs,* Vol. 2, *Years Of Tral And Hope,* Garden City, (New York,1956)

Wise D., Ross Th., *The Invisible Govermemt,* (New York,1965)

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الفرق بين وكالة الـ CIA والـ KGB	١٣٥
عمليّات وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة	١٤٠
الجهاز السريّ للمخابرات المركزيّة	١٤٠
كيفيّة جمع الجهاز السريّ للاستخبارات	١٤٢
المسؤوليّات الفريدة لجهاز المخابرات السريّة: "العمل الخفيّ"	١٤٤
الجاسوسيّة المضادّة: حماية مجوهرات أسرة الـCIA	١٤٨
ثلاثة نجاحات كبرى للعمل السريّ	١٥٢
ثلاث عمليّات كبرى فاشلة للعمل الخفيّ	١٥٣
العمليّات شبه العسكريّة	١٥٥
"ديفيد آتلي فيليبس" وربع قرن من الخفاء	١٥٨
دورة المخابرات	١٦٢
مجتمع المخابرات	١٦٧
وكالة مخابرات وزارة الدفاع الأميركيّة	١٦٧
وكالة مخابرات الأمن القوميّ الأميركيّة	١٦٩
جهاز مخابرات الجيش الأميركيّ	١٧١
القوّات العسكريّة العاملة سابقًا على المسرح السوفياتيّ	١٧٣

الموضوع	الصفحة


Bibliotheca Alexandrina
0586434